

السنة الثانية (ذوالقعدة سنة ١٣٥٤ - يناير سنة ١٩٣٦) الجزء الثالث

صحيفة دار العلوم

مجلة الأدب واللغة والعربية والاجتماع

نصرها جماعة دار العلوم

كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديرية "صحيفة دار العلوم" في جميع مدارسها

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

أبو الفتح الفقي



الاشتراكات والحوالات المالية
ترسل باسم أمين الصندوق

السباعي يوصى

المدرس بدار العلوم

المراسلات الخاصة بالتحرير
ترسل إلى مساعد التحرير

محمد مهدي عمام

المفتش بوزارة المعارف

الاشتراك السنوي

٢٠ قرشا	غير الطلبة	} في القطر المصري
١٢ د	للطلبة ومدرسي المدارس الأولية	
٦ شللات انجليزية		خارج القطر
٥ قروش		نمن العدد

Copy of the original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

original manuscript of the

إِنْ سَاحًا مَدَّ قَفَا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَغْتَرِفَ إِنْ مَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَإِنْ نَحْيَا الْوَجْدَهَا مَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَارِبِ
وَنَحْيَا فِي دَائِرِ الْعُلُوفِ

الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

1840
The first of the month of January 1840
I received from the Rev. Mr. [unclear]
of the [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]

He has been very kind to send me
a copy of the [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]

I have been very much interested in
the [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]

I have been very much interested in
the [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]

I have been very much interested in
the [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]
[unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear] [unclear]

من مكتب التحرير

في كل عدد من أعداد الصحيفة، تقف حائرين إزاء حجمه؛ فكمية المواد، والرغبة في خدمة القراء إلى أقصى حد تميل بنا إلى تضخيمه، والاعتبارات المالية تدعونا إلى الاعتدال في عدد صفحاته. ويظهر أن الاعتبار الأول هو الذي رجح دائماً، وإنا بترجيحه لمغضبون؛ لأن هذه «الصحيفة» لم تكن في يوم من الأيام تجارية تبحث وراء المال. وما دمنّا نشعر بأننا نؤدى لأمتنا الكريمة عامة، وللطبقة الممتازة من متعلميها خاصة، ما علينا من واجبات ثقافية فحسبنا هذا قناعة بل ربها عظيمة.



وإننا بهذا الصدد نسدى أجل الشكر لحضرات الكتاب الأجلاء الذين يوالون ترويد الصحيفة بكتاباتهم وبحوثهم، معتذرين عما يؤخر نشره منها، لأن نشر جميع ما يصل إلينا دفعة واحدة أمر ليس في إمكاننا.



على أن ابتهاجنا بنجاح الصحيفة وتقدمها قد شابته في هذا العدد حزننا العميق على فقد زميل كريم من زملائنا في التحرير هو المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية، والمحرر بصحيفة دار العلوم.

لقد كان المرحوم طه شخصية من شخصيات الأدب العربي، في مصر. وقد عرفه قراء الصحيفة من آثار قلمه، فإنه على الرغم من أن

المرض كان يصارعه في خلال العامين الماضيين ، لم ينقطع عن عمله في الجامعة أو في الصحيفة إلا في فترات لم يكن يقوى فيها على النهوض .
ولقد كان الفقيد الكريم رضى الخلق ، سمح اللقاء ، كثير التواضع ، فكان لا بد لك أن تسمعه أو تقرأه حتى تقف على مبلغ عامه ، وقوة حجته . عرفناه زميلا في طلب العلم في « دار العلوم » فكان مثال الطالب الذكي الحذب على درسه ، وطالما سمعنا موسيقاه الجميلة يعزفها شعرا خلايا . ثم عرفه تلاميذه في المدارس على إثر تخرجه فكان لهم الأستاذ الضليع والأب الشفيق ، والصديق الناصح . وسمت به نفسه إلى الاستزادة من العلم فرحل إلى فرنسا وهناك أقام بضعة أعوام ، حصل في نهايتها على شهادة في العلوم السياسية . ثم عاد إلى مصر فاشتغل بالتدريس في وزارة المعارف حقبة من الزمن ، ثم اختارته الجامعة المصرية مدرسا للأدب العربي في كلية الآداب .

وهناك يحدثك تلاميذه عنه وعن أثره في نفوسهم .

ففي ذمة الله هذا العالم الأديب ، وإن أسرة « الصحيفة » لتنعاه إلى قرائها وإلى عالم الأدب بقلوب مفعوجة ونفوس ملتاعة . وإننا لنقدم عزاءنا لشركائنا في الفجعة وهم أسرة الفقيد . ألهمهم الله وإيانا الصبر الجميل .

اتجاهات الأدب وأهم حواضره

في العصر العباسي^(١)

بقلم محمود البشيتي

المدرس بدار العلوم

٣

اشتمل المقال الثاني على أهم الحواضر الأدبية في القسم الشرقي من الدولة العباسية، ونريد الآن أن نعرض لأشهر الحواضر في القسم الغربي منها، وبذلك يتم موضوعنا، فيتم به ما أردنا من تتبع الحركات الأدبية شرقاً وغرباً طوال العصر العباسي، وعقد الصلات الوثيقة بين الظواهر السياسية والأدبية. وبعد فإن أشهر الحواضر الأدبية في غربي العراق ما يأتي :-

١ - مدينة (حلب) عاصمة الدولة الحمدانية التي قامت بحلب والموصل (من عام ٣١٧ هـ إلى عام ٣٩٤ هـ) وحسبك في بيان مكانة هذه الحاضرة أن يكون من أمرائها (سيف الدولة بن حمدان التغلبي). ذلك الأمير الذي لم تشغله أعباء الملك وأحوال الحروب عن أمر الأدب ورعاية العلماء؛ فجمع حوله أفئدة العلماء والشعراء، بما أسبغ عليهم من نعم، وما تجمل به من أدب، وما عرف به من نقد الشعر، والإجازة عليه، حتى قيل إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء، ولا غرو فقد نشأ في بيئة عربية خالصة، وأخذ عن فحول العلماء كابن خالويه النحوي، وطالت مخالطته لهم، فازداد بالعلم والأدب بصراً ومعرفة.

(١) راجع المقالين الأول والثاني في المجلدين الأول والثاني من السنة الثانية من صحيفة دار العلوم.

من أجل ذلك كثرت جمهرة الأدباء والعلماء الخافين من حوله : فزاحموا
على بابه ، وتنافسوا ، بل تحاسدوا في القرب منه ، والحظوة عنده ، وما حصل
بين المتنبي وابن خالويه ذائع مستفيض .

كان (سيف الدولة) نفسه شاعراً حسن الشعر ، فمن شعره هذه المقطوعة
الجيدة في وصف مجلس الشراب وقوس قزح : -

وساق صييح للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجو دُكناً والحواشي على الأرض
يطررها قوس السحاب بأصفر على أخضر في أحمر تحت مبيض
كأذيال خوذ أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض
ولقد أعجب (الثعالبي) في اليتيمة بهذه الأبيات فوصفها بأنها ومن التشبيهات
الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوق ، على أن من الإنصاف أن نقول إن
بعض الرواة ينسبها إلى (ابن الرومي)

وبما يدل على اهتمامه بالنقد مارواه صاحب اليتيمة من أنه استنشد : أبا الطيب
المتنبي ، قصيدته التي أولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
فلما بلغ (المتنبي) قوله : -

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم
قال (سيف الدولة) قد اتقدنا عليك هذين البيتين كما اتقد على امرئ
القيس ، بيتاه : -

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أبتطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لحلى : كرى كرة بعد إجفال
وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين وكان ينبغي
لامرئ القيس أن يقول :

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخلي كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولك أن تقول : —

وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثرعك باسم
تمر بك الأبطال كلنى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال (أبو الطيب) : أيد الله مولانا ؛ وإن صح أن الذى استدرك على
امرى القيس هذا كان أعلم بالشعر منه فقد أخطأ « امرؤ القيس » وأخطأت أنا ،
ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك ؛ لأن البراز يعرفه جملة ،
والحائك يعرف جملة وتفريقه . . . وإنما قرن امرؤ القيس لذة الركوب للصيد
بلذة النساء ، وقرن السباحة فى شراه الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ،
وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ،
ولما كان وجه الجريح المنزوم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون
باكية قالت (ووجهك وضاح وثرعك باسم) لاجمع بين الأضداد فى المعنى وإن
لم يتسع اللفظ لجميعها ، فأعجب « سيف الدولة » بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً
من دنائير الصلات (١) .

ومهما تكن قيمة هذا النقد فإنه دليل على شدة عناية « سيف الدولة »
بالادب وأهله ، كما أن إعجابه برده « أبى الطيب » دليل على نبالة قصده ، ورجاحة
عقله ، وسعة حلمه ، وأنه أريحى النفس ، لا تصرفه عظمة الملك عن الحقيقة .

وعلى الجملة كانت (حاب) أيام سيف الدولة مهبط الأدباء ، وقبة العلماء ،
فكان ينزلها من الشعراء أبو الطيب المتنبي ، وأبو فراس الحمداني ، وأبو الفرج
البيهقي ، وكشاجم ، والخالديان : أبو بكر وأبو عثمان ، ومن العلماء أبو عبد الله
الحسن بن خالويه النحوى ، وأبو الفتح عثمان بن جنى صاحب (الخصائص)

(١) كان لسيف الدولة دنائير أعدها للصلات ، فى كل منها عشرة مثاقيل وعليها اسمه
وصورته (يتيمة الدهر الجزء الأول)

في فقه اللغة . إلى غير أولئك من شعراء حلب والشام والموصل ، وفي (قيمة
الدهر) مختارات من أجود الشعر لهؤلاء الشعراء وغيرهم من شعراء (سيف
الدولة) ، فحسبنا من شأن (حلب) ما تقدم .

٢ - ومن تلك الحواضر مدينة (القاهرة) التي حَسَتْ على الأدب حنوا
شديدا ، وأصبحت على عهد الفواطم كعبة العلماء ، ومقصد الأدباء ، تهوى إليها
جموعهم من أطراف البلاد المصرية وغيرها ؛ وهم ما بين عالم وطالب علم فتوسع
لهم القاهرة صدرها ، وتغدق عليهم برها ، وقد زاد في مجدها وأعلى من ذكرها ،
وجود (الجامع الأزهر الشريف) الذي أسس مع القاهرة لعهد الفواطم
(عام ٣٥٩ هـ) فما لبث أن ضم بين جوانبه أفواجا من أئمة الفقه والأدب ، على
اختلاف أجناسهم وبلدانهم ، وغدا عاملا من أهم العوامل على نشر العلوم اللسانية
والدينية ، وأصبح ملاذاً رحبا للأدب العربية ورجالها الذين نزحوا إلى مصر
من الشرق والغرب ، وساعد على نباهة شأن (القاهرة) ما وجد فيها من (مكتبات)
علمية حافلة عامة كمكتبة (الحاكم بأمر الله الفاطمي) وما انبث فيها من مدارس
كثيرة غنية بالعلماء ، موطأة الأكتاف للطلاب .

ويطول بنا المقال إذا حاولنا استقصاء ما للقاهرة من آثار خوالد في جنبات
العلم والأدب ، ولكن لا بد لنا أن نعرض دُرُرا يسيرة من كلام شعرائها في ذلك
العهد ، أولئك الشعراء الذين نشئوا في أرض مصر ، أو نزلوا بها وتكلموا في
معاهدها ، واتخذوها مستقرا ومقاما ، فجاء شعرهم على كثرة رائع اللفظ ، حسن
الديباجة ، رقيق الحواشي ، وانطبعت فيه صورة مصر والنيل السعيد .

وإنا لنكتفي في هذا المقام بالشعراء : تميم بن المعز المتوفى عام ٣٧٤ هـ ، وابن
قلاقس اللخمي المصري المتوفى عام ٥٦٥ هـ ، وابن النيه المتوفى عام ٦١٩ هـ ، وابن
مطروح المتوفى عام ٦٤٩ هـ ، والبهاء زهير المتوفى عام ٦٥٦ هـ وكلهم (ما عدا
الأول) نشئوا قريبا من سقوط بغداد ، أي في زمن اضمحلال الأدب بوجه
عام ، ومع ذلك ترى في شعرهم رقة وانسجاما ، وتعرف فيه الجزالة والقوة
والبراعة ، وتلك صفات لا يكاد يخلو منها في ذلك العهد شاعر مصري

من قول تميم بن المعز يصف فوارة ، وفيه من دقة الوصف ما فيه : —
 ووذقة بالماء في وسط بركة قدالتحمت طلامن الأيك سيجسجا
 إذا اسعشت بالماء سلتته مُصلا وعاد عليها ذلك النصل هودجا
 تحول إدراك النجوم بقذفها كأن لها قلبا على الجو مُخرجا
 ومن شعر (ابن فلاقس) الملقب بالقاضي الأعز يصف غروب الشمس
 فوق نهر النيل : —

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة وأعجب لما بعدها من حمرة الشفق
 عات وأبدت شعاعا منه يخلفها كأنما احترقت بالماء في الفرق !
 وللحال : فمـل وافي لينقذها في إثرها زورقا قدصيغ من ورق ؟
 مظهر الإبداع والروعة في بيته الثاني ، أما تشبيه الهلال بزورق من فضة
 فقد سبق به (ابن المعتز) .

ومن كلام (ابن التيه) في الرثاء : —

لا تصلح الأرواح إلا إذا سرى إلى الأجساد هذا الفساد
 أرغمت يا موت أنوف القنا ودست أعناق السيوف الحداد
 وفي البيت الأول معنى فلسفي عجيب .

ومن قوله تلك القصيدة المشهورة التي يُتغنى بها الآن ومطلعها : —
 فديهِ إن حفظ الهوى أوضيعا ملك الفؤاد فما عسى أن أصعا ؟
 ومنه في الوصف والغزل الرقيق : —

س سحر عينيك الأمان الأمان قتلت رب السيف والطيلسان
 أثمر كالرمح له مقلة لو لم تكن كحلاء كانت سنان
 برداد . إن أشكُ له ، قسوة ولو شكوت الحب للصخر لان
 سقى سها رضوان عن حفظه ففر من جملة حور الجنان
 بدر ، وكأس الراح شمس الضحا لله ما أسعد هذا القران

ومن كلام (ابن مطروح) في الغزل :

وما أنس لأنس المليحة إذ بدت دُجِّي ، فأضاء الأفق من كل موضع
فحدثت نفسى أنها الشمس أشرقت وأنى قد أوتيت آية (يوشع)
وأما شعر (البهاء زهير) فشائع مأثور ، على أن نروى له المقطوعة الآتية ،
وقد قلها في الحنين إلى مصر وهو بعيد عنها في بلاد الشام :

سقى واديا بين العريش فبرقة من الغيث هطل الشايب هتان
وحيا النسيم الرطب غنى إذا سرى هنالك أوطانا إذا قيل : أوطان
بلاد متى ما جت بها جنت جنة لعينك منها كلما شئت رضوان
تمثل لي الأشواق أن تراثها وحصابها مسك يفوح وعقيان
فيا ساكني مصر تراكم علمتم بأنى مالى عنكم الدهر سلوان ؟
وما في فؤادى موضع لسواكم ومن أين فيه ؟ وهو بالشوق ملان
وهذه المقطوعة وحدها كافية في الدلالة على رقة طبع (البهاء) وسلامة ذهنه
وجزالة لفظه ، ومثانة شعره .

(٣) ومن حواضر الأدب مدينة (قوص) في صعيد مصر ؛ روى (يافوت الحموى) في معجم البلدان أنها كانت كثيرة الأسواق ، ومحط الرحال ، وفي
الحجاج : إذ كانوا يسافرون منها إلى (القصور) ثم إلى الحجاز ، وإليها يعزى
من الحج ، وكانت أعظم مدن الصعيد وقتئذ ، نزل بها القوافل الواردة من بحر
الهند والحبشة واليمن والحجاز ، وفيها كثير من الفنادق ، وبها كثير من أرباب
الصناعات والفنون والتجار والعلماء ، بدأت في ذلك العمران في نهاية القرن
الرابع الهجرى ، وكان بها ست مدارس (كما كان بإسنا مدرستان وبالأقصر
مدرسة) وصارت بما فيها من المدارس ومن نزل بها من العلماء منبع العلم ومصدر
الأدباء ، وعرفت مدارسها على وجه خاص بدراسة الحديث الشريف ، وبها
تخرج كثير من الأدباء كالبهاء زهير وابن مطروح ، وقد دامت لها هذه السيرة
دهرا طويلا ، وكان من أجلاء شيوخها الإمام الكبير (تقي الدين محمد بن أبي

عبد الدين القشيري) الذي انتهت إليه رئاسة العلم في زمنه، وأصبح مقدماً في معرفة علل الحديث. منفرداً بهذا العلم، بارعاً في العلوم العقلية والعقلية، وهو صاحب كتاب (الإمام) في الحديث. وشرح كتاب (العمدة) لابن رشيق الف. أوى. وشرح (العنوان) في أصول الفقه، وله مع ذلك شعر حسن. ولما مات (عام ٥٧٠ هـ) رثاه (الشريف محمد بن محمد بن عيسى القوصي) بقصيدة منها:

سيطول بعدك في الطول وقوفي أرزوى ترى من دمعى المذروف

لو كان يقس فيك حنقك فدية لصدت من علمائنا بألوف

(٤) وأما بلاد الأندلس فقد تعددت حواضر الأدب فيها بتعدد ممالكها، وجموع أمرائها، الذين يسمون بملوك الطوائف، أولئك الذين غلبوا على البلاد وألغوا أمرهم فيها بعد ضعف الدولة المرابية الثانية؛ وما أشبه تلك الدويلات بنت الممالك التي انسلخت من الدولة العباسية في الشرق والغرب؛ بتدخل الأتراك في شؤونها واستبدادهم بخلفائها، منذ عهد المعتصم. فقد كانت قرطبة من أجل مركز الأدب، ثم انضم إليها (بطليوس) في عهد دولة (بنى الأفطس) و (صديطة) في عهد دولة (إسماعيل بن ذى النون) و (سرقسطه) في عهد دولة (بنى هود) و (أشبيلية) في عهد (آل عباد). و (بلنسية) في عهد (نصور المعافري).

وكما كان التنافس شديداً في الشرق بين الممالك الناشئة، كان على أشده بين أمراء ملوك الطوائف، فلا عجب أن صارت بلاد الأندلس كلها وقتاً ما حاضرة صالحة للعلم والأدب، ولا غرو أن ينبغ فيها أولئك العلماء الأجلاء، ذوو الأثر الخالد، والصيت الذائع في الشرق والغرب.

فمنهم الإمام (علي بن أحمد بن حزم الظاهري) الفيلسوف المتوفى عام ٤٥٦ هـ وهو صاحب كتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) وغيره من المؤلفات القيمة. والإمام اللعوي البارع (أبو الحسن علي بن إسماعيل) المعروف (بابن سببه) المتوفى (عام ٤٥٨ هـ) وحسبه أن يكون صاحب (المختصر) في فقه اللغة، وهو أمتع كتاب في هذا الباب.

والامام الفيلسوف (القاضي أبو الوليد محمد بن احمد بن رشد) القرطبي شيخ فلاسفة الأندلس، المتوفى عام (٥٣٩٥ هـ) وهو علم من أعلام الفلاسفة، هو وارث (أرسطو) وشارح فلسفته. وله من المؤلفات كتاب (فصل مقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال)، وكتاب (تهافت لتهافت) في الرد على كتاب (تهافت الفلاسفة) للغزالي.

والامام النحوى الجليل (أبو عبد الله محمد جمال الدين الطائى الشافعى الجياني) المتوفى بدمشق عام (٥٦٧٢ هـ). وقد نزح إلى المشرق بعد أن تلقى العلم (بجيان) على (أبي علي الشلوين وثابت ابن حيان) واستوطن دمشق، وكان إماما في النحو والصرف والقراءات وعللها، وهو صاحب الألفية والكافية، والتسهيل ولامية الأفعال. وهي من المراجع الموثوق بها في علمي النحو والصرف. ولا بأس أن أورد هنا بعض ما قيل فيه من المرائي. تديانا لمكاته غسة؛ وسيرى القارئ فيه لونا من التكلف لا يخلو من طرافة. قال (شرف الدين الحصني) في رثائه:

ياشتات الأسماء والأفعال بعد موت بن مالك المفضل
واحراف الحروف من بعد ضبط منه في الانفصال والاتصال
مصدرا كان للعلوم بإذن الله (م) من غير شبهة ومحال
ألم قد عراه أسكن منه حركات كانت بغير اعتدال
صرفوه يا عظم ما فعلوه وهو عدل معرف بالجمال
يا لسان الأعراب يا جامع الإعراب (م) يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان في النظم والنثر (م) وفي نقل مسندات العوال
كم علوم بثنتها في أناس علموا ما بثت عند الزوال
وهذه الآيات من قصيدة كلها على هذا النحو ومع ذلك يقول (الصادق الصفدي) (١). ما رأيت مرثية في نحوى أحسن من هذه!!

وبعد فإن استقصاء أعلام الأدب في الأندلس يحتاج إلى وقت طويل ،
وحت حاص . وحسبنا الآن من شمس المشرقة ذلك القبس المتألق ، وعلى الحلة
كانت الأندلس تفيض بالعلم والعلماء ، وقد نزح كثير منهم بعد اضمحلال شأن
"عرب همالك إلى القيروان ومصر والشام واتخذوها مستقرا ومقاما . فساعدوا
على صون اللغة وتضبطها .

ولقد كان للتنافس بين الشرق والغرب من جهة . وبين ملوك الطوائف من
جهة أخرى أكر الأثر في تلك النهضة العلمية . التي انتجت هذه الثروة العلمية
كبدة الضخمة . ولقد كانت الأندلس سندا في نشر الثقافة ببلاد أوروبا ، فقد قصد
من أوروبا مدارس قرطبة وأشبيلية وطليطلة . وتلقوا العلوم على علمائها . ونقلوا إلى
لاتينية الفلاسفة اليونانية ومؤلفات ابن سينا والرازي والمجسطي ، لبطليموس في
البصيرة السماوية وقد كثرت مكنتبات الأندلس اخافلة ومدارسها المختلفة في
تبرن الخامس . وقد حققوا أنه كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة بها مواضع
حصه للنقل والمطالعة والترجمة ، ولقد أحرقت أهل اسبانيا معظم هذه المكتبات ؛
ولم يبق في مكتبة (الاسكوريال) الآن بالأندلس إنما هو صابغة من ذلك
مضمم الهائن ، أبقى عليها الأسبانيون ونقلوها إلى مكنتبتهم لما أفاقوا من
عستهم . وثابوا إلى رشدهم . وهدأت فيهم سورة القمع . وأشبعوا شهوة الانتقام .
وسبذكر المصنفون من علماء الغرب كيف أشرقت عليهم شمس المعارف
م هديك البلاد . ويحسن في هذا المقام أن أثبت عبارات نقلها الأساتذة الأجلاء
من نحو (أدبيات اللغة العربية) عن مجلة المقتطف (المجلد الثالث رقم ٧) ونصها : —
" ليقول لنا أهل أسبانيا أين الثمانون ألف كتاب التي أمر كرينالهم (شمين)
حرقها في ساحات (غرناطة) بعيد استظهارهم عليها فأحرقوها وهم لا يعلمون
م يعملون . حتى أفنوا على ما قال مؤرخهم (ريلس) ألف ألف وخمسة آلاف
م !! كلها خطتها أقلام العرب ! وليتهم يحبروننا كم من كتاب لعبت به نيرانهم
م ذلك ؟ حتى لم يبقوا من معارف العرب ولم يذكروا : وما يقولون عن السفن
الاث التي ظفروا بها مشحونة بالمجلدات العربية الصخمة وطالبة ديار سلطان

مرا كش فسلبوها وألقوا كتبها في قصر (الاسكوريال) سنة ١٦٧١ م (١٠٨٢هـ) حتى لعبت بها النيران فأكلت ثلاثة أرباعها ولم يستخلصوا منها إلا الربع الأخير حينما استفاقوا من غفوتهم ، وعلوا كبر جهالتهم ، فقوضوا إلى ميخائيل القصيرى الطرابلسى المارونى ترتيبها وكتابة أسمائها ، فكتب لهم ١٨٥١ كتابا منها ، فعل ما فى هذه الكتب - وما بقى فى إفريقية والمشرق - قصر أهل هذه الايام معارف العرب ، وحتى هذه لم يستوعبوا جميع ما فيها .

واليك ما نقله أولئك الأسانذة الأجلاء عن مجلة المقتطف (المجلد الثالث وجه ٩١ ، ٩٢) :-

• فى القرون الوسطى قصد أهل أوربا مدارس الأندلسيين ، وكانت على غاية الاتقان ، وقرموا العلم فيها ثم تزودوه منها إلى بلادهم ؛ ففي سنة ٨٧٣ م أمر (هرتموت) رئيس دير (مارى غالن) جماعة من رهبانه بدرس اللغة العربية لتحصيل معارفها ، وكان الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم العربية بشون لا مزيد عليه ، وأشهر من تعلم العلم من العرب البابا (سلفستر الثانى) قدمه فى أرض الأندلس فرتع فى مدارس أشيلية وقرطبة وصرف الى العترة رغبته . فلما ساغها هنيئا عاد إلى دياره وما زال يسمو على أقرانه حتى نصب (.) فساد للعلم مدرستين الأولى فى إيطاليا والثانية فى (ريمز) . وأدخل إلى أوربامعارة العرب والأرقام الهندية التى نقلها عنهم . ثم ثارت الحمية فى أهل إيطاليا وفرنسا وجرمانيوا و إنجلترا : فطلبوا الأندلس من كل فج عميق ، وتناولوا المعارف من أهلها قال (مونتكللا) فى تاريخ العلوم الرياضية (ولم يقم من الأفرنج عالم بالرياض إلا كان علمه من العرب مدة قرون عديدة) فمن جملة من نقل عنهم المعارف من أهل إيطاليا (دو كرىمونا) . قرأ علم الهيئة والطب . والفلسفة (بطليطة) . وترسم عنهم (المجسطى) ، وكتب الرازى والشيخ الرئيس إلى اللاتينية ، و (ليوندر ألبير) نقل عنهم الحساب والجبر ، و (أرنولد الفيلا نو فى) نقل عنهم الهيئة والطب . والطب .

ثم ينقل الأستاذة الأجله أصحاب (أدبيات اللغة العربية) عن جريدة مدرسة
ادنبرج الكلية هذه العبارة :

« انا لمدينون للعرب كثيرا ، ولو قال غيرنا خلاف ذلك : فأنهم الحلقة التي
وصلت مدنية أوربا قديما بمدنيها حديثا ، وبنجاحهم وسمو همتهم ، تحرك أهل
أوربا إلى إحراز المعارف . واستفاقوا من نومهم العميق في العصور المظلمة ، ونحن
نهم مدينون أيضا ، بترقية العلوم الطبيعية . والفنون الصادقة النافعة ، واثير من
المصنوعات والمخترعات التي نفعت أوربا كثيرا علما ومدنية .. »

بقى أن ألم الإمامة سريعة بحاضرتين من حواضر الأدب العربي ، كان لهما من
وفرة الأدباء شأن لا يستهان به ، أعنى بهما (القيروان) و (صقلية) :

أما القيروان فقد نبه ذكرها بكثير من الشعراء :

فمنهم (ابن شرف القيرواني) المتوفى سنة ٤٦٠ هـ بالمرية من بلاد الأندلس ،
وهو الذي يقول (وكان مغرما بالمحسنات البديعة) :

إن ترمك الغربية في معشر قد أجمع الناس على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم وأرضهم مادمت في أرضهم

ويقول في وصف (عود) :

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذي زكت منه اغصان وطابت مغارس

تعنى عليه الطير والعود أخضر وغنت عليه الغيد والعود يابس

ومنهم (أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري) المتوفى سنة ٤٥٣ هـ الذي كانت داره

مسمى شباب القيروان ، ينشد هم شعره ويتلقون عنه أدبه . وهو صاحب (زهر

لأدب) الذي يعد من أمتع كتب الأدب : لحسن تبويبه وجمال تقسيمه ، وما

أودعه من جيد المنظوم والمشور .

ومنهم (أبو الحسن الحصري) المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، كان أدبيا شاعرا عالما

بقراءات ، وله تلك القصيدة الدائعة الصيت ، الرقيقة اللفظ والمعنى ، وهي

التي مطلعها : —

يا ليل الصب منى غده أطلوع الساعة موعده
رقد السهار فأرقه أسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له بما يرعاه ويرصده

يا من حجدت عيناه دمي وعلى خديه توره
خداك قد اعترفا بدمي فعلام جفونك تجحده ؟
ولروعتها ورقتها غنى بها الشعراء معارضة واقتباساً ، فمن عارضها المرحوم
اسماعيل صبرى باشا بقصيدة منها : —

أقرب من دنف غده فالليل تمرد أسوده
والنفث تحت عجاجته ييض في الحى تؤيده
وأما الشعراء المرحوم شوقي بك بقصيدة منها : —

مضناك جفاء مرقدته وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه مقروح الجفن مسهده

ومنه (الحسن بن رشيق القيرواني) وهو أديب فضل ، وشاعر مجيد ،
ومؤلف بارع ، حسبه أن يكون من مؤلفاته كتاب (العمدة) في صناعة الشعر
ونقده . نشأ بالقيروان ، وظل بها حتى خربت ، فارتحل إلى صقلية ، ومات
سنة ٥٤٥ هـ ، ومن جيد شعره :

في الناس من لا يرتجي نفعه إلا إذا مس بأضرار
كالعود لا تطمع في طيبه إلا إذا أحرق بالنار

وقوله : —

ومن حسنات الدهر عندي ليلة من العمر لم تترك لأيامها ذنباً
خلوناها تنفى القذى عن عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكناً
وملنا لتقيل الثغور ولثما كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا
وأما (صقلية) فقد كانت حاضرتها (سرقوسة) حافلة بالشعراء الذين امتازوا

سفه الوصف وبديع الخيال . ساعدهم على ذلك ما امتازت به جزيرتهم من جمال الطبيعة . وما فيها من مناظر خلابة ، ومشاهد رائعة جذابة . ومن شعرائها : —
 الشاعر المبدع (عبد الجبار بن حمديس الصقلي) نشأ بصقلية وثقف فيها ، ووطن بها ، حتى سقطت في يد الزمان سنة ٤٧١ هـ فهجرتها إلى الأندلس . واتخذ أنشيلية داراً . أيام صاحبها المعتمد بن عباد . ثم رحل إلى إفريقية ومدح الأمير يحيى بن تميم بن المعز الطاهي ، ثم قصد جزيرة (مَيْرُقة) وعاش فيها حتى أدركه الموت ، سنة ٥٢٧ هـ ومن كلامه :

وليلة حالكة الازار مدت جناحا كسواد القار
 تحجب عنا غرة النهار عقرت فيها الهم بالعُقار
 بجسم نور فيه روح نار في مجلس ضم بني الفخار
 كهالة تضحك عن أقمار تراحم بأنجم درارى

ومن شعره في الحنين إلى صقلية : —

ذكرت صقلية والأسي يحد في النفس تذكاريها
 فان كنت أخرجت من جنة فان أحدث أخبارها
 ولولا ملوحة ماء البكاء حسبت دموعي أنهارها

ومنه في تعزية آل (عباد) أصحاب أشيلية عن ملكهم لما نكبهم ملك المغرب يوسف بن تاشفين ، وكانوا غرة في جبين الزمان :

أتأس من يوم يناقض أمه وشبه الدرارى في البروج تدور؟
 ولما رحلت بالندى في أكفكم وقف رضوى منكم وثبير
 رفعت لسان بالقيامة : قد دنت فهذي الجبال الراسيات تسير
 ومن كلامه :

قم هاتها من كف ذات الوشاح فقد نعى الليل بشير الصباح
 من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغوادي من ثغور الأقاح

وكان بصقلية كثير من العلماء؛ منهم على بن جعفر السعدي المعروف بان
القطاع، ذو التصانيف الممتعة في النحو، مثل كتاب (الأفعال) الذي يعد من
أحسن الكتب وأنفسها، وكان شاعرا رقيق الشعر، منسجم العبارة ومن كلامه:

أرفق بصب أقي ذليلا قد مزج اليأس بالرجاء
أنهكه في الهوى التجنى فصار في رقة الهواء

ومن كلامه أيضا: —

فلا تنفدنَّ العمر في طلب الصبا ولا تشقين يوما بسعدي ولا نعم
ولا تندبن أطلال مئة باللوى ولا تسجين ماء الشؤون على رسم
فان قصارى المرء إدراك حاجة وتبقى مذمات الأحاديث والاثم

ومن أدياء صقلية وعلماؤها الأعلام حجة الدين (محمد بن ظفر الصقلي)
صاحب كتاب الينبوع في تفسير القرآن الكريم. وشارح مقامات الحريري.
ومؤلف كتاب (سلوان المطاع في عدوان الاتباع) ألفه لبعض قادة الجيش
بصقلية، وقد تقلبت به الأحوال حتى أقام بمدينة (حماة) بالشام. ومات بها.
٥٦٥ هـ، وله شعر رقيق منه: —

حملتك في قلبي فهل أنت عالم بأنك محمول وأنت مقسم ؟
ألا إن شخصا في فؤادي محله وأشتاقه . شخص على كريم

محمود البشبيشي

حول إعجاز القرآن^(١)

٣

دقة الألفاظ وانسجامها

بذلهم السباعي يرومي

الأستاذ بدار العلوم

أما وقد كشفنا في مقالنا الفائت عن ناحية من نواحي إعجاز القرآن الكريم من وضوح المعاني واثباتها ، فلنكشف في هذا المقال عن ناحية أخرى ؛ هي دقة الألفاظ وانسجامها ، ، قاصدين بالدقة إحكام الاستعمال . وبالأنسجام قصدا ، ، ما يشمل ما بين اللفظ واللفظ كما يشمل ما بين اللفظ والمعنى ؛ فاللفظ في تركيبه تشق وانسجام إلى الألفاظ ، كما له هذا إلى المعاني الجزئية له والعامة للتركيب . فالدقة فقد وضحت في المفردات من صروف وأسماء وأفعال كما وضحت في الأكيك . وأما الانسجام فقد كثرت له في النوعين الأمثال . وهذا بعض ما يمكن في ذلك أن يقال .

أولا - الدقة

(١) في الحروف

من دقة القرآن في استعمال الحروف مخالفته تين (في) و(على) مخالفة يستدعيها السياق ؛ من ذلك قوله تعالى « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » ، مختارا (ع) للهدى ؛ لأن صاحب الحق قوى ذو استعلاء . ومختارا (في) للضلال ؛ لأن صاحبه ضال ضعيف ، لا يزال منعصا في حيرته . مترديا في هوته ؛ ولذلك قال سبحانه في آية أخرى « تالله إنك لفي ضلالك القديم » .

(١) راجع المقالين الأول والثاني في العدد الأول والثاني من السنة الثانية من « صحيفة دار العلوم »

ومن أدق ما يلاحظ في استعمال (على) أن العلو فيها قد يكون في حال الضلال كما رأته في حال الهداية ، ولكن على شرط أن يكون مضعفا لا مقويا ، كما في قوله تعالى « أفمن يمشى مكما على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » ، فمن ركب وجهه يزداد ضلالا كمن ركب رأسه ؛ ذلك لا يبصر وهذا لا يعقل . ولذا أتى في الآية بكلمة « مكب » لتزيد الإضعاف قوة .

ولم تعد (في) أن يكون لها استعمال مناظر لهذا الاستعمال في (على) : فتأتي معه كسبه للأصل الذي كررناه ، وذلك كما في قوله تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم وحملهم في البر والبحر » فالظاهر كان أن يقال : على البر والبحر ، ولكن لما كانت الآية ثمة . وكان في الحمل مظنة هلاك كانت (في) أدل على ذلك من (على) ؛ لأنها أكثر أشعبا بحاجة الخوف منها .

ومن تلك الدقة في الاستعمال أيضا مخالفته بين في واللام في المدخول عند من مستحقى الزكاة الثمانية في قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله » فقد أدرج على الأربعة الأولى اللام ، وخالف نخص الأربعة الثانية بنى . كي يشعر بسبب المخالفة أن الاستحقاق في الأخيرين أقوى ، وأنهم بالزكاة أولى ، إذ هي معهم لرفع عام ؛ في حين هي مع الأولين لا تعدو النفع الخاص . وهنا دقيقة زائدة تلك ، كرر (في) تكريرا قرن بين الرقاب والغارمين ، كما قرن بين سبيل الله وابن السبيل زيادة في التوصية بهذين ، وجعا بين النظائر .

ومنها أيضا استخدام (عن) بدلا من (في) حيث يقول : « الدين هم عن صلاتهم ساهون » ، رحمة بعباده ؛ وتسهيلا ، إذ لا يخلو (مصل من سهو في صلاته) ولو عكس لما بقي لمصل صلاه ، ولحق عليه الويل المهدد به قبل الآية هؤلاء ؛ فالخجدة عن (في) إلى (عن) فصرت هذا العذاب على تاركى الصلاة دون الساهين فيها ، ومن هنا هم الحكمة في قول ابن عباس رضى الله عنهما « الحمد لله الذى قال : « عن صلاتهم ساهون » ، ولم يقل : في صلاتهم » .

ومنها وهى كثيرة قوله تعالى « فابعثوا أحدم بورقكم هذه إلى المدينة ابكم

يق منه ولينلطف ولا يشعرون بكم أحدا ، فقد حول العطف من الفاء إلى الواو .
حيث انقطع الترتيب الذي من أجله جاءت الفاء .

(٢) في الأسماء

ومن دقته في استعمال الأسماء ، العدول عن الصيغ العادية إلى صيغ المبالغة .
تبتطلب المعنى هذا العدول ، كقوله تعالى : « الحى القيوم » وقوله : « علام
الغيوب » وقوله : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وهو كثير جداً وليس
في حاجة إلى بيان وجه العدول ، ولا إلى زيادة في الاستشهاد

ومنها التفرقة بين المترادفين وتخصيص كل واحد منهما بموضع دون نظيره ،
كاستعمال السبيل للخير ، والطريق للشر ، لاضافة الأول دون الثانى إلى الله . مثال
الأول قوله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة » ومثال الثانى قوله
تعالى : « إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً » ولذلك كان إذا استعمل الطريق في
خير قرنه بما يفهم ذلك . كقوله تعالى : « يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم »
« لا تستمعن في السر لم يك هذا إلا على سبيل التناظر » كقوله تعالى : « ولا تتبعوا
الذين افترق بكم عن سبيله » وهنا لطيفة - وإن لم تك من مبحثنا بل من مبحث
المراد والثنية واجمع وهو ذو مكانة في القرآن - هي إفراد السبيل مضافا إليه
حانه ، وجمعه قبل ذلك إشعاراً بأن الحق واحد والباطل متعدد . ومن هذا النوع
أساس استخدام السنة للشدة والجذب ، والعام للرخاء والخصب ، قال تعالى : « ولقد
أمدنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » وقال : « ثم يأتي
بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » وذلك لما جرت عليه العرب
في استخدام السنة دون العام في الجذب ، وإن كانت استخدمتها في غير الجذب أيضاً

(٣) في الأفعال

ومن دقته في استعمال الأفعال ، التفرقة بين الماضى والمضارع في بناء الجمل ؛ فع
أن جملة الفعلية للتجدد والحدوث ، فانه يريد من ذلك فى الماضى مطلق الحدوث ، وفى
المضارع تجدد الحصول ؛ انظر قوله تعالى على لسان ابراهيم : « الذى خلقنى فهو يهدين .

والذى هو يطعمنى ويسقئ ، وإذا مرصت فهو يشبهين ، كيف أتى فى الخلق بالمضى
لأنه مفروغ منه ، ثم أتى فيما بعده من الهداية والاطعام والسقى والشفاء بالمضروب
لأنه متكرر . وفى هذه الآية من نواحي البلاغة غير هذا . استخدام صدر
الفصل مع الأفعال المسندة إلى الله إذا كانت مظهر اشتراك : كما فى يهدىنى ويطعمنى
ويشقىنى ، وتركه إذا لم تكن كذلك ، كما فى (حلقى) ، وقد يقال : ولم أذن تركه مع
(يشقىنى) وهو مظنة اشتراك ؛ فيقول : إنه تركه معه اكفاء بمعنى يطعمنى ، لأن
كليهما بمثابة فعل واحد هو يعزى . وفيها غير هذين قيد الشفاء بحال المرض ، ورث
مأمعه من الأفعال لأنه لا يطلب إلا فى تلك الحال وهى عادية تطالب فى كل حال .
ومنها كما فى الأسماء التفرقة بين المترادفين ، كالخشية والخوف : فقد حس
الأول بالخوف ينشأ من عظمة الخوف ، وجعل الثانى له يأتى من ضعف الخائف .
ولذلك يعبر عن الخوف من الله بالخشية ؛ قال سبحانه وهو شاهد للآثمين .
« يخشون ربهم ويحافون سوء الحساب » وإذا استعمل الخوف مع الله ملاً
الخشية فلا بد أن تجد فى التركيب ما يكمل هذا القصد كقوله : (من فوقهم) فى
الآية : « يخافون ربهم من فوقهم » . وكالحجى والاتبان ، حيث يكون الأول للدوام .
والثانى للأحداث قال تعالى : « ولمن جاء به حمل بعير » ، وقال : « أتى أمر الله » .
وكالمند فى المكروه والإمداد فى المحبوب . قال : « ونمد له من العذاب مداً » . وق :
« وأمدناهم بقاكة » . وكالسقى لما لا كلفة فيه ، والاسقاء لما فيه كلفة ، قل تعز
« وسقمهم ربهم شراباً طهوراً » . وقال : « وأن لو استقموا على الطريقه لأفقه
ماء غدقاً » . وكالعمل لما فيه امتداد ، والفعل لما فيه عجلة ، قال تعالى : « يعملون » .
ما يشاء . وقال : « كيف فعل ربك بعاد » . وكالتام لازالة نقص فى الجود .
والكمال لازالته فى العرض . وقد اجتمعا فى قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتى » . وكالاعطاء فى المندوب ، والإيتاء فى الواجب : وهذا
كان الأول مع الصدقة ، كما فى قوله : « فأما من أعطى واتقى » . وكان الثانى مع
الزكاة ، كما فى قوله : « وآتوا الزكاة » ، وهكذا

(٤) في التراكيب

لعل من أظهر ما يذكر عن الدقة في التراكيب بالقرآن الكريم . مماضاته
 من أجل من حيث الاسمية الموضوعية للثبوت والاستمرار ، والفعلية الموضوعية
 للحدود والحدوث ، في الاستعمال . فقد بلغ في ذلك أسى بيان . قل تعالى : . ومن
 ادس من يقول آمنا بالله ، ول يوم الآخر وما هم بمؤمنين ، فأق في إسناد هؤلاء
 ادس وهم المندققون للإيمان إلى أنفسهم بالفعلية . وفي سلبه (سبحانه) له عنهم بالاسمية
 لآس كاذبون في قولهم : وما كان ليجمعهم يعبرون عن إيمانهم بالاسمية إلا مكابرة
 ومخاراة اذا قرعوا بالسؤال . كما في قوله : . وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا
 نحن مصلحون . ولذلك رد عليه سبحانه هذا الرعم بحملة اسمية مؤكدة أنها
 من مؤكدات جهلهم حيث يقول : . ألا إنهم هم المفسدون ولكن
 لا يشعرون . وعن هؤلاء المنافقين يقول جل شأنه : . وإذا لقوا الذين آمنوا
 قالوا آمنا . وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إيماننا مستهزون : الله يستهزي
 . ويمدهم في طغيانهم يعمهون . فيجعل قولهم للمؤمنين بالفعلية : لأنه عن غير
 عذبة ، ويجعله اشياطينهم بالاسمية المؤكدة : لأنه يقينهم واعتقادهم . وكذلك يجعله
 في استهزائهم بالمؤمنين لأنه كذلك . ثم لا يترك الآية حتى يستهزي بهم بالاسمية
 كاستهزوا . ولكنه يأتي بها خلوا من التأكيد . لأن كلامه (سبحانه) ليس محل شك
 وريب . وقال في هذا المعرض أيضا : . وإذا حاموكم قالوا آما وقد دخلوا بالكفر
 وقد خرجوا به . فجعل إسنادهم للإيمان إلى أنفسهم بالفعلية وكذلك نسبة الكفر
 إليهم وهم داخلون ، لأن الأول عن غير حقيقة ، والثاني غير مشكوك فيه من المخاطبين
 أم حروجهم بالكفر فقد جعله بالاسمية : إذ يجوز على المخاطبين أن يتوقعوا خروجهم
 مؤمنين . وقال عن إخوة يوسف : . قالوا يا أبا تاما لك لا تأمنا على يوسف وإنا
 له لصحون : أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون . فأق بالاسمية فيما هو
 محل اتهام لهم من أيهم ، وبالفعلية فيما عداه

على هذا جرى القرآن : ولذلك كان اذا أراد الاختصاص حول الكلام إلى
 الاسمية ، كما في قوله تعالى : . وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ، وأنه
 خص الزوجين الذكر والأنثى ، من نطفة إذا تمنى ، وما هو ذا قد فعل في استخدام

ضمير الفصل ما ألمعنا اليه آنفاً ، من ذكره مع الفعل حين مظنة الاشتراك ، وتركه إذا زالت تلك المظنة : على أنه قد يقال : وهل في الإيمانة والإحياء مظنة اشتراك حتى يترك الصمير ؟ فنقول : إن تلك المظنة تتحقق فيهما على سبيل المجاز ، بالقتل والعفو عن مستحقه ، بخلافها في الخلق والإيجاد .

وكان القرآن إذا استدعى المقام بلوغ الغاية ليست بعدها في قوة الجملة غنة ، يأتي بها اسمية غير فعلية المسند . ولكن مع اشتماله على الحدث عن طريق الصفات ، انظر قوله تعالى : « أفأرأيتم ما تمنون ، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ! » كيف أتى باسناد الخلق إليهم فعلاً ، واليه سبحانه اسماً في معنى الفعل : وكذلك فعل في الآيات بعد . سائفاً من الحاجة على سبيل الموازنات ، ومعقبا كل موازنة من بوجود التفضيل ما يدحض الخصم ويفحم اللدود ؛ ولذلك ختمها بقوله : « فسبح باسم ربك العظيم » إشارة إلى أنه سبحانه لا يستحق التسميح سواه .

ولفضل الجملة الاسمية على الفعلية قالوا في قوله تعالى : « هل أدرك حديث ضمير إبراهيم المكرمين . اذ دخلوا عليه فمالوا سلاماً . قال سلام قوم منكرون » : إن سلام الخليل أو كد من سلام الملائكة : لأنه مرفوع على الابتداء ، وسلامهم منصوب على تقدير الفعل . وليس معنى قولهم أننا لو رفعنا السلامين يكون الكلام أبلغ . كلا ، فإن لكل سلام بحاله موطناً من البلاغة . إذ أن إبراهيم لما كان حيث دبت عليه الملائكة وجلاخائفا يقول (قوم منكرون) ، ناسب أن يستشعر الحدث في حنة الخوف مطراً حا الدوام جابيا ، وهذا يستدعي الاتيان بالسلام منصوباً بالفعل . لأنه أدل على الحدث من الاسم ، أمّا هم فلما لم يتصور إبراهيم أنهم خائفون ، أتى بسلامهم مرفوعاً على الابتداء . للدلالة على أن السلام ثابت لهم ، وأنهم ليسوا في حاجة منه إلى تحديد ؛ هذا وفي الآية شيء زائد يحسن الإلمام به ، وهو أنها لما كان فيها تارة وردّها ، وكانت التحية مندوبة وردها واجبا ، استنبط أن المصادر المرفوعة في القرآن للوجوب ، والمنصوبة للندب ؛ فمن الأول قوله تعالى : « الطلاق مرتان : فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » ومن الثاني قوله « فإذا لقيتم الذين كفروا فَقَضُوا الرقاب » ولهذا اختلف في الوصية للزوجات ، أواجبة هي أو مندوبة ؟ لأن قوله تعالى : « وصية لأزواجهم ، قرى بالرفع والنصب

ثانياً - الانسجام

(١) انسجام اللفظ مع المعنى

كل ما تقدم في دقة الاستعمال ، صالح أن يكون أمثلة لانسجام اللفظ مع المعنى
الخاص به ؛ ولكننا هنا نقصد انسجامه مع المعنى الكلي للسياق ، فترى التركيب كله
يكون جزلاً حيث يكون المعنى فخماً ، وتراه رقيقاً حيث يكون المعنى عذياً ، ولكل
مواطن : فمن مواطن الأول مقامات الأوامر والنواهي ، والتذكير بالميعاد ، وضرب
امتثال بمن خالف وعصى للعضات ؛ ومن مواطن الثاني مقامات الترغيب والتشجيع
والملاطفة والاستعطاف ؛ وأمثلة النوعين كثيرة في القرآن

قال تعالى في موطن الجزالة : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن
في الأرض إلا من شاء الله . ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون : وأشرقت
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق
وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » وقال : « ويوم نُسير
الحال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ، وعرضوا على ربك
وما : لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم أن أن نجعل لكم موعداً . ووضع
كتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر
صعيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ! ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً »

وقال في موطن الرقة « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
اللائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون : نحن أولياؤكم
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً
من غفور رحيم ، وقال « ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفياً ، قل
رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً ، وإني
خشيت الموالي من ورأي وكانت امرأتى عاقراً فهب لي من لدك ولياً ، يرثني ويرث
من آل يعقوب واجعله رب رضياً ، ومن السور التي تهول جزالة وفخامة سور تارة
العديات والقارعة كما أن من السور التي تذوب رقة وعذوبة سور تارة الضحى والشرح .

(٢) انسجام اللفظ مع اللفظ

لم يقف الانسجام من القرآن عند حد اختلاف الألفاظ بالمعاني ، بل تعداه إلى اختلاف اللفظ باللفظ ؛ فكان يقرن الغريب بالغريب ، والمتداول بالمتداول ؛ وعاءه للنسابة وحسن الجوار : فمن أمثلة الأول قوله تعالى : « قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين » ، لأنه وقد أتى بالتاء القرينة في المسم بالنظر إلى الباء والواو ، أتى بالفعل (تفتأ) وهو أغرب من (تزال) ، وأتى بكلمة (الحرص) وهي أغرب من العاجز : ليتم الاختلاف اللفظي . ومن الثاني قوله تعالى : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » ، فانه لما كان الركون إلى الظالم فيه ميل دون مشاركة ، أتى بالمس الذي هو دون الاحراق . وكلاهما من المتداول . ومعظم القرآن من هذا السهل المتداول الذي ما كان يخرج عليه جملة إلا إذا استدعى المعنى الكلي هذا الخروج ، كما كان لا يخرج عنه ببعض الألفاظ إلا إذا كان غرضه التأييد بلفظة بارزة تنزل من كلمات التركيب منزلة الواسطة من حجاب العقد ، إيرادا لمصاها في تلك الصورة بعينها ، مثال ذلك : (حصحص) في قوله تعالى : « الآن حصحص الحق » . و (كبكب) في قوله : « فكبكبوا فيها » والغاؤون . و (ضيزى) في قوله : « تلك اذن قسمة ضيزى »

ومن انسجام اللفظ مع اللفظ في القرآن ، أن يأتي بالمثل متلاصقة ذات تسوية في الرتبة ، وصلة في المعاني ، مع الصلاحية للانفصال ، كقوله تعالى : « يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، ويخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي » وكقوله : « الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحييني ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » وكذلك كان يأتي بالمفردات ، كقوله تعالى : « مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ساجدات » ، « تيب وأبكارا » ، وكقوله : « التائبون لله بدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله » .

(٣) موسيقية اللفظ

ولقد جاء القرآن الكريم لهذا الانسجام البالغ موسيقى الألفاظ ، حتى أن الحروف في الكلمات ، والكلمات في الجمل ، والجمل في الآيات ، يتحدر بعضها وراء

بعض حين الطق تحدر الماء المنهمر من الخزون الى السهول : ومن ثم سهل حفظه ونزله على الأحداث : وإن من أنصع الأدلة على موسيقيته ، بحجى كثير من آياته حتى موازين الشعر مع أن الشعر غير مقصود فيه ، إنما جاء كذلك من قوة انسجامه ونداءه عاشعه ، كأحان الموسيقى لا تزال يوازن بعضها بعضا حتى تكون كلاً مسجماً للوقع حسن الرنين : وبهذا نسفى لكثير من رجال العروض أن يودعوا دوايل البحور ألباناً من الشعر ، في كل بيت شطر من آى القرآن الكريم على تفاعيل بحر المدى من أجله سبق ، محتفين في اختيار الآيات لكثرتها فى القرآن .

فلنضرب : « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، وللمديد « تلك آيات الكتاب الحكيم » .

« مبسط » فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم » ، وللوفاء « إذا مروا بهم يتغامزون » ، « مكامل » إن الدين يبايعونك إنما » ، وللهزج « وقالوا حسنا الله » ، « رجز » اذهب إلى فرعون إنه ضغى » ، وللرمل « ولقد راودته عن نفسه » ، « سريع » يأبىها الناس انقوا ربكم » ، وللمنرج « هو الذى أنزل السكينة فى » ، « حفيف » رب اصرف عنا عذاب جهنم » ، وللضارع « ألم يأتكم نذير » ، « مقتضب » كلما أضاء لهم » ، والمبحث « وهو العلى العظيم » ، « متقارب » وإن يستغيثوا يغاثوا بماء » ، وللمتدارك « إنا أعطيناك الكوثر » ، وللخلع البسيط « وقودها الناس والحجارة » .

ولم يك اقتصار هؤلاء على الأَشْطَار ناشئاً عن عدم وجود البيت كاملاً فى القرآن ، بل لأن حاجتهم فى الضبط تقضى بحجى العجز وحده ، لأنهم يودعون « سدر تفاعيل البيت » ، ولو أرادوا الفعلوا ، فمن الآيات الموازنة لأوزان البحور « تعالى على وزن الوافر » ، ويخزهم وينصرم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، وقوله على وزن الرمل ، وجفان كالجواب وقدر راسيات ، وهكذا وجماع القول أنه قد اجتمع لآى القرآن الكريم من المزايا فى المعانى ، لفظاً ما علا به سائر الكلام علواً استأثر فيه بمعجزة الإعجاز .

أثر الجوارى في الأدب^(١)

بفلم عبد اللطيف المغربي

المدرس بمعهد التربية للبنات

٢

ترامى بنا القول في مقالنا الذاهب، إلى الغاية السامية التي بلغتها الجوارى بالنهضة الغنائية في أزهى عصور الاسلام . ونريد اليوم أن نطلع على قراء هذه الصحيفة الكرام من مطلع آخر، وضاء الأنوار، مختلف الثمار، بهيج الألوان، عذب المنهل، عبق الأريج، رقيق الأنداء، متجاوب الأصدا، ذلك هو أثر الجوارى في الأدب العربي .

ولم يكن بدعا أن يكون لهن حميد الأثر في الأدب . كما كان لهن حميده في العلم . فالأدب والعناء غصنا دوحة فنية، وكلاهما متمم للآخر مقوم له . ومتى رأيت نهضة غنائية، فالتبس أن يكون من أمتن دعائمها وأغزر مواردها وأصدق طيوفها وأقوى أرواحها (الأدب) . سنمتع . وعرف مألوف . وثمره طبعية . ومن حاول فصل الغناء عن الأدب فهو كمن يحاول أن يحون من الزهرة وشذاها، أو النفس ومناها . فالمغنى في إيقاعه ونظم ألحانه . شاعر في أفق الأدب العالي، حر القافية والروى، ينظم ما أراد من شجون النفس وأهواها وخلجاتها وأمانها، في نسق من الألحان كأسلوب البيان، بعيد التأثير، شديد الأسر، روي المدخل، سحرى المأخذ، يفوق أسلوب الشعر المقتفى الموروث روعة وانسجاماً، ويفرعه حسناً وسحرأ . ولهذا قالوا إن الموسيقى صيرت من التأثير لم تقو الطبيعة على استخراجها بالبيان، فاستخرجته بالألحان .

وموسيقى أروع من الشعر ، والمغنى في لحنه أشجى من الشاعر في شعره
وحسبك بياناً لهذا أن الشعر يظل خامداً حائراً لا يجد سبيله إلى الآذان
وقلوب ، حتى ترفعه الموسيقى على أجنحتها الرقيقة ، وترقصه بإيقاعها الحسن
المتنارب ، فإذا هو إلى كل أذن مقرب ، وإلى كل قلب محب

وقد يكون المعنى شاعراً بالمعنى الاصطلاحي . يقرض الشعر ، لما بين الفنين من
سب وارتباط ؛ ولهذا صار كثير من المغنين والقيان شعراء وشواعر ، ولا
ع و أن يحكم رجل الفن البار به كل الصلات التي تلازمه وتغذيه وتسمو به في
الابداع والاجادة . وأحقها بالتقدمة (الشعر) قرصاً ورواية . ونحن إذا
عنا لأثر الجوارى في الأدب لم نكن نعنى به قرضن الشعر فحسب كأول
سيرة تعاق بلدهن من هذا العنوان ، بل نرمي إلى نواح عدة كانت النفس جياشة
ع في كل منها يقال خاص . ولكننا آثرنا أن نضرب حولها نطاقاً من
الاحتصار . ونسوقها قريبة المنزل سهلة الإيراد . لتكون بالفائدة أعجل . وإلى النفس
أحب .

كان من أثر الجوارى في الأدب ، قرضن الشعر في أغراضه المختلفة . من مدح ،
ومجاء . ورثاء ، وغزل ، وعتاب ، ووصف . لأن إعدادهن لتلك الحياة العربية
الرائعة الفخمة ، به في كثير منهن ملكة قرض الشعر ، لحسن استعدادهن الفطرى .
وأما ما روين من الأشعار الكثيرة في الأغراض المختلفة .

فظهرت منهن شواعر نوابغ نذكر لك شيئاً من ثمار قرائنهن .

هذه فضل الشاعرة لما دخلت على المتوكل قال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت : كذا
الذى باعنى واشترانى . فضحك . وقال : أنشدينا شيئاً من شعرك . فقالت :

استقبل الملك إمام الهدى عام ثلاث وثلاثين

خلافة أفضت إلى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرين

إنا لنرجو يا إمام الهدى أن تملك الناس ثمانين

لا قدس الله أمراً لم يقل عند دعائي لك : آمينا

وهو شعر فاتر لم يبلغ حد الجودة ، ويشبه في بعض نواحيه شعر المتنون .
واستحسان المتوكل له لم يكن ثمرة جودة ، بل لأنه قيل في مدحه وأرد
تشجيعها .

وهذه محبوبه جارية المتوكل الأمانة الوفية ، تصدف عن زهرة الدنيا بعد
قتله وتقيم على الحداد ، وفاء لسيدها ورهدا في الدنيا بعده . وتشد في رثائه حين
أكرهت على الغناء في مجلس أعدائه قولها :

أى عيش يطيب لى لا أرى فيه جعفرا
كل من كان ذا هيتا (م) م وحزن قد برا
غير محبوبه التى لوترى الموت يشتري
لاشترته بملكها كل هذا لتقبرا
إن موت الكتيب أص (م) لح من أن يعمرأ

وترى في هذا الشعر لوناً صادفاً من العاطفة والنبيل يرفعه عن سابقه عن
الشيء . ونكتفى بهذا القدر من أنواع الشعر العامة ، فإن في استيفائها حرجا .
ومن تأثيرهن في الأدب ، ذلك النوع الحسن من المحاورات والاحاديث
التعريفية ، مما تدفع إليه الحاجة الطارئة ، والضرورة الحافزة . وفي الحق أن هذا
جليل من أبواب الأدب ، برزت فيه الجوارى وفقن فيه أحيانا كثيرا من صلاب
الشعر ورجالاته .

وإنما لمسمعوك شيئا من هذا القليل يثير إعجابك وطر بك .

كان محمد بن عيسى الجعفرى يهوى جارية ، فقال لصديق له : لقد شغيتى
عن صنعتى وكل أمرى . وقد وجدت مس السلوان على كبدى ، فاذهب بنا حتى
أكشفها بذلك فأستريح . فلما جاءها قال لها محمد بن عيسى : أتفتنين ؟

وكنت أحبك فسلوت عنكم عليكم في دياركم السلام

فقلت : لا ، ولكنى أغنى :

تحمل أهلها عنها فيأثروا على آثار من ذهب العَفَاء
 فاستحيا وأطرق ساعة ثم قال : أتغنين ؟
 وأحصح بالعبي إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذى أتصل
 قالت : نعم ، وأغنى أحسن منه :

فإن تُقبلوا بالود نُقبل بمثله ونُزلكم منا بأقرب منزل
 فقاطعا في بيتين . وتواصل في بيتين . وهى محاورة بدبعة إلى أبعد غاية . تريك
 حس الختل بالشعر ووضع في مناسباته الطريقة . على حين أنها وليدة الفحامة
 ونسبها . وتشير من ناحية أخرى إلى ما كان عليه هؤلاء الجوارى من مقدرة
 فائقة . وبعد هذه تلو عليك صورة من صور الإجازات الشعرية وهى كثيرة .
 قال بكر بن حماد الباهلي : لما انتهى إلى خبره عنان ، جارية الناطق ، وأنها
 ذكرت لهرون الرشيد ، وأنها أشعر الناس : خرجت معترضا لها . فما راعى إلا
 أن ضحك مولاها . فقال لى . هل لك فيما سنع من طعام وشراب ، وبجالة عنان ؟
 فب ما بعد عنان مطلب . ومضينا حتى أتينا منزله . ثم دخل فقال : هذا بكر
 شعر باهنة يريد مجالستك اليوم . فقالت لا ، والله إنى لكسلانة . فحمل عليها
 روط وقال لى ادخل . ودمعها يتحدر كالجمان . فقلت أجزى

هذى عنان أسبلت دمعها كالدُر إذ ينسل من خيطه
 فقالت :

فليت من يضربها ظلما تحف كفاء على سوطه
 ثم أنشدتها :

فزال يشكو الحب حتى حسبته تنفس فى أحشائه فتكلم
 فقالت :

ويكى فأبكى رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما
 فقلت لها : فما عندك فى إجازة هذا البيت ؟
 بديع حسن بديع صد جعلت خدتى له مَلَاذا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

فعاثوهُ فعنفوهُ فأوعدوه فكان ماذا ؟

وأنت إذا قدرت الزمن الذي قبلت فيه هذه الإجازة ، أصبحت في غنى عن التعليق عليها والاعجاب بقدرة (عمان) والثناء عليها في موقف كهذا قد يعجز أنبغ الشعراء .

ومن تأثير الجوارى في الأدب أيضا أنهم أصبحوا منعنا خصبا للروايات الموضوعية التي تموج بها كتب الأدب ، وتشعرك لأول وهلة بكديها واتجاهها ، ونسوق إليك صورة من هذه الروايات توضح ما نقول :

قالوا إن الهادي كان له جارية تسمى « غادر » وقعت من نفسه موقع حرجا وكان يخشى أن تصير إلى أخيه هرون من بعده . فأخذ عليها أعظم الأيمان لا تكون له ، فلما مات الهادي صارت إلى هرون ، ونالت عنده مكانة حسنة . ثم بعض الليالي رأت وهي نائمة الهادي . فقامت مذعورة وجللة : فقال لها هرون ما بالك ؟ قالت رأيت الهادي الآن ينشدني :

أخلفت عهدي بعدما جاورتُ سكان المقابر
وصحبت غادرة أخى صدق الذى سماك غادر
لا يهنك إلا لفُ الجدي دولا تدر عنك الدوائر
ولحقننى قبل الصبا ح وصرت حيث غدوت صائر

ثم ولى غنى . فقال لها هرون : هذه أحلام الشيطان . قالت : كلا والله يا مير المؤمنين . ثم اضطربت بين يديه وماتت لساعتها ! ونحن بلا ريب بحكم هذه الرواية واتحالفها : إذ ليس من المعقول أن يورد الميت عتابه في صورة شعرية وهو في عالم آخر بعيد عن الزخرف والصناعة ، وأن يحفظ الحى المات هذا الشعر وهو أكثر مما ذكرت ، ويؤديه على هذه الصورة لا يخرم منه حياء على حين أننا نرى في المنام صورة معنوية ، وإذا استيقظنا لا يمكننا في كتب من الأحياء ربط أجزائها ولا الالمام بكنهها . وقد أرادوا بعد ذلك أن يتموا قصة ويربطوا نتيجتها بما تضمنه الشعر ؛ فذكروا أنها اضطربت وقضت لساعها بين

... هرون ! والوصع في الرواية حول الجوارى أفاد الأدب بلا مراء ثروة
صحة .

ولكن أعيظ ما يؤلمنا من هذه الروايات ، تلك الصور الملحة في الإسفاف
وأن طوقوا بها سير كثير من خلفاء الاسلام ، فصوروهم في مواقف يغضب لها
لأن العيوف إذا بسدت إلى رجل من أوساط الناس ؛ فكيف بها إذا نسبت إلى
حده الاسلام ؟ وإن من يقرأ ما يرويه كتاب الأغاني من هذه الروايات
... المسبوبة إلى هرون الرشيد ، ذلك الامام الذي كان أحفظ الناس لثراث
... وأجداده . من الشمم والآباء وبعد الهمة والترفع عن الدنيا ليدش : فجزى
... أنك هؤلاء الوضاعين بما صنعوا ما يستحقون من جزاء

ومن تأثيره في الأدب أيضا إثارة ميول الشعراء نحوهم ، حتى أقبلوا عليهم
... محترمة ، من عزل وعتاب واستعطاف وغيرها . ومن الشعراء الذين لهم
... في هذا الباب : الأحوص في العصر الاسلامي . وأبو العتاهية ، وأبو نواس ،
... من الأحنف في العصر العباسي ، وغير هؤلاء كثير يضيق المقام عن
... أسمائهم . ولا ريب أن هؤلاء الشعراء أهدوا إلى الأدب العربي بتأثير
... إلى الجوارى كثيرا من الثمار الأدبية التي يزهى بها الأدب ويفخر ؛
... صادقة لمواقف هؤلاء الشعراء في كتاب الأغاني وبعض كتب
الأدب ، فلا داعي إلى إيراد شيء منها

ومن ألوان تأثيره في الأدب نشر الفكاهة والمجون في الجوال العربي ، وأخذهم
... خاصة في الملابس والعادات . وكتابتهن على الأقصة والآكام والقلائس
والصائب ومشاد الطرر والذوائب والمناديل - ما يؤثر من الأشعار العذبة
الرفيقة المثيرة للاحاساس والشعور .

ونذكر لك شيئا من عفيف ما كان يكتب :

كتبت جارية على رداء لها

أراهم يأمرون بقطع وصلي مريهم في أحبتهم بذاك
فأنهم طارعوك فطاووعيم وإن عاصوك فاعص من عصاك

وكتبت نشوان جارية زلزل على عصابتها

عين مسهدة في ماؤها غرفت ياليتها ذهبت لولم تكن خلقت

لم تذهب النفس إلا عند لحظتها ولا بكت بدم إلا لما أرت

وكتبت جارية على منديل

أنا مبعوث إليك أنس مولاتي لديك

صنعتني يديها فامسح بي شفتيك

إلى آخر ذلك مما يطول بنا استقراؤه، ويثير الشعور والوجدان، ويسبب

الذوق، ويصور كثيرا من المالح والفكاهات المستعذبة.

وبعد أن أوردنا ما سبق نرجو أن نكون قد وفقنا إلى جمع شتات هذا

الموضوع، وقدمناه باقة حسناء منتظمة الأزاهير إلى قراء هذه الصحيفة الكرم

بعد طول الجهد والعناء في ضم الأشباه إلى الأشباه، والنظائر إلى النظائر الخ

هذا البحث ذا وحدة مؤلفة الأجزاء؛ وقد كانت عناصره من قبل مشورة في

كتب الأدب على غير نظام، ولعلنا بذلك أيضا نكون قد رفعنا ستار السيل عن

جهة مهمة من جهات الأدب القوي الخصب، لم تتورها أقلام الكتاب بأسنيده

واستقصاء؛ فأخرجناها للناس باسمه وضاءة

عبد اللطيف المغربي

الأدب ... ما هو؟

بقلم أصغر الشايب

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

١

قد يكون من الغريب ، بعد هذا التاريخ الأدبي الطويل ، وفي هذه النهضة الأدبية الحديثة ، أن نعرض للتعريف بالأدب أو نحتاج إلى تحديده من جديد . وما قال فيه السابقون ما قالوا ، وتنقش حوله المعاصرون منذ عهد قريب . قد يبدو ذلك غريبا أول الأمر ، ويحمل الناس على الهرم بالباحثين ، فيسألون أنفسهم : ما ذا يعنينا من هذه التعاريف ما دمنا نقرأ النظم والنثر ، ونظفر منهما هذه اللغة العقلية والشعورية ؟ أليست هذه الحدود أنواعا من عبث العلماء أولا ، ومن تعقيبهم الأدباء ثانياً تعقبا يدل على فراغ وفصول ؟

الحل . لست أنكر أن الأدب هو الشعر والنثر ، ولست أنكر أن أكثر من يكتفون بهذا القدر من تعريف الأدب وتصوره ، ولكن هذا نفسه هو ما يدعو إلى القول في تحديد الأدب وبيان طبيعته وما يفرقه من العلم وبصله . وبالفن الرفيع خاصة ، فلقد انقضت فيما أعلم هذه الفترة التي كان الناس يكتفون فيها بالثقافة العامة ، ويقنعون بتصور الأشياء تصورا إجماليا ، وولدت عندهم الحاجة إلى الرقي ميلا إلى التعمق في فهم الأمور وبحثها ليصلوا إلى تعرف طبيعتها وخواصها ، وما عسى أن يصلها بالحياة الاجتماعية مؤثرة أو متأثرة .

هذا شيء ، وشيء آخر يحتملني على هذا التحديد الأدبي أو محاولته ، ذلك أن كلا من الأدباء المنشئين والنقاد ، كثيرا ما يختلفون حول نص من النصوص :

أهو أدب حقا؟ وفي أى نوع من الأنواع أو درجة من درجات الأدب يمكننا أن نضعه؟ وأخيرا ما المقاييس النقدية التي تتحكم في نقد هذا النص وبيان قيمته؟... وأمر ثالث يحملنا على تقريب هذه الصورة الأدبية إلى الأذهان، فلو سألت شخصا عن تعريف الأدب، وأجابك بأنه مأثور الشعر والنثر، ثم سألته: لم أثر هذا الشعر وذاك النثر... اضطرب، وأنى بكلامه... غير محدود، وغير خاضع لنظام على مفهوم... وعلى أية حال فاني أسعى بحاجة هؤلاء الباحثين من الأدباء والنقاد إلى إيضاح طبيعة الأدب وعناصره... وسأحاول في هذا البحث أن أقرب إلى الأذهان ما إذا يراد بكلمة (أدب) معناه في ذلك على أهم ما قاله السابقون والمحدثون، ثم على تحليل النص الأدبي وعلمه روحه وخواصه، غير أنى أرجو من القراء أن يصبروا على قليلا إذا شعروا بالاطالة، فلعل الموضوع نفسه يستحق منهم صبرا طويلا.

— ١ —

ما الأدب؟

(١) سأترك الكلام في اشتقاق الكلمة وأصلها الأول، وأتناولها من قريب... فقد كانت تدل في القرن الهجري الأول على معنيين اثنين: أحدهما خلق، والآخر تعليمي. ويستدل المؤرخون على هذا المعنى الخلقى بالآثر المشهور: «أدبى من فأحسن تأديبى»، إذ المراد أنه نشأ نشأة فاضلة تقوم على الصدق، والحلم، والبر وغيرها من الفضائل الخلقية؛ ومن ذلك ما سمي ابن المقفع كتابه «الأدب الصغير»، و«الأدب الكبير»، لاشتغالهما على هذه الأصول والنظريات التي يخرج من تمسك بها أدبيا، أى فاضلا ذا خلق كريم.

ولكن هذا المعنى الخلقى لا يلائم تماما المعنى الذى نريد من كلمة أدب، حين نطلقها في باب الفن أو النقد، بل ربما كان يناقضه؛ فليس من شك بين المتأخرين أن أهاجى جرير والفرزدق أدب، وأن خمریات وغزليات أبى نواس أدب، وإن ذلك النوع المكشوف من الآثار الغزلية أدب... ولكنه مع ذلك مرهوس

في باب الأخلاق الفاضلة لا ينطوي تحت المعنى الخلقى الذى أشرنا إليه ، فلتترك ذلك ، إذا ، ولنبحث في غيره .

(٢) وأما المعنى الثانى فقد مرت عليه أطوار شتى في تاريخ الآداب العربى انتهت به إلى هذا التعريف الذى ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته . حيث قال في فصل تحت عنوان علم (الآداب) مانصه : « ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا : آداب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل فن بطرف . »

ومن الواضح أن هذا ليس تعريفا للآداب بمعنى هذه النصوص التى يدرسها و شئها شعرا ونثرا . وإنما هو في الواقع تعريف لما يسمى التآدب أو تحصيل المعرفة العامة اللازمة لإنشاء الآداب ، وفهمه . ونقده ، وأما الآداب بمعناه المراد بها ، فليس تعريف ابن خلدون منه في شيء ، وإن كان يثبت به بعض المحسنيين .

(٣) ويقول اميرس Emerson الكاتب الأمريكى المعروف : « الآداب سجل حبر الأفكار . وهذا التعريف أو الوصف جامع غير مانع كما يقول المناطقة . وبه يناول الآداب وغيره . أليست المسائل العلمية . من هندسة وكيمياء . معدودة في خير الأفكار ؟ ومع ذلك فلم يقل أحد إن الهندسة أو الكيمياء آداب ، على أن هذا التعريف لم يشر إلى هذا العنصر النقطى . وكيف يجب أن يكون ... فلتترك ذلك أيضا .

(٤) ويقول بروك Brooke : « الآداب هو أفكار الأذكاء وعواطفهم مدونة . أسلوب يلذ القارئ » وهذا التعريف خير من سابقه . لأنه أشار إلى جمال أسلوب الأدبى ، ولكنه لا يزال مبهما ؛ فهل يقبل الآداب جميع الأفكار والعواطف ، حتى الأفكار الهندسية والطبية ، وحتى العواطف الشخصية . والذميمة ، والوضيعة ؟ أما الأفكار العلمية فلن تتزاحم في الآداب وتحتل مكانا ما . إن كانت تمسه من بعيد . وأما العواطف التى أشرنا إليها فهى موضع كلام كثير . على أنها ليست من موضوع الآداب الرفيع على كل حال .

(٥) وهناك إجابة للاستاذ Sainte-Blave الكاتب والناقد الفرنسى مشهور عن سؤال يتصل بسؤالنا اتصالا مباشرا : « ما الآديب ؟ » قال : « الآديب (٣ - صحيفة دار العلوم)

هو الكاتب الذى يغنى العقل الانسانى ، ويزيد ثروته ، ويعينه على التقدم ، وهو الذى يستكشف الحقائق الأدبية ، ويزيل ما حولها من الشك والغوص ، وينفذ إلى أعماق قلب الانسان فيستخرج منه العواطف الخالدة في حين يطن الناس أن ليس هناك ما يكشف في هذه المنطقة ، وهو الذى يبرز أفكاره وحقائقه في صورة دقيقة صحيحة جميلة معقولة ، وهو الذى يخاطب الناس بأسلوب هو أسلوبه الخاص ولكنه أسلوب جميع القراء ، أسلوب قديم وحدث معا ، صالح لكل زمان ومكان .

وإن نحن أردنا استخلاص تعريف للأدب من كلام الأستاذ سانت ييف هذا ، كان التعريف : « الأدب هو الأسلوب الصحيح الجميل الذى يصور الحقائق الأدبية ، والعواطف الانسانية ، . . . وعندى أن هذا التعريف يعد مناسباً ، بل كان أقرب إلى تمثيل الأدب في أسمى درجاته حتى ليعده بعض النقاد مانعاً جامعاً . وهناك كلام كثير لعلماء العرب ونقاد الغرب في هذا الموضوع . لا يعمد أن يكون وصفاً للأدب لا يمكن الاعتماد عليه في بحثنا كثيراً . إلا أننا نشعر أن ما أوردها مقتبساً من آثار الكتاب يكفي لإثبات حقيقة علمية هي صعوبة تعريف الأشياء في دقة وكمال ، لاختلاف الناس في تصورها ، وفيما يطلبون تحقيقه ، متصلاً بأعمالهم ومذاهبهم العلمية والفنية . على أننا مع ذلك رأينا تعريف للأدب يقف عندهما المحدثون من النقاد : أحدهما أن الأدب مأثور الشعر والنثر ، والثانى هو ما استخلصناه من كلام الأستاذ سانت ييف السابق الذكر .

— ٢ —

ولكنى لن أقف بالقارىء عند هذه الحدود التى انتهى إليها السابقون والمعاصرون من أبحاثهم الخاصة ، وصارت بذلك ملكاً لهم ، وهم أقدر على فهمها وتصورها إذ كانت بذلك نتيجة تجاربهم ودراساتهم ؛ بل لا يعنى في الواقع ذكر هذه الرموز اللفظية التى تكون ما يسمى بالتعاريف ، بقدر ما يعنى فهم طبيعة الأدب ، وأسلوب تكوينه ، وصلته بالنفس الانسانية . . . فتسمى النصر أدباً ؟ لا يمكننا أن نعد المحادثة ولا الأخبار العادية أو الصحافية أدباً ؛

وسبب ذلك أننا نقرأ وهام ثم نصرف عنها ولا نعود إليها ثانية ، إذ أن النص الأدبي
 يتردد بالناس على قراءته واعتباره متعة نفسية يحرص القارئ على الرجوع
 إليها كثيراً ليعنى فكره وشعوره ، ومعنى ذلك أن الأدب يمتاز بصفة الخلود .
 ولكن المسألة لا تزال في حاجة إلى الإيضاح ، أليست كتب الهندسة والجبر
 والفلسفة تحوى حقائق خالدة لا تبلىها الأيام ؟ أليس يجد الإنسان فيها دائماً
 مدد يستعين بها في شئونه الحيوية كلما أراد ؟ هذا حق لا شك فيه ... ومع
 ذلك فلم يقل أحد إن كتب الهندسة والجبر من الأدب في شئ ... فكيف
 الخلاص ؟

حقاً إن هذه الكتب تحوى حقائق خالدة ، ولكن الكتب نفسها ليست
 خالدة بهذا المعنى السابق الذى وصفنا به الأدب ، فمن الممكن أن تؤخذ هذه
 النظريات والمسائل العلمية الخاصة وتدوّن في صور أخرى وأساليب عدة ينصرف
 إليها الناس مستغنيين بها عن الكتب الأولى التى كثيراً ما تبلى وتنسى ، وهنا نرى
 أن الحقائق ذاتها خالدة ولكن الكتب تموت ، فَمَنْ منا اليوم يقرأ (إقليدس) فى
 الهندسة مثلاً ليمتع نفسه أو حتى أيدرس النظريات الهندسية دراسة علمية ؟ ولكن
 كمّ منّا اليوم من لا يزال ، وسيدبقى دائماً ، يقرأ أمراً القيس ، وزهيرا ، وجريرا
 ونبأ نواس ، والمتنبى والمعري ؟ والمتعلمون عامة يظفرون بكتب فى الجغرافيا
 والتاريخ والهندسة والطبيعة تنسخ ما قبلها من الكتب وتقضى عليها ما دامت
 الموضوعات واحدة والحقائق هى بعينها . وإذا ، فليس من الكتب الأدبية ذلك
 النوع المعرض للنسيان والنسخ بعد حين . والذى نفهمه من ذلك أن هناك ميزة
 أخرى تكسب ديوان الشعر ، أو القصيدة ، أو الرسالة أو الكتاب صفة الخلود
 التى تشتمل بها ... تلك أن يكون الكتاب نفسه ذا قيمة خالدة ، فهناك فرق بين
 الحقيقة الخالدة التى هى موضوع الكتاب العلمى ، وبين القيمة الخالدة التى هى
 خاصة الكتب الأدبية .

ما هذه القيمة الخالدة التى تتصل بالكتاب الأدبى وتمنحه ميزة الخلود ؟
 يقولون إنها شخصية الأديب ، فالنص الأدبى يمتاز بأنه يصور ذوق الشاعر

أو الكاتب . ومزاجه . وفكره . وروحه . وخلقه . وخواصه المعنوية التي تفرقه من سواه . ولا يمكن أن تجتمع في شخص آخر هذه النسب والقوى ؛ وبذلك نرى لكل أديب طابعاً تمتاز به آثاره ولا يمكن الاستغناء بشعر شاعر عن شعر زميله حتى في الموضوع الواحد رثاء أو وصف أو عتاباً فكل له ذوقه . وأسلوبه . وطعمه الذي يبعث في نفس القاري آثاراً ممتازة لا غنى له عنها بسواها .

هذه الشخصية إذا (Personality) هي التي تفرق الأدب من العلم وتكسبه صفة الخلود . ولكسنا نعود فنقول : ألسنا نظفر في الآثار العلمية بشخصيات متباينة . حين نقرأ كتب الفلسفة والقانون والطبيعة والكيمياء . تمتاز بطرق التفكير . والتعبير . وأسلوب البرهنة والاثبات ؛ لا ننكر ذلك ولكننا نجد الشخصية الأدبية تمتاز بأمريين لا يتوافران في هذه الشخصية العلمية . أما أحدهما فهو جمال التعبير الأدبي ولذته . وأما الثاني فهو أن الشخصية الأدبية تكون قوية واضحة ، وتكون عامة تصور بواحي النفس التي أشرنا إلى بعضها قليلاً . في حين أن الشخصية العلمية تفقد عند الفكر . ودقته . وأسلوبه المنطقي في أسس الأحيان . ونتيجة ذلك أن الأدب أدل على شخصية كاتبه من العلم . . .

كيف تكون القصيدة من الشعر أدل على الشاعر من المقالة العلمية على العام ؟ استطعنا الإجابة عن هذا السؤال ظهرياً بهذا العنصر الذي يكسب الأدب قيمته الخالدة ويميزه من سواه . . . وذلك سهل يسير ، فإذا وازنا بين هذه المقامات العلمية التي لا نحسبها أدباً ، وبين القصيدة من الشعر ذات القيمة الخالدة . ووجدنا في القصيدة شيئاً لا يوجد في المقالة العلمية . هو العاطفة Emotion ، والقصيدة تقوم على العاطفة والمقالة تقوم على العقل . وهنا نظفر بهذا السر الذي نبحت عنه منذ حين . فهو الخاصة التي تنشأ عن العاطفة وتكسب الكلام ميزته الأدبية . وقدرته على الخلود . ويضعه في مكان بعيد عن العلم . وإذا بنا نرى كتباً علمية تعذى العقل وتستريحه وكتباً أدبية تثير العواطف وتربي الذوق الجميل . ولكن المسألة لم تنته عند هذه النقطة ؛ فلا زلنا في حاجة إلى أن نسأل : لماذا كانت هذه العاطفة سبب حدود الأدب ؟ وهنا نجدنا أمام إجابة من نوع التناقض الوهمي ، فننظر العيب أن

العاطفة تحل الألب لأها هي ذاتها ليست خلدة . وإما تزول بسرعة ولا تبقى طويلا . وأنه أقرأ البحث العلى فى الهندسة والمنطق وأعياه بعقلى وأترك مصادرہ ونسأ أعود إليه بعد ما أصبف إلى معارفى السبقة واتحد معها وصار جزءا من فكرى لا يكاد يزول . ولكى أقرأ - مثلا - مرثية المعرى المشهورة -

غير مجدٍ فى مِيتى واعتقادى نوح باكٍ ولا ترثم شادٍ
 فشير فى نفسى عاطفة الأسى والحزن على هذا الكون تحطمه الأقدار وتذهب
 كائناته إلى غير عودة . وهذه العاطفة تشتد وتقوى حين قراءه القصيدة وعقبها ،
 ثم تأخذ فى المتور فالذهاب حتى تزول بعد مدة ما . ثم تدعونى الدواعى الفنية
 أو الحوادث الاجتماعية إلى إثارة هذه العاطفة فى نفسى لوفة صديق فأعود إلى
 مرثية المعرى ذاتها فأقرأها لأظفر بهذه الذلة النفسية عينا . ثم تحبب العاطفة فأعود
 إلى مبعثها عد أبى العلاء فى نفس هذه القصيدة . وهكذا دواليك . . . وهذا هو
 معنى أن زوال العاطفة سبب فى خلود الأدب وتردّد الإنسان على قراءته مرة بعد
 أخرى . ويجب أن يلاحظ أبى لا أستغنى عن مرثية المعرى بمرثية البحترى أو
 ابنى أو أبى تمام أو ابن الرومى فكل له طعمه الخاص ، ومذهبه الأدبى ، وذوقه .
 أو بعبارة مختصرة : كل له شخصيته الأدبية التى لا أجدها عند الآخر ، وفوق
 ذلك فقد لا أستغنى عن المعرى المعرى نفسه إذا ما كانت له فى كل مرثية خواص
 فنية وأسلوب ممتاز ، وذلك كثير الحدوث .

أفكون من الغريب بعد ذلك أن بعد العاطفة أهم العناصر الأدبية ما دامت
 تميز الأدب من العلم أولا ، وتبعث فيه روح الخلد ثانيا . وتدل على شخصية الأديب
 ش . ٤٤ .

أو يكون من الغريب أن نعرف الأدب بأنه الكلام الجميل الذى يدل على
 شخصية صاحبه . أو الكلام الجميل القائم على تصوير العاطفة . أو الكلام الذى
 يمتاز بهذه القيمة الخالدة ؟

- ٣ -

وبعد فليس من سداد الرأي في شيء أن نبالغ في قيمة العاطفة وبهم
الحقيقة (Fact) وقيمتها الأدبية ، فالمفروض أن العاطفة هي العنصر أو الركن
الأدبي الأول . ولكنها لا تستطيع الحياة دون أن تركز على حقيقة من الحقائق
الفلسفية أو الاجتماعية التي تعد الهيكل العظمى للأدب وسنده المتين ، وإلا
الذي يحملنا على السخط حين نقرأ للمعري قوله :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحق لسكان السيطه أن ييكونوا
تحطمتنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك
غير هذه الحقيقة الواقعة وهي أننا الأعيب في يد الأيام تعبت منا ما شئت
وتفقدنا الحياة فلا نعود إليها ثانياً .

فالعاطفة السخط أو الحسرة على الخلق ، إنما قوت وحيت لما ساعدتها حقيقة
حيوية لا شك فيها ، وكانت الأصل الذي كسته العاطفة ثوباً ساحطاً مبرماً
في أسلوب موسيقى جميل ، فأثار في نفوسنا سخطاً يشبه ما في نفس أبي العلاء ،
وهكذا تعاون الحقائق على خدمة الأدب والفن حتى لا يكون أحدهما فارغاً محملاً .
وهنا نجد فرقاً بين الأدب وبين فن آخر ينصل به اتصالاً قوياً هو الموسيقى .
فالموسيقى الخالصة تتجه إلى العواطف مباشرة بهذه الألحان والألغام فتدبره
ولكن الأدب يتجه إلى عواطفنا عن طريق العقل ، فيثبه النقش والتصوير والرسم
من حيث أنها تجمع بين المعاني في الحقيقة ، والخواص الفنية المؤثرة الحمسة .
وسأترك ذلك على أن أعود إليه في بحث خاص حين أدرس الأدب وصيته
الفنون الرفيعة ، وإنما أشرت هنا إلى ذلك ، لأصل منه إلى عصر أدبي ثالث
العاطفة والحقيقة . وهو الخيال Imagination فإن الأدب يمتاز بقدرته على
عرض الأشياء بأشكالها وألوانها كما يقع الرسم والتصوير ، وهو بهذه القوة
يستطيع أن يثير العاطفة ، ويلهبها في نفوس القراء ، وأشير عليك أن تدرس
قصيدة البحترى في رثاء المتوكل :

محن على (القاطول) أخفق دائره وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره
التي يقول فيها :

و. نس وحسن القصر إذ ريع سر به وإذ ذعرت أطلاؤه وجآدره
و. صبح فيه بالرحيل فهتكت على عجل أستاره وستاره
هتكت هذا الشاعر يسلك في رثائه مسلكا بديعا فلا يأمرنا بالحزن أمرا .
و. يرغم هذه المزاغم التهويلية بتعظيم الخطب والجاهلة الفارغة . وإنما يأخذ
ب. أو بعبارة أدنى يأخذ بأبصارنا فيعرض علينا صورة حسية ألحمة من
ح. القصر . وتشتت ذويه . ومن مهانة الخلافة . وغدر الابن بأبيه . إلى غير
ذلك . وراه . فنعضب نحن لهذه المشاهد كما غضب لما رآها . وهذا هو ما نسميه
ب. وهو عصر يعد لغة العاطفة وأصدق وسيلة لتصويرها بالنسبة للأديب
ولا تارتها في نفوس القراء .

كذلك المعرى عرض علينا مهزلة الحياة وجد المات في داليتها المشهورة
ب. متتابعة من عمل الخيال هي أصوات ، وأجسام . وقبور . ونجوم وغيرها
حتى أبكى الناس جميعا .

و. حيرا . كيف أقل صورته نفسى إلى غيرى ؟ في نفسى الحقيقة . تسيطر
ب. عاطفة . بصورها خيال الآن أديب صامت لا يعرفى الناس
و. أو . فيم حولي . فلا بد إدام وسيلة تصل بيني وبين غيرى نفس هذه
ال. المفسية وإداعتها . . . تلك هي العبارة Dichon أو (نظم الكلام) كما يقول
ب. القدر الجرجاني . والعبارة كما ترى وسيلة لا غاية . ولكنها لا تقل في قيمتها
ب. سائر العناصر الأدبية ، لأن القدرة على إثارة العواطف — هذه القدرة
ب. من وظيفة الأدب — تتوقف إلى درجة بعيدة على جمال العبارة . وتأليفها
ب. يجعلها مرآة صافية أمينة لما في نفس الأديب ، فكثيرا ما تعق العبارة
ب. مليا بالأفكار . جيشا بالعواطف ، وكثيرا ما تكتسب المعاني العادية
روعة أسلوبية تجعلها في درجة رفيعة من درجات الأدب السامى . واعلمك لم تنس
ب. وردته في العدد السابق من خلاف حول اللفظ والمعنى ، وكيف أن أياتا

رائعة الأسلوب، عادية الأفكار، قد فازت بصيب كبير من التقدير والإعجاب. وإن لم ينفرد اللفظ بالجمال الفني كما أثبتنا ذلك في موضعه.

وخلاصة هذا أننا نستطيع أن نحلل النص الأدبي إلى هذه العناصر الأربعة: (١) العاطفة، وهي أهم العناصر وخصوصا في أدب القوة الذي يمثله الشعر الغنائى تمثيلا واضحا. وقد تكون العاطفة في درجة الحقائق في مثل الحصة والأبحاث النقدية والقصصية.

(٢) الخيال، وهو في أكثر الأحيان يكون اللغة اللارمة لاثارة العاطفة كما رأيت في مرثية البحترى، وكما هو الشأن في فن الوصف.

(٣) المسكرة أو الحقيقة، وهي تعد عماد العاطفة وعونها على الخلود والسمو. وقد أصبح الأدب اللفظى الذى يخلو من الحقائق سخفا وعبثا لا يليق بالعقل. غير أن الحقائق لا تذكر هنا جافة وإلا كانت السكتة علما. بل تتوارى في العاصفة وتقف خلفها شيئا ثانويا.

(٤) العبارة، وهي وسيلة لا تقل في درجتها عن الغايات، بل يعدها بعض النقاد أهم الجميع إذ هي المعرض الأخير لسائر العناصر الأدبية.

— ٤ —

للأدب معنى عام بجانب هذا المعنى الخاص الذى ذكرنا في هذه الصفحات. وبه يتناول جميع المعارف والعلوم التى تغذى النفس الانسانية وتقوى فيها مضمر العقل، والوجدان، والارادة، وما أشبه هذا المعنى بما ذكره العلامة ابن خلدون في تعريف الأدب وقد ذكرناه في صدر هذا البحث. فحين يقول الناس: العلم الأدبية أو الدراسة الأدبية العامة. إما يقصدون بذلك كل ما من شأنه الشغف النفسى المتصل بخدمة الحياة من ناحيتها الروحية، فالفلسفة أدب بهذا المعنى العام، والتاريخ أدب كذلك، ومثلهما الجغرافيا، والقانون، والدين، والفنون لربما، وعلى هذا الأساس كان القسم الأدبى بالمدارس الثانوية والعالية مدعوم قريبا، وعليه قامت كلية الآداب بالجامعة المصرية وجمعت في تسكوت بين هذه الأقسام المتشابهة في دراساتها، التى تنهى إلى غاية واحد من

تنظيم التفكير الانساني للوصول إلى الحقائق عن طريق الفلسفة . ومن دراسة المظاهر العقلية والعاطفية في التعبير فهي الآداب بمعنى الخاص ، ومن آثار العقل والشعور في الحياة الاجتماعية فهي التاريخ . ومن الصلة بين الانسان والطبيعة عن طريق الجغرافيا ، وهكذا يجد الدراسة القانونية تنظيما لحياة الانسان الاجتماعية ولصلاته مع بني جنسه . والدين ينظم الصلة بين الخلق والخلق . ويقابلها كلية العلوم التي تعنى بالدراسة الخاصة بجسم الحياة الانسانية وما يقومها تلحق بها كلية الطب والزراعة والاقتصاد فهي متعاونة على حفظ كيان الانسان من حيث تنمية جسمه وحفظه من الآفات وتوفير أسباب الراحة والرفاهية ، وبذلك تنتهى الحياة إلى هاتين الشعبتين الآداب والعلوم ، ومن الآداب ما نسميه الفنون الجميلة . وكان العرب يسمونها الآداب الرفيعة . فهذا هو المعنى العام لكلمة لأدب ، ونجد في دائرة المعارف الاسلامية كلاما تاريخيا بهذا المعنى .

ألسنت قد حدثك أيها القارئ الكريم حين زعمت لك أنى قادم بك على تعريف الأدب وتحديد . وذاني ذاهب إلى التعريف بالأدب وذكر طبيعته وعناصره ؟ وأين هذا من ذاك ؟ ولكنى سأترك هذه المرة : أ كنت تستطيع الاضطلاع إلى هذه الحدود الكثيرة التي تسميها أو كنت تقدر على وضع حد للأدب من ابتكارك دون أن تسلك هذه السبيل التي قطعتها أنت الآن في شيء من الحيلة كثير ١٩

على أنى معترف أنا جميعا قد وصلنا إلى نتائج إلا تكن يقينية يحسن السكوت سبها . فهي على الأقل نتائج تحملنا على الكلام والبحث في بعض النقاط والجوانب الأخرى التي تهم ما أشرنا إليه هـ ، وإذا قد طال المطاف فأرجو أن يكون ذلك في العدد التالي ٢٠

أصغر السائب

المتنبى عند سيف الدولة

بقلم علي النجدي ناصف

مفتش المعارف بملوى

اتصل المتنبى بسيف الدولة سنة ٢٢٧. ورحل عنه مغاصباً له سنة ٢٤٦. فهو قد أقام عنده نحو عشر سنين. وتعد هذه المدة على رغم ما شابها من الحسد والكيد - أهناً أيام الشاعر. وأحفلها بالخير والاقبال. وأغناها بأكرم شعره وأبقاه على الأيام.

ففي هذه المدة فارقت الحاجة والبؤس إلى غير رحمة، واختصه بالعطف وحسن الرعاية أمير كريم. فانقطع إليه. واستغنى بمدحه عن مدح غيره. حتى أضيف كلاهما إلى صاحبه إضافة الاختصاص والاستئثار. فقيل: سيف الدولة، مدوح المتنبى، والمتنبى شاعر سيف الدولة. (١)

وكان للشاعر من سخاء الأمير وشجاعته وكثرة حروبه وسائر مزاياه حجة إلى قول الشعر. وعون أيما عون على الاجادة والابداع. فعد صيته. وأقرب الدنيا عليه. فأصاب من النعمة والثراء حظاً غير قليل. أما الحسد والكيد فقد تعقبا ههنا وهناك. حتى كانت مصيئته منهنما قسمة بين أهم مراحل حياته. وإن يقع التفاضل بين حالته بحسب ما وراء الحسد والكيد من أسباب السقاء والشقاء.

ولا شك أن المتنبى مدين في هذه الخطوة المباركة لأبي العتاش بن حمدان. فهو قد اعتمد قدوم سيف الدولة على أظاكية. فقدم إليه المتنبى. وأثنى عليه. وعرفه منزله من الشعر (٢). نعم لقد كان موقعا أن يتصل المتنبى بسيف

(١) أبو الطيب المتنبى الكوفي : ٩٣

(٢) الصبح المتنبى : ١ : ٤٦

لدولة . وكان كذلك ممكنا أن يتبوأ عنده المنزلة الممتازة التي كانت له ، بغير وساطة
 من العشائر ، فالمتنّى كان شاعرا عبقريا ، وأديبا جليلا . بدأ نجمه يومئذ في
 الصعود . وأخذ صيته يسير في البلاد ، وسيف الدولة كان نعمة الشعراء والأدباء .
 يقصد كل ذي إحسان في علم أوفى . لكن أنا العشائر على الأقل اختصر له
 الوقت . وأمسك عليه الجهد . وأخذ بيده اجتذبا إلى الموضوع الذي يرشحه له
 نبوغه وفضله .

وعرف المتنّى لأبي العشائر هذا الصنيع . وقدره حق قدره . فكان يحبه ،
 ويحفظ له أخلص الود وأصدق ، حتى في أهول المواقف . وأشدّها إثارة للسخط
 ومغضب . وأدعاها إلى القطيعة وفصم أوثق الروابط .

روى العكبري أن جماعة ترصدوا المتنّى ذات ليلة وهموا بقتله على باب
 سيف الدولة ، بعد قصيدته العتائية ، التي مطلعها :

واحر قلباه عن قلبه شيم ومن يحسنى وحالى عنده سقم
 ولما أعياهم أمره ، واستئسوا من القتل به . انتسبوا إلى أبي العشائر وقالوا :
 نحن غلماناه . فقال أبو الطيب :

ومنتسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حفيف
 مهبّيح من شوقي . وما من مذلة حننت . ولكن الكريم ألوف
 وكل وداد لا يدوم على الأذى دوام ودادي للحسين ، ضعيف
 فان يكن الفعل الذي ساء واحدا فأفعله اللائى سررن ألوف
 ونفسى له . نفسى الفداء لنفسه ولكن بعض المالكين غنيف (١)

ويظهر أن المتنّى حتى أن يكون مثله في نظر سيف الدولة كمثل سائر الشعراء
 الذين يترقبون كضوء إلىه . ويتدافعون على بابه في غير تصوت ولا احتشام . على
 أن ليس فيهم من يحاريه في ميدانه . أو ينازعه السبق إلى غاية الاحسان

لذلك تقدم إليه قبل مدحه يشترط ألا ينشده قائما . وألا يكلف تفصيل الأرض
بين يديه (١)

ورأى سيف الدولة أنه تجاه اشتراط غريب ، تمليه شخصية غريبة . لا يعلم
أن له عهدا بمثلها . أو قريب منها بين الشعراء ، شخصية واثقة معتدة . بل صاحبه
مدلة . تبغى الكرامة في أسلوب يرفع صاحبها من بعض الوجود إلى مراتب
الأنداد والنظراء . ثم نظر من ناحية أخرى ، فإذا هذه الشخصية لا تبغى الاعتراف
على حق مشروع . ولا مجاوزة حد معقول ، وإذا الذى يقدم صاحبها ، وعلى
عليه أبو العشائر ، وهو ابن عمه ، ونائبه فى بعض ملكه . وأديب يعالج الشعر .
ويستطيع المفضلة بين الشعراء عن علم وتجربة . إذا فلا عليه أن يقبل الشرص
بل لا مفر له من قبولها ، ولورثها يستجلى حقيقة هذا الشاعر ، ويهيئ له وجهه
يحاول فيها أن يثبت جدارته بما يشترط ، واستحقاقه للتقدم والامتياز .

قبل سيف الدولة شرطى المنبى ، ونزل على أحكامهما ، ولكن فى تروى
وانتظار . ولذا قالوا : إنه حين سمع شعره حكم له بالفصل . وعدا ما طلبه استحقاق (٢)
وخلا المتننى إلى نفسه ينظم أولى قصائده فى سيف الدولة ، وقد شغل السنين
به . واتجهت أنظارهم إليه . يرتقبون ما يطلع به عليهم فى شوق واهتمام . ولم يكن
خافيا على أحد أن حظوته الموعودة كانت إذ ذاك رهبا . با كورة شعره فى الآراء .
فأما نجاح يبلغه مأمله . ويرفع رأسه ، ويكتسب خصمه . وإما عشرين ذهب . وأرباب
ويشمت الحساد . ويسلم إلى مذمة المنافسين . مقام صعب ولا شك . سعى .

(١) زاد فى خزنة الأدب للأغداى : ٢ : ٣٠٦ . وأن يمدحه على الوحدة . و
أغفلنا إثباته بموضعه . لأن الروايات مستفيضة بأن المنبى كان ينشده فى غير الوق
راجع طبقات الأدياء : ٣٧٢ ، ٣٧٣ والبيان : ٢ : ٢٣٠ . وأبو الطيب المنبى وأحد

١٣ ، والصيح المنبى : ١ : ٦٦ - ٧٢

(٢) خزنة الأدب : ٢ : ٣٠٦

المتنى طوعا واختيارا ، تحذوه نفس طموح . وتؤازره مواهب صادقة ، فضى في ثقة واطمئنان وثبات .

وأحسب أن لو أخذته رهبة الموقف ، وبدت في هذه القصيدة دلائل التيب والحذر لكان جديرا أن ينفسح له مجال العذر . لكذلك نقرأ القصيدة ، ثم نقرأها ، نلح فيها سمة تدل عليها . ولا ترى لها لونا من تلك الصبغة تخالف به سائر قصائده في سيف الدولة . ودونك مطعها ، فاستمع له ، ثم حدثني عما يميم عليه :

ودؤكما كالربع ، أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشجاء ساجه

ألا تراه معي قد جرى في البيت على طبعه . وأرسلة غير متعمل ولا محتفل . خرج كما تهيأ له : شطراه متداحلان . ومعناه غامض ، ولو شاء لكان له معدى . وفي سواد بدل منه ، ثم انظر إليه في هذه القصيدة كيف أنى إلا أن يناجز شعراء سيف الدولة . ويرميهم بالقصور عن وصفه والعي في مدحه حيث يقول :

فأبصرت ندرا لم ير البدر مثله وخاطبت بحرا لا يرى العبر عأثمه

غضبت له لما رأيت صفاته بلا وصف ، والشعر تهذي طامطه

واستمع له بعد هذا وذلك يرد على ابن خالويه . وقد راجعه كلمة في مطاع القصيدة . فقد روى العكبري أن ابن خالويه كان حاضرا لإنشاءها ، فقال حين سمع المطالع : يا أبا الطيب ، تقول : أشجاء . وهو شجاء . يظنه فعلا . فدل له : اسكت ؛ ليس هذا من عليك . إنما هو اسم لا فعل (١)

أرأيت إلى أي حد كان المتنى قويا صارما ، بل غليظا جافيا في خطاب رجل له خطر جليل ، ومنزلة سامية عند سيف الدولة ؟

وبعد ، فقد كانت صلة الشاعر بأميره وثيقة محكمة . تقوم على أسس من صدقه . وحسن التقدير . واطراح الكلمة . فكان سيف الدولة يؤثره على شعرائه . (٢) ويسير بمن يحفظ شعره (٣) وكانت هباته وعطاياه تنو إلى عليه أنواعا

(١) شرح التبيان : ٢ : ١٣٠ بتصرف

(٢) الصبح المنى : ١ : ٥٨

(٣) التبيان : ٢ : ٢٩

منوعة : بين ثياب وأموال ، وإمام وعيد ، وجياد وأسلحة ، وزاد : فأقطعه قرية
من قرى حلب تسمى سبُعَيْن (١) ، وضيعة بالمعرة تسمى صفنا (٢)

روى الثعالبي : أن المتنبي لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها :

أجاب دمعي ، وما الداعي سوى طلل دعا ، فلما قبل الركب والآن
ناوله نسختها وخرج ، فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :

يأيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لا في

أقل ، أبل ، إقطع ، احمل ، عل ، سل ، أعد زد ، هش ، بش ، تفضل ، أدن ، سر ، صل

وقع تحت (أقل) : قد أفنأك ، وتحت (أبل) : يحمل إليه من الدراهم كد .

وتحت (اقطع) : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ، ضيعة بيان حلب ، وتحت (احمل) :

يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت (عل) : قد فعلنا ، وتحت (سل) : قد فعلنا فاس ،

وتحت (أعد) : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت (زد) : يزداد كد .

وتحت (تفضل) : قد فعلنا ، وتحت (أدن) : قد أدنيناك ، وتحت (سر) : سر

سررنالك . قال ابن جني : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السر .

فأمر له بجارية ، وتحت (صل) : قد فعلنا . وكان بحضرة سيف الدولة شح

ظريف ، يقال له المعقل ، حسد المتنبي على ما أعطاه سيف الدولة ، فقال : يامولاي ،

هلا قلت له لما قال : هش بش : هه هه هه (يحكي الضحك) فضحك سيف الدولة

وقال له : ولك أيضاً ماتحب . وأمر له بصلة (٣)

وأهدى إليه سيف الدولة ثياب ديباج ، وريحان ، وفرسا . ومهراً . فقال له

ثياب كريم ما يصون حسانها إذا نشرت كان الهبات صوابها

ترينا صناع الروم فينا ملوكها وتجلو علينا نقشها وقياسها

ولم يكفها تصويرها الخيل وحدها فصورت الأشياء إلا زمانها

وما ادخرتها قدرة في مصور سوى أنها ما أنطقت حيوانها

(١) القاموس : مادة سبع

(٢) معجم البلدان

(٣) أبو الطيب المتنبي وأخباره : ١٣ ، والتبيان : ٢ : ٧٢ .

وسمرايمستغوى الفوارس قدھا
ويذكرها صكراتها وطعانا
ردينية نمت ، فكاد نباتها
يركب فيها زجها وسانها
وأُمُّ عتيق خالُه دون عمه
رأى خلقها من أعجبتہ ، فعانها
إذا سائرته باينته وبانها
وشاتته في عين البصير وزانها
وقال يمدحه ويودعه إلى إقطاعه :

أيا راما يصمى فؤاد مرامه
تربى عدها ريشها اسهامه
أسير إلى إقطاعه ، في ثيابه ،
على طرفه ، من داره ، بحسامه
وما مطر تنيه من البيض والقنا
وروم العبدى ها طلات غمامه
فى يهب الاقام بالمال والقرى
ومن فيه من فرسانه وكرامه
ويجعل ماخولته من نواله
جزاء لما خولته من كلامه
وقال يصف منزلته وحظوته عنده :

بلغت بسيف الدولة النور رتبة
أثرتُ بها ما بين غرب ومشرق
إذا شاء أن يلهو بلحية أحق
أراه غبارى ، ثم قال له الحق
وما كند الحساد شيئا قصدته
ولكنه من يزحم البحر يفرق
فلذلك لان عيشه ، وكثر ذكر النعمة والثراء فى شعره . كقوله :

أنا منك بين فضائل ومكارم
ومن ارتياحك فى غمام دائم
ومن احتقارك كل ما تحبوه
فيما ألاحظه ، بعينى حالم
وقوله :

ناديت مجدك فى شعرى وقد صدرا
يا غير متحل فى غير متحل
بالشرق والغرب أقوام نجبهم
فظالعالم ، وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم بأنى فى مكارمه
أقلب الطرف بين الخيل والخول
وقوله :

تركت السرى خلنى لمن قل ماله
وأنعلت أفراسى بنعماك عسجدا
وقيدت نفسى فى هواك محبة
ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا :

ذلك كان شأن الأمير ، أما الشاعر ففي غير موطن من شعره تصريح بحبه وإخلاصه له ، كقوله ، وقد أراد الانصراف من عنده ليلا :

يقاتلني عليك الليل جدا ومنصرفي له أمضى السلاح
لأنى - كلما فارقت طرفي - بعيد بين جفني والصباح

وقوله :

أحبك يا شمس الزمان وبدره وإن لامني فيك السها والفرقاد
وذاك لأن الفضل عندك باهر وليس لأن العيش عندك بارد
فان قليل الحب بالمقل صالح وإن كثير الحب بالجهل فاسد

وقوله :

إذا كان مدح ، فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيناً ؟
لحب ابن عبد الله أولى : فإنه به يبدأ الذكراً الجميل ويختم .

وقد تفوق المتنبي في مدح سيف الدولة ماثلاً ، وشاء له الحب الصادق والضح الكريم ، فخرج شعره فيه أبلغ أشعاره . وأكثرها تداولاً ، وأحسنها بأساً - الخلود .

ومن دلائل التسهيل بينهما ، واطراح الكلفة والتزمت في صداقتهما - هـ -

الدعابة البادية في قوله :

تعجبت المدام وقد حساها فلم يسكر ، وجاد فما أفاقا
أقام الشعر ينتظر العطايا فلما فافت الأمطارَ فاقا
وزنا قيمة الدهماء منه ووفينا القيان به الصداقا
وحاشا لارتياحك أن يباري وللكرم الذي لك أن يباقي
ولكننا نداعب منك قرماً تراجع القروم له حقاقا

وتلك الفكاهة المتمثلة في قوله على لسان سيف الدولة ، يخاطب رجلاً - هـ -
إليه أياتا يشكو فيها الفقر ، ويزعم أنه رآها في النوم :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وألذاك بدرة في المنام
واتبها كما انتهت بلا شيء . وكان النوال قدر الكلام

كنت فيما كتبته نائم العيش ، فهل كنت نائم الأقدام ؟
أيها المشتكى إذا رقد الإعدام لا رقدة مع الإعدام
وكان سيف الدولة ينقد شعره . فيتقبل المتنبي نقده . أو يتلطف في الرد عليه
مع ورط ثقته بنفسه ، وشدة إيمانه واستكباره ، وسيف الدولة في الحالين راض
عه . ومعجب به . وربما كان سروره في الأخيرة أعظم وإعجابه أشد . حدث
العكرى أن المتنبي قال : مارد على أحد شيئاً فقبلته ، إلا سيف الدولة ، فاني أنشدته :
« ومن جيف القتلى ، فقال لي : مه ، قل : » من جثث القتلى ، فقبلت . وقلت كما
قال لي (١) .

وروى أيضا أن المتنبي لما أنشد البيتين :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى . وهو نائم
تمر بك الأبطال كللى هزيمة ووجهك وضاح ، وثغرك باسم
أنكر عيه سيف الدولة تطيق عجزى البيتين على صدرهما . وقال له : ينبغي
أر ضبو عجز الأول على الثانى . وعجز الثانى على الأول ، ثم قال له : وأنت في
هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنى لم أركب جواداً لذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى . ولم أقل الخيل . كرى كرة بعد إجفال

قل : ووجه الكلام في البيتين على ما قل أهل العلم بالشعر ، أن يكون عجز
الأول على الثانى والثانى على الأول ، ليستقيم الكلام . فيكون ركوب الخيل مع
الأمر بالخيل للكر . وسبب الخمر مع تبطن الكاعب . فقال أبو الطيب : أدام الله
ع مولانا . إن صح أن الذى استترك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر .
فقد أخطأ امرؤ القيس ، وأخطأت أنا ، ومولاى يعرف أن البزار لا يعرف الثوب
معرفة الحائك ، لأن البزار يعرف جملة ، والحائك يعرف جملة وتفصيله . لأنه

(١) البيان : ٢ : ٢٦٧ والبيت الذى يتحدث عنه المتنبي هو :

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تماثم

(٤ - صحيفة دار العلوم)

أخرجه من العزاية إلى الثوبية . وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب
للصيد ، وقرن السباحة في شراء احمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء .
وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت ، أتبعته بذكر الردى ليجاسه . ولم كان
وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية . فلهذا
ووحك وضاح . لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة . ووصله
بخمسمائة دينار (١)

وكان سيف الدولة يرى فيه شاعر المجد والخلود ، لذلك كان لا يطيق عيابه
أيام الحمل ، وفي مواقف البطولة والظفر . روى أنه جلس يوماً لرسول ملك
الروم ، ولم يستطع المتنبى أن يصل إليه لشدة الزحام . فعاتبه سيف الدولة على
تأخره ، فقال :

ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر
تراحم الجيش حتى لم أجد سبياً إلى بساطك . لى سمع ، ولا بصير
فكنت أشهد مختصراً وأغيبه معاني . وعياني كله خير
اليوم يرفع ملك الروم ناظره لأن عفوك عنه عنده ظفر (٢)

ولذلك أيضاً سلمه سيف الدولة إلى الرواص فعلموه الفروسية (٣) .
والطراد (٤) . والمناقة (٥) . ليشهد وقائعه . ويرى بعينه مبلغ شجاعته وحسن
بلائه في الحروب ، فيصفه من هذه الناحية عن رؤية وعلم . لا عن تخيل .
وتخيل . ولعل المتنبى قد أدرك معنى سيف الدولة من ذلك . وأراد تذكيره
بالإشارة إلى أنه حققه حين يقول في عتابه :

قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه . والسيوف دح
فكان أحسن خلق الله كلهم وكان أحسن ما فى الأحسن الش

(١) التبيان : ٢ : ٢٧٠

(٢) التبيان : ١ : ٢٩٨

(٣) حذق أمر الخيل

(٤) حمل الأفران بعضهم على بعض

(٥) الملاعبة بالسلاح

ويظهر أنّ تسليم المتنّى إلى الرواض والمتقّين قد أطر به ، وصادف هوى
في نفسه : لذلك كان يلذّ له بعض الأحيان أن يخرج في زى الفارس الكمي .
يتأهب للنزال والظعن .

حكى ابن جنى . قال : حدثني أبو عليّ الحسين بن أحمد الصنوبري . قال :
خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس
متمّ ، قد هوى بحوى برمح طويل ، وسدده إلى صدرى ، فكدت أطرّح نفسي
عن الدابة وقفا . فلما قرب مني ثنى السنان . وحسر لثامه ، فاذا المتنّى . وأنشدني :
نثرنا رؤوسا بالأحيد منكم كما نثرت فوق العروس الدراهم (١)

ثمّ قال لي : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك . قد
فستني يا رجل . قال ابن جنى : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي
الطيب ، فعرّفها وضحك لها (٢) .

وقد ذكر المتنّى في شعره أن سيف الدولة عليه استعمال السيف ، واستصحبه
في بعض الحروب . فسألم في أعمالها ، وصبر معه على شدائدّها . قال :

وقد طرقت فتاة الحى مرتديا بصاحب غير عزهاة (٣) ولا غزل
فبات بين تراقينا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبل
ثمّ اعتدى وبه من ودعها (٤) أثر على ذؤابته والجفن والحليل (٥)
لا أكسب الذكر إلا من مضاربه أو من سنان أصم الكعب معتدل
جاء الأمير به لي في مواهبه فزانها ، وكسانى الدرع في الحليل
ومن على بن عبد الله معرقى بحمله . من كعبد الله . أو كعلى ؟

(١) البيت للنتبي من قصيدة في سيف الدولة ، مطلعها : على قدر أهل العزم تأتي
العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

(٢) أبو الطيب المتنّى وأخباره : ١٤

(٣) لا يطرب للهو .

(٤) أثر طيبها

(٥) الجلود المقوشة بالذهب وغيرها تغشى بها أغناد السيوف

وقال :

ورعن بنا قلب الفرات كأنما يطارده فيه موجه كل سابح
سواء عليه غمرة ومسيل تراه كأن الماء مر بجسمه
وفي بطن هنزيط وسمين للظبا وصم القنا بمن أبدن بديل
طلعن عليها طلعة يعرفونها لها غرر ما تنقضى وحجول
تمل الحصون الشم طول نزالنا فتلقي إلينا أهلها وتزول
وقال :

وما حمدتك في هول ثبت له حتى بلوتك، والأبطال تمتصع (١)
وما كان لمثل هذه الصداقة القوية أن تعمر طويلا بين الأمير وشاعره .
دون أن تؤتى نتائجها الحتمية في نفوس من يتأثرون بها ، ويرون من الحير
ألا يصبروا على بقائها . فتفشى الحسد والغيط شعراء سيف الدولة ومن إليه ،
وسامت ظنون الشعاع بهم . حتى كان فيما يقال لا يطمئن لغير أبي الفرج السعدي
من بينهم (٢) . وكان القوم يحجرون بالحسد ، ويحارون بالتكوى إلى سيف
الدولة . أن أنزلهم من منازلهم . ورفع المتنبي عليهم . ولكن ذلك لم يغن عنهم
من الخيبة والحرمان شيئا .

روى البديعي أن سيف الدولة كان يميل إلى أبي العباس النامي الشاعر ميلا
شديدا ، إلى أن جاءه المتنبي . فقال عنه إليه ، فغاض ذلك أبا العباس . فما كان
ذات يوم خلا به وعاتبه . وقال : الأمير لم يفضل على ابن عيدان السفاح ؟
فأمسك سيف الدولة عن جوابه . فلبج وألح وطالبه بالجواب . فقال : لاك
لا تحسن أن تقول كقوله :

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أغد إليه غير محتفل

(١) عنق

(٢) الامتناع شدة القراع بالسيوف

(٣) الصبح المنى : ١ : ٧٣ . بتصرف

فهبّض من بين يديه مغضبا (١) ، وروى أيضاً أن السرى الرفاء حين قصد سيف الدولة أنشدته بديها :

إني رأيتك جالسا في مجلس قعد الملوك به لديك وقاموا
فكانت لك الدهر المحيط لديهم وكأنهم من حولك الأيام
ثم أنشدته بعد ذلك ما كان قال فيه من الشعر . وبعد ثلاثة أيام أنشدته
المتنّى قصيدة قافية ، فأمر له بفرس وجارية ، وأول القصيدة :
أيدرى الربع أى دم أراقا ؟ وأى قلوب هذا الركب شاقا ؟
ولما وصل إلى قوله :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حلق نطاقا
قال السرى : هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون ، ثم إنه حم في الحال ،
وتحامل إلى منزله ومات بعد ثلاثة أيام (٢) .
وموعدا العدد القادم لاتمام الحديث إن شاء الله تعالى .

على النجدي ناصف

(١) المصدر نفسه : ١ : ٥٨

(٢) المصدر نفسه : ١ : ٥٦ - ٩٧ باختصار .

من ومي الالم

تحت رواق الليل

لشاعر السريف محمود حسن اسماعيل

الطالب بدار العلوم

فَرَعَتْ لِلظَّلامِ رُوحٌ كَمَا يَفْزَعُ أَعْشَى لَوْمَضَةٍ مِنْ صِيَاءِ
 خَبَسَتْ خَيَالَ حَتَّى إِذَا مَا ضَجَّ فِي خَاطِرِي مِنَ الْبُرْحَاءِ
 هَرَّتْ أَدْمَعِي إِلَى سَاحَةِ اللَّيْلِ تَهَاوَى فِي الدُّجَى الظُّلُمَاءِ
 مَا لَهَا فِي السَّنَا مَلَاذٌ وَلَا فِي فَجَّةِ النُّورِ حَفَقَةٌ مِنْ رَجَاءِ
 سَاقَهَا فِي الظَّلامِ حَادٍ مِنَ الْهَمِّ . بَلَا رَيْثَةٍ وَلَا إِبْطَاءِ
 مُسْتَحَثُّ الْخَطِيءِ ، حُدُوبٌ عَلَى الْقَلْبِ يُزَجِّيه فِي رَحَابِ الْفَضَاءِ
 فِي عُقَابِ الدَّجَى يَهْمٌ يَمْتَسِرُ هُوَ فَتَضْوِيهِ غَيْثَةُ الْمِيَاءِ
 لَيْتَ مَلَأَ حَيَّ الضَّلُولَ هَدْيُهُ بَارَقَاتِ الْهَدَى لَشَطِّ الْفَنَاءِ
 طَالَ فِي الدَّيْلِ سَبِيحُهُ وَهَذَا حَيْرًا نَ شَجَّتُهُ مُضَاغَةُ الْإِعْيَامِ
 وَضَحَتْ بِالشَّرَاعِ هَبَاتِ رِيحٍ عَاصِفَاتٍ مِنْ زَعَزَعِ نَكْبَاءِ
 إِلَيْهِ يَا لَيْلٍ قَدْ لِي مِنْ حَوَاشِيكَ حِجَابًا وَنَاجِيًا فِي حَفَاءِ
 لَا تُدْعِ شَجْوِي الْكَشِيبَ وَلَا تَكْ شِفِ دُمُوعِي لِأَعْيُنِ الرُّقْبَاءِ
 وَدَعِ السَّيِّئَةَ الْعَلِيلَةَ تَحْسُو مِنْ فَمِ الزَّهْرِ بَلْسَمًا لِلشِّفَاءِ
 وَدَعِ الْكَوْنَ هَاجِعًا ، وَدَعِ الْإِنَّا سَ نَشَاوِي فِي غَمْرَةِ النِّعَامِ
 خَلَّنِي الدَّمُوعُ وَحْدِي أُنَاجِيَهَا وَحِيدًا فِي الْعُزْلَةِ السَّرْدَاءِ
 أَنَا مِنْ كَأْسِهَا شَرِبْتُ صَدِيئًا خَمْرَةٌ سَلِمْتُ مِنَ الْبُاسَاءِ
 عَصِرْتُ مِنْ مَطَارِفِ الْإِلْمِ الدَّاءِ وَيِ بَقْلِي وَعُتِّقْتُ فِي دِمَائِي

تَخَذَتْ جَامَهَا الْحَاجِرَ وَالسَّاقِ قَ هَمًّا يَوْجُ فِي أَحْشَائِي
 هِيَ أَشْهَى إِلَى عَيُونِ مَنْ النُّورِ ر ، وَأَبْهَى مِنْ لَحْمَةِ الْأَنْدَامِ
 هَاتِ يَا لَيْلٍ قَطْرَهَا فَهِيَ حَيْرَى كَثَمْتُ بَرَحَهَا مِنَ الْكَبِيرَامِ
 سَبَقْتُ مُطْلِعَ النَّدَى لَكَ .. دَعَهَا تَهَاوَى لِلشَّخَرَةِ الْفَيْحَامِ
 رَبَّمَا أَطْلَعْتُ بِظِلِّكَ فَجَرَأَ شَعَشَعْتُ مِنْهُ هَالَةً فِي السَّمَاءِ
 رَبَّمَا رَوَتْ الْأَزَاهِرَ فِي الْمَرْجِ ج فَمَاسْتُ فِي الرِّبْوَةِ الْغَنَامِ
 رَبَّمَا فَجَّرْتُ بِقَلْبِكَ نَبْعًا وَرَدُّهُ مُنِيَّةُ الْقُلُوبِ الظَّمَامِ
 هَمْسُهَا فِي الْجَفُونَ أَصْدَاءُ نَائِي بَلَعْتُ شِدْوَةَ رِيَّاحِ الْمَسَامِ
 مَزْهَرٌ لِلْعَيُونِ أَوْ تَارَاهُ الْهُدَى بُ وَأَنْعَامُهُ رَنِينَ الْبِكَاكِ
 صَامَتْ فِي الظَّلَامِ أَلْهَمَ قَلْبِي مِنْ مَعَايِهِ عِبْقَرَى الْغِيَاكِ
 لَا مَيَّ فِي هَوَاهُ خَالٍ مِنَ الْهَمِّ - بَلِيدُ الْفَوَادِ جُمُ الْغِيَامِ
 رَدَّ عَنِّي يَا لَيْلٍ دَعَوَاهُ إِنِّي كَدْتُ مِنْ أَيَّوْمِهِ أَحْطَمُ نَائِي
 لَعْنَةُ الدَّمْعِ فِي سَمَاءٍ مِنَ الْعِصْمَةِ عَزَّتْ حَصَافَةُ الْأَغْيَامِ
 حَسَبْتُ وَحْيَهَا عَنِ الْعَقْلِ إِلَّا حِينَ تَسْمُو مَلَا حَنَ الشَّعْرَامِ !

هَاتِ يَا لَيْلٍ مِنْ أَعَابِكَ وَأَمْنًا نَعْمَى بِالْخَوَاطِرِ الْهَوَاجِ
 نَا فِي غَارِكَ الْمَغْلَقِ بِالظُّلْمَةِ أَسِيرٌ ' مُثْقَلٌ بِالشَّقَاءِ
 حِكْمَةٌ فِي دَجَاكَ أَنْكَرَهَا الْعَقْلُ فَلَاذَتْ بِالصَّمْتِ وَالْإِنْزَوَاءِ
 سَمِعْتُ أَرْعُنَ اللَّيَالِي فَهَامَتْ مِنْ صَدَاهُ بَنْغْمَةٍ خَرَسَاءِ
 هَوَمْتُ فِي الْفَوَادِ تَرْجِيهِ لِلنَّخِيرَةِ وَالسَّحَرِ وَالْأَسَى وَالْعَنَاءِ
 وَأَسِ يَا لَيْلٍ جُرْحَهُ فَلَقَدْ طَالَ لَ أَسَاهُ بِرَبْقَةِ الْأَذْوَامِ
 أَنْتَ بَحْرُ الْحَيَاةِ يَا لَيْلٍ كَمْ فِيكَ أَهَاوِيْلٌ مِنْ صُرُوفِ الْقَصَاءِ !
 كَمْ غَرِيقٌ يَيْمُكُ الْأَسْوَدُ الصَّا حَبَّ آدَتُهُ صَرْعَةُ الْأَنْوَامِ

صَفَعَتْهُ عَنيفَةً مِنْ كُفُوفِ الدَّ — هَرَفَ حَطَّ فِي مَهَاوِي الْبَلَاءِ !
 وَسَبَّوحٌ عَلَى مَتُونِكَ مَجْدُودٌ دِ تَخَطَّطَتْ هَيْجَةً الدَّأْمَاءِ
 قَدْ ضَمَمْتَ إِلَّا كَوَانِ تَحْتَ جَنَاحَيْكَ سَوَاءٌ فِي جُنْحِ هَذَا الْعَمَاءِ
 هُوَذَا الْكُؤُخُ رَازِحٌ تَحْتَ أَثْقَا لِكَ وَهَذَا نَالُ الضَّرِيرِ الْمُسَامِ
 حَالِكٌ مِنْ سَيْدِ لِكَ الْكَحِيلِ غَطَاءِ وَارْتَمَى جَائِيًا يَبْطُنُ الْعَرَامِ
 عَابِرٌ فِي حِمَاكَ شَقَّتْ مَطَاوِيهِ شَجُونُ السَّرَى وَبَرَّحُ الْحَمَامِ
 لَمْ يَجِدْ رَاحِمًا يُوَاسِيهِ فِي الْبَلَاءِ وَيُنْصِيهِ مَضَّةَ الْإِنْضَاءِ
 فَتَغَايَ مِنَ الضَّنَى يَنْشُدُ الرِّحْمَةَ وَالصَّفْوَةَ فِي الْخِيَالِ النَّائِي
 رَجَفَتْ شَمْعَةٌ بِجَنِينِهِ تَهْفُو فِي دُجَاهِ كَالْمُقَلَّةِ الْعَمَشَاءِ
 خَنَقَ اللَّيْلُ نَوْرَهَا خَنْقَةَ الْبُؤْسِ لَسَ لَأَرْوَاحُ أَهْلِهَا التَّعَسَاءِ
 فَرَنْتُ لِلْقُصُورِ غَيْرِي شَجَاهَا أَخِيْلُ مِنْ لَوَاحِطِ الْكَهْرِبَاءِ
 سَادِرٌ فِي الْبُرُوجِ كَادَ مِنَ الْفَتَنِ يَرِقُ إِلَى بُرُوجِ السَّمَاءِ
 لَقِيَ اللَّيْلُ حَتْمَهُ حِينَ وَاقَا هَ طَرِيدًا مُعَرَّسًا فِي الْخَلَاءِ
 فَتَوَى فِي التَّخُومِ كَالْهَمِّ أَلْقَى رَحْلَهُ صَوْبَ هَالَةٍ مِنْ صَفَاءِ
 وَدَنَا الْفَجْرُ فِي غِلَاثِلِهِ الْبَيْضِ ضَرْفُ شَيْفِ الْإِهَابِ نَضْرُ الرُّوَاءِ
 يَسْكُبُ النُّورُ فِي الْعَيُونِ... وَلَكِنْ أَيْنَ الرُّوحُ وَمَضَّةٌ مِنْ سَنَامٍ ؟ !
 أَيْنَ قَجَرُ الْجَنَانِ يَا جَفْرُ؟ هَذِهِ نَعْمَاتِي، وَلَا تَضَيِّعْ نِدَائِي..

محمود حسن اسماعيل

صفحات مطوية

عبد الرحمن زغلول

تحت هذا العنوان نشر تعريفا بأستاذ من أكبر الأساتذة الذين خرجتهم دار العلوم ، وكان له في الثقافة العربية الحاضرة أثر عرّفه تلاميذه في دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ومدرسة اللغات الشرقية ببراين . وقد اعتمدنا في الحصول على هذه المعلومات على أوثق المصادر وخاصة أفراد أسرة الأستاذ المترجم له وقد تولى جمع هذه المعلومات زميلنا الفاضل محمد رشيد بركات المدرس بمدرسة بنباقادن الابتدائية . وستتبع ذلك ، في الأعداد الآتية ، بنشر بعض الآثار الأدبية للأستاذ عبد الرحمن زغلول .

نسبه :

هو عبد الرحمن بن الشناوى افندى زغلول ابن الشيخ ابراهيم زغلول ؛ وأمه سيدة عائشة بنت عبد الله افندى بركات وينتهى نسبه الى أبى بكر الصديق ولأستاذ - كما يتبين من نسبه - قد نسل من أكرم أسرّتين في الدلتا الشمالية ، وحسبك أن سعدا الزعيم الخالد عمه . وأن فتح الله بركات باشا ، وعاطف بركات باشا ابنا خاله ، لتعلم أنه من الحسب في الذروة والسمام .

وأبوه الشناوى افندى زغلول كان رئيسا لمجلس القضاء في مركز دسوق ، ثم في مركز زفتى ؛ وخاله عبد الله افندى بركات كان ناظرا لقسم دسوق ، في وقت كان فيه حكام القطر من الأتراك ، إلا نفرا كانوا يصطفون من بين أبناء البيوتات المصرية العريقة .

وجده الشيخ ابراهيم زغلول ، كان وجيها في قومه أثيرا لديهم . واسع نراة ، وكان إلى ما عرف من سخائه وجوده - حتى انه كثيرا ما كان يؤدي

عن أنبأه وأهل بلده أموال الحكومة - شديدة الملاحظة على كرامته ، يبادر إلى دفع طبف المهانة عن نفسه ، بأشد أنواع العنف والقسوة ، حتى مع أولئك الأتراك الذين كانوا يحكمون فلا مرد لحكمهم . لا يبالي بعد ذلك أن يكون ما يكون ولما كان الولد سر أبيه . كانت هانن الختان - الجود ، وإباء الضيم - أير . صفات المرحوم عبد الرحمن زغلول .

مولده ، ودرسته :

ولد عبد الرحمن زغلول سنة ١٨٦٦ في إيباه من أعمال مركز فوة بمدير الغربية ؛ ولما بلغ أشده التحق بمدرسة دار العلوم (ولعله كان قد انتسب إلى الأهرام ليعبد نفسه لدخول تلك المدرسة) . بيد أنه لم يلبث أن تخلى عن الدراسة ، وعاد إلى إيباه فعين عمدة لها . ولكنه كان مشغوعاً بالعلم : فلام نفسه على ما فرط . ثم عاد وانتسب إلى دار العلوم مرة أخرى ، ووافق ذلك التحاق الطالب عاطف بركات بها . فسارا معاً جنباً إلى جنب في طليعة الصفوف ، حتى تخرجاً فيها في عام ١٨٩٥ .

ولقد شغل الأستاذ عبد الرحمن عقب تخرجه - مهنة التدريس في شتى المدارس في مصر وفي الخارج : فكان مدرساً بمدرسة الصنائع بالمنصورة ، مدرساً بمدرسة المعلمين التوفيقية : ثم أستاذاً للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية في برلين (وقد انتزعت هذه الفرصة فحذق لغة اللاد ، وتثقف ثقافة ألمانية) . ثم عين مفتشاً للكتاتيب في وزارة المعارف (وله تقاريرات عاب فيها على هذه الكتاتيب إهمالها تربية الناشئ ، تربية جسمية وخلقية ، ودعا إلى الأخذ بعد وسائل يراها أقوم السبل إلى إصلاح الأخطاء الشائعة في ذلك النوع من التعليم) وعين في سنة ١٩٠٥ أستاذاً للأخلاق والإنشاء في مدرسة المعلمين الناصرية (دار العلوم) . وعهد إليه بطلبة الفرقة التحضيرية الذين كانوا يفدون من الأهرام . فكان يتولاهم بما حباه به الله من مضاء في العزم ، وحزم في المعاملة . وقدرة على تملك زمام طلبته . وتوجيههم إلى حيث يريد . فلا ينقضى عامهم هذا إلا وقد صقلوا صقلاً مدرسياً دقيقاً .

ونقل في سنة ١٩١٠ مدرسا في مدرسة القضاء الشرعي . وفيها رغب في أن
يحال إلى المعاش
مكت بضعة أعوام يتقل بين إيمانه ومنية المرشد والقاهرة حتى اختاره ربه
إلى جواره في سنة ١٩١٩

أخلاقه

عطفه على الفقراء ، وإحسانه إليهم :

وإليه - رحمه الله - كان ينتهي كثير من كرم السجايا ، ونبل الخلال :
فكان جوادا كريما . ينقب عن المحتاجين فيدوهم بالعطاء قبل أن ييدموه
بأسوال : ما سئل قط إلا أعطى عطاء من لا يخشى الفاقة ، منسبط الأسارير ،
بأش الوجه (كأنك تعطيه الذي أنت سائله)

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها ؛ فليتق الله سائله !
ولقد سار يوما على شاطئ النيل ، فعرض له في طريقه رجل ، يسأله شيئا
من النيل إذا أرد ؛ فأسرع إلى معطفه ولم يكن قد لبسه أكثر من بضعة
دقائق - فبزرعه ، وألقى به إليه . ثم واصل سيره . كأنه لم يفعل شيئا .

قوة إرادته

أما قوة إرادته فكانت مضرب الأمثال : وقف مرة بين تلاميذه يلقي عليهم
في قوة الإرادة . وبين لهم أنها العدة والعتاد لمن حاول أن تكلل أعماله
بحق في هذه الحياة . وأن المدرسين هم أجدر الطوائف بأن يأخذوا أنفسهم
بالنوع من التهذيب . وهنا انبرى له طلب خبيت ، وتقدم إليه . يسأله أن
يسأله في نفسه ينسجون على منوالها . فبش في وجه ذلك الطالب وبش ،
وسل ما شئت ، وفي نازل حيث تريد . وكان الطالب يعلم أن للأستاذ
شبيدا بالتدخين . حتى أنه ليشعل في اليوم مائة لفافة ، لا ترى يده خلوا من
إلا حين يقف للدرس أو الصلاة - فقال : أن تمتنع عن التدخين ،
فإن أسرع يد الأستاذ تمتد إلى جيبه فتخرج علبة العانف ، ثم تهوى عليها

أصابعه تمزيقا وإتلافا، وأخيرا يلقي بها الى حيث لا يعود إليها .
ولقد لمح عقب ذلك ، أستاذنا الجليل الشيخ نحر الدين ، ويده لفاقة يشعلها ،
فاحمرت حدقته ، وظهر على وجهه شتى الانفعالات النفسية . ثم قال : أتدرى ؟
إن رشفة مما في يدك لهى تزن عندى الدنيا بما فيها . قال : فما يحول بينك وبينها ؟
قال : عهد قطعته ، وعلى الوفاء به !

رجوعه إلى الحق

أما تواضعه فهو - إلى الآن - حديث كل من ربطتهم بالأستاذية ،
أو جمعهم به مجلس . وما علمت أحداً أسرع منه رجعة إلى الحق ، حين يسد له
وجه الخطأ فيما قال او فعل .

وقف مرة يوزع على طلبته كراسات الإنشاء بعد تصحيحها ، فلم ترقه كراسه
أحدهم ، فانهاه عليه لوماً وتقريراً ، ثم ألقى إليه بها . وخرج عقب الدرس
فظن أنه قد بالغ فى لوم الطالب ، وإيلا منه أمام إخوانه ، إلى حد ليس له منه
حق ، فعاد فى الحصّة التالية - وقد شغل الدرس مدرس آخر ، فاستأذنه
وقدم اعتذاره إلى الطالب عما بدر منه على مرأى ومسمع من الطلبة جميعاً !

شغفه بتهديب الناس ونشر الفضيلة :

ولقد كان الأستاذ سقراطى النزعة ، يبتهر الفرص أو يخفقها ، فيحاول أن
يغرس فى النفوس حب الفضيلة ، وعمل الخير . ويبحث منها جذور الرذيلة
والميل إلى الشر ، وعكف على ذلك ، وحبس وقته عليه . وكان فى أخريات أ . هـ .
- بعد أن أحيل إلى المعاش - أقصى ما تنزع إليه آماله فقد قضى هذه الفترة متنبهاً
بين آياتة ومنية المرشد ، يرتاد المساجد ، ويندس فى غمار الفلاحين . فيجد بهم
فى شئون شتى ، ويتخذ من لباقتهم فى التعبير . ودرايته بطباع الناس . أسهماً
يسددها إلى غرضه ، فتقع حيث يريد .

وشغف أخيراً بزيارة كتاب منية المرشد ، ورأى فى أطفاله منتجا خصبا يستخرج
أن يبذر فيه تعاليمه ، فتوقى أطيب الثمرات . فكان يتعهد التلاميذ بأسئلة . من
من ورائها إلى غرس خلق كريم ، أو استئصال خلة ممقوتة .

وأذكر . لقد قدم الى الكتاب ، يحيط به جمع من مشيخة القرية ووجهاها
واختار من بين أطفال المكتب طفلاً ألقى عليه الأسئلة الآتية :

قال : ما اسمك ؟ . . . واسم أهلك ؟ . . .

قال : وما صناعته ؟ — حلاق .

قال : فأى عملائكم أحب إليك ؟ وأثر لديك ؟

فنظر الطفل الى من صاحبوا الأستاذ في زيارته ، وطفق يعدد أسماءهم واحدا
واحدا ، عندئذ تارت ثائرة الأستاذ ، وبدأ الغضب جاليا على محياه ، وأوسع
النفوس لوما وتقريعا ، جزاء ما ارتكب من النفاق . ثم مال الى التلاميذ يحذرهم
من أن يخذلوا أحدهم خذو زميلهم ، ويقبح تلك الخلة ، ويرسمها لهم في صورة
من أنكر الصور . على أن عبارته — حين كان يقذف باللوم أولا ثم حين
كان يقدم التحذير ثانيا — لم تخرج عن هديرها ، وسلامتها ، وترتيبها ترتيبا
منطقيا بديعا

دقة ملاحظته

وكان يغوص بنظره فيما حوله ، ويتغلغل فيه بفكره ، كما يغوص اللآلئ إلى
قعر البحر ، ثم يعود محملاً بأنفس اللآلئ ، وأندر الدرر

من بين رسائله رسالة يقص فيها مشاهداته حين ركب الباخرة في طريقة الى
ألمانيا يحدثنا في فقرة من فقراتها فيقول :

وكان من بين الأطفال الذين بالمركب طفلة فرنسية ، غاية في النشاط
ولذكاء ، تبلغ الخامسة من عمرها ، كانت هي التي تبدأ كل رجل وامرأة وطفل
بكلام ، حتى لقد انقضت بعض أوقات الأكل — حيث يجتمع المسافرون —
لحديث متروك لها توجهه إلى من شاءت . وتنقل فيه كما أرادت . وكانت —
إلى هذا — كثيرة الحركة . سريعة التنقل ، وأكثر ما يظهر ذلك عنى سطح
المركب ، حين يصفو الجو ، وقد رأيتها حادثت كل كبير وصغير ، الاذنيك
لطفلين الأخوين الانجليزيين . فأنها متى اقتربت منهما لتلعب معهما — ابتعدا
وأعرضا عنها ، ومتى دعتهما الحداثة وحب الحركة وما بين يديها من وسائل

اللعب الى الاقتراب منها — قطعت لهما وجهها، وأشارت إليهما بالابتعاد. وفي صورة خوف من أن يقع نزاع بينهم، بل في صورة أخرى، فإذا كالا لاسنة، بذلك تما يستقيم — صح لما الحكم أن في الترية الانجليزية عاملا على تمتع الانحسار عن مخالطة سواه»

إنتاجه

وكان رحمه الله حركة دائبة في العمل والإنتاج، لا يترك فرصة سبحة إلا شغلها بما يجدى ويفيد. فله عدة رسائل:

إحداها يبحث فيها عن سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يقول ع: «تأولت أكثرها من طبقات ابن سعد. وتوخيت في رسالتي هذه — بالذات — عمر في باطنه وحقيقته.»

ورسالة أخرى عن الجمع الأزهر، يبحث في أنظمتها، وعلمها، ويدلى — فيما بين ذلك — بما يعن له من آراء في إصلاحه

ورسالة ثالثة موضوعها تحرير المرأة، كتبها يوم كان هذا الموضوع هو الشغل الشاغل لأذهان المصريين وألسنتهم وأقلامهم جميعا ومن بين رسائله رسالة يسميها رسالة التليدة. وله عدا ما تقدم — قصة مصرية من تأليفه.

ولعل أنفس ما كتب رسائله في علم الأخلاق، يوم كان يتولى تدريس في دار العلوم، وتلاميذه يحرصون عليها، ويعدونها أثمن ما يفتنون.

ثم قصصه التي ترجمها عن الألمانية، والقصص منها لا تعدو بضعة أسطر. وفي اعتقادي أنها لو نشرت — لكانت خير كتاب يحجب القراءة المنزلية إلى صغار التلاميذ. وله آثار أخرى. وكل هذه وتلك تحتاج الى دقة فحص، وشدة عناية. ومن أولى بذلك، وأقدر عليه من حضرات الأساتذة أبنائه الذين تخرجوا على يديه في دار العلوم؟

الشيخ عبد المطلب^(١)

شاعرنا وصلة حسنة بين الجديد والقديم

بقلم محمود ناصر

المدرس بالفيوم الابتدائية

٢

يخيل إلى أن تلك المعركة الحامية بين الجديد والقديم قد أثارها كتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي) ورد الأستاذ الشيخ عبد المطلب عليه في هذه الأهرام ثم في المقطم وما تبع ذلك من شرح مذهب ديكرات في البحث . بدت تلك الحرب الضروس من ذلك العهد وكنا نترقب الردود ترقب المدلج لسر وارتقاب الزهر للبطر ثم عقيبت تلك الحرب هدة استمرت إلى حين حيث عبر الكتاب وحذف منه ما كان موضع التجاور والجدل وأصبح اسمه (في الأدب الحديث) عند ذلك سكنت الشاعر الكبير ، ولكن الدكتور زكي مبارك وهو أحد تلاميذ الدكتور طه حسين أراد أن يبعثها من جديد شعواء فكانت سجالات بين صميمين اقتتلوا وليس بينهم من بعد الشقة واختلاف الجنس وتنازع المأرب . ثم قرر أن تدور رحاها وتدبج فيها تلك المقالات التي استنفدت وقتا كبيرا كان يحرم أن تنفق فيما هو أجدى وأفع ، وشاعرنا رحمه الله لم يكن لينازع في منفعة بعض الجديد بل كان كثيرا ما يبحث على الأحاد بما هو نافع ومفيد ، مما تلاكل المناس إلى الساحة الدينية إذ أنها تصلح لكل زمان ومكان وهو لا يحرم الانتفاع بما حاق الله من مرافق وبما ظهر من بحث يتمشى مع جانب الحق ما دام يمكننا

(١) راجع الجزء الأول من المقالة في ص ٩١ - ٩٧ من العدد الأول من السنة الثانية من صحيفة دار العلوم .

وهو يثق كل الثقة بمؤرخى العرب ويود لو يدرس الناس مؤلفاتهم وكتبهم ، وقد سقه الدين أحلام الناس الذين يستمسكون بالقديم البالى وبما وجدوا آباءهم عليه من غنى وتضليل ، وكان كثيرا ما يقرأ تلك الآية على أسماعنا ، وإذا قيل لهم تعاونا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ ، وهو محافظ شديد الحفاظ على ما يراه صالحا لا يتعارض مع قيامت المدنية مع شئ ، من خشونة الطبع والعنجهية فهو إن ركب الحمار أو الجمل لا يعدم أن يركب السيارة أو القطار ، ولو طالعت حياته لرأيت أنه يركب الطائرة يشوبها أجواز الفضاء لعله . يلقى بها على السحب الامام عليا . كما يقول فى علوته : كما ركبها الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشري وأمتع الناس بوصف جميل وحدث طريف عنها وليس عابا أن يحافظ المرء على شرف آباءه وأجداده ويملا فيه شرف بمجد العرب وآثارهم . ولقد تعجب إذا رأيت بعض السائحين والسائحات فى هذا العصر يركبون الابل ويقتنون نفائس الشرق على تطاول العهد بقدمها وتمد لخص الأستاذ الأديب الحاج محمد الهراوى رأى فقيدنا فى الجديد والقديم قوله « ألا وإن شعرك الرائع فى بداوته ، السليم بدياجته ، لهو المصباح الذى بنور دمع الخطر الداهم من دعاة المدرسة الحديثة الذين يدعون إلى التقليد باسم التحديث فيقولون من الغرب ما لا ياتئم فى شئ مع الشرق ، فهم كالمثبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، وتلك تجارة ماجرت سوى الخسارة ، ولقد كنت يا أخى ، يحسب شاعرنا ، حربا على هذه الدعاية المزجاة التى لم يظهر لها مثل صالح للأخذ فى النثر أو فى الشعر ، وكان عندك كما هو عندي معلك أنه وإن كان من المتبدلين الأمم تطعيم أدب بأدب وتلقيح فكر بفكر إلا أن لكل أدب دانيته ولكل لغة وجهة تفكيرها فلا يحمل بنا ولنا أدب عتيق وتراث مجيد . أن نفنى أدبنا فى تقليد أدب الغرب وجرياء وراء المحتامين بتعلمهم فى معاهده ففى ذلك برؤى عزتنا القومية وضياع لتراث هذا اللسان العربى العنى بأدابه ، المعجز بآيات كتبه ، هذا رأيه وتلك عقيدته فهو لا يعجبه هذا اللون من الأدب الجديد من مكشوف أو واقعى أو قوى ، ولا تلك الفوضى التى تراها فى القوافى والحواح

في لأوزان على البحور المشهورة وغيرها. جريا وراء الشعر الأوربي؛ وإنما ذلك حبة العاشرين في اللغة، الفقراء في أدبها ومفرداتها، وهم أقرب ما يكونون إلى استعجمين. ألم ترهم ينادون بأحياء اللغة العامية في المسارح والتمثيل، وإلى التراجع خريفه من أدب الغرب من غير أن يلمسوها ثوبا عربيا بليغا؟ وأمثال هذا كثير في الصحف اليومية والأسبوعية. من هذا ترى أن أدبه حلقة اتصال بين الماضي ونجد والحاضر الممتع، حفظ به تراث العرب ودياجة شعراء القرنين الثالث والرابع. كما حفظت الدولة العباسية مجد اللغة وأحييتها في كل مكان. فانتشرت مؤلفات، وكثر الأدباء والخطباء والشعراء والكتاب يقتبسون من أدب الفرس وأروم ماشاءوا وشاء لهم الدوق العربي المبين، فتقبلت اللغة في أيامهم كل ما رأت من معالم الحضارة والرقى، وأدخل نظام التعريب، وتقدمت اللغة ولم تقف حرجة في سبيلهم. وكثر المترجمون وغيرهم. وأدخلت الحكم الفارسية واليونانية وآراء الفلسفية والعلوم والفنون. وكان بشوق بك وقد نمش مع رأى فقيدنا يؤيد هذا الرأي بقوله:

لا عز للأفوام حتى ينهضوا بقوادم من أمهم وخوافي
وإذا قرأت شعر هذا الشاعر رأيت أنه ذو لونين مختلفين وقد عبر عن نفسه بقوله:

ولنا إذا شئنا جزالة جرجول وإذا نرق قنوبة وجرجول
وقبله:

دل القريض لنا: فأما روضه فجنى، وأما صعبه فذلزل
فهو إذا تبدى لا يرى في سماوة فكره سوى الطعائن والحدوج وكتان
مل والخيام والصحراء وترسم الآثار والأطلال والدمن البوال: فخرج شعره
كثير الغريب والمعاني البدوية التي لم تكن تطيرها رقة الحضر: فهو بحسبه في
لهفة، وروح في نجد وتهامة: وإذا تحضر كان أرق من النسيم إذا سرى. وأصفى
من السلسيل. وأذكر أنه كان في الحفل الحاشد الذي أقيم لتأبين شيخ الشعراء
(٥ - صحيفة دار العلوم)

إسماعيل باشا صبرى ينشد قصيدته التى أولها :

بارحات بالواديين هوافى يا حمام الرياض عز القوافى
وقد أنشدت قبله قصيدتا أمير الشعراء وشاعر النيل فهم أحد الحاضرين
الأدباء - وقد سأل عن الشاعر فعرفه - يبحث فى جيبه عن معجم ٠٠٠٠ فقرئ
بعيشك لو لم يهيا للغة العربية أمثال هذا الشاعر الكبير : أكان الناس يحسون
بهذه الألفاظ التى أتى بها وأحيائها فى شعره . وهى اللغة الفتية الفصيحة الكعبة .
البلغية الأسلوب ؟ ولعلك أيها القارئ الكريم أدركت السبب فى استمساكه .
المذهب وحرصه عليه ؛ ولذلك يقول عن اللغة :

من لم يحط بقديمها لم يعتقد علما بمجد الشرق وهو أثيل
وخذ المعانى فى جمال جديدها ماشئت ، لا حرج ولا تخذيل

وله رأى طريف فى الجديد لأنه يعتقد أنه سليل القديم

مازوا الجديد من القديم ، وما دروا أن الجديد من القديم سليل
جلبات إفك ، فى مهالك فته هو جاء ، كيد غواتها تضليل
إن كان ما زعموا قديما ديننا فليات منهم بالجديد رسول
أو إن يكن لغة السماء فإنها القرآن والتوراة والانجيل
أو ذلك الأدب الذى شهدت به فى كل شعب بالجمال عدول
زخرت به أم اللغات ، ولم تزل بعلاه تقترع اللغى وتطول
وسيعلون إذا الحقيقة أعرضت أن الضلالة جندها مخذول
وترى الجديد يصيح فى حجراتهم : يا قوم ، عن تلك المهالك زولوا
ما فى القديم معابة إن لم يكن فيه عن السنن السوى عدول
وذو الجديد إذا رأيت سبيله عوجاً عن الحق المبين ثميل

فهو يحفل بالجديد المفيد غير ذى عوج عن الحق المبين : فأنت ترى أن تلك
الجلبات بين القديم والجديد لا أساس لها ، ولو كان شاعرنا نال من بهجة الحجة
وزينتها مانال شوقى أو البارودى ، وخرج عن مصر ، ورأى العالم الأورنى وعرف
صفات الناس وأخلاقهم وعاداتهم ، وشاهد هذه المناظر المختلفة ، ومنح اضلاعاً

عن أدب الغرب، أو درس لغة من لغاته الحية - لكان له شأن غير هذا الشأن :
و لكنه أخذ بالثقافة الشرقية ، ولم يزود إلا بما ترجم من كتب ومؤلفات ، وما
سُر من بحوث . وهو ذلك الرجل الذى ضوى جسمه ، وضعف بصره ، وحالت
قود الوظيفة دون ما تبغيه نفسه : ومع كل أولئك فقد بارى الشعراء وجاراهم
و ظهر بينهم علما واضحا ، وشاعرا خلا ، نغم الألفاظ ، متين القافية ، رصين
الأسلوب ، غزير المعاني . وربما فاق أترابه في بعض قصائده أو مشى معهم جنبا الى
جنب . ولقد ين شاعرنا حالة التدريس وما جرت عليه من بلاء وعناء ؛ فقل من
فصيدة أنشدها فى نادى طلبة المعلمين العليا عام ١٩٢٤ :

فهل قدر الناس المعلم قدره	إذا ذكروا أهل البلاء وقدروا
بنى مصر ، ما بال المعلم كاسفا	يرى الناس فيها يكبرون ويصغر
سبيل النبيين الكرام سبيله	يعم به الدنيا صلاحاً فتعمر
سلوا عنه جنح الليل ، كم بات متعبا	تنام حوالبه العيون ويسهر
سلوا عنه عينا قرح السبد جفنها	يخط عليها فى الظلام ويسطر
سلوا عنه جسمها بات بالسقم ناحلا	فلا البرء مأمول ولا هو يعذر
سلوا عنه أسفار اقضى الليل بينها	غريبا عن الدنيا وأهلوه حضر
سلوا عنه قلبا بات يخفق رحة	على فتية من حوله تتصور
يروّعه صرف الليالى عليهم	وعات حوائثهم من البؤس يزأر
فإن مد للدنيا يدا يستمدّها	لهم ، عنه وات وهى غضبي تشرّر
سلوا عنه إخوانا قضى العمر بينهم	غدّوا فى ثراء وهو بالفقر أخبر
فيا ويحه اكم يشتكى فى حياته	وكم يتلقى من بلاء فيصبر !

فمثل هذه الحال لا تدعو إلى ابتكار كثير ، أو تجديد كبير فى مجال القول .
وكما من الأدباء غمرتهم الوظيفة وكادت تقضى على أدبهم الجمل ونفوسهم الالية
الوابة ، خصوصا المعلم الذى قضى العمر تائها بين الدفاتر والمحابر حتى هزل جسمه
وكل بصره ، تنام حوالبه العيون ويسهر ،

وإن أهم باعث على هذه النهضة الأدبية التى نظمت نواحي القول من شعر

وخطابة وكتابة ، تلك الثورة المصرية التي قامت عام ١٩١٩ ، فعمت البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وقبلها قيام الحرب العظمى التي نهت الأمم من سباتها ، وأبقت العقول من رقادها ؛ فظهر الشعراء ، وتبارى الخطباء ، وتساجل الكتاب ، وامتلات الصحف والمجلات بالمقالات البليغة ، والخطب القوية ، والشعر الحى ، وكثرت الألسنة العلمية والأدبية . ونمت الثقافة الشرقية ، واتجه الناس إلى محاسن الثقافة الغربية ، ثم ما أدرك ما يفعل النفى ، والاعتقال ، والتشريد ، والسجن ، والتعذيب ، والمصادرة في نفوس الناس ؛ حصوا ذوى الاحساس الرقيق ، والشعور القوى : حتى كأن النفوس من اجل تغلى وتثور ؛ فامتازت الخطابة والشعر ، وظهر شاعرنا الدوى مسجلاته الحوادث ، وخب فيها ووضع . وهو يعد من شعراء هذه الثورة ، وأحد رعمها الذين تذووا بألسنتهم وأقلامهم . كما كان البارودى ، وعبد الله نديم ، من رعماء الثورة العراقية ؛ ولعل مما يحمد لشاعرنا أنه لم تفته حادثة إلا سجلها بشعره الخبير فشى مع الوفد ، وسار مع زعيمه ، كما سأينه بعد ، عند الكلام على الناحية الاجتماعية والسياسية . وها هو ذا شعره يشهد له بذلك ، وهو لا يخلو من الأعراض المعروفة في الشعر : من نسيب وغزل ، إلى نثر ووصف ، ومن مديح ورثاء ، إلى شعراجناس ، وآخر سياسى . ولابدأ بدراسة هذه الأعراض :

غزله ونسيبه

قلما ترى شاعرا لم يتخذ الغزل والنسب غرضاً من أغراض القول ، أو يجمع مقدمة لغرضه من مدح أو نحر أو وصف أو اجتماع أو سياسة ؛ وهو محبب إلى النفوس تجذب إليه ابجذابا ، وتميل إليه كل الميل ، فلاغرو إذا أتى شاعر ببس ، كثير منه ، ولكنه لم يكن قائما وحده ، اللهم الادالية أسوان التي تقدم الكلام عليها وغيرها ، وأعجب ما نعجب له أن الشاعر مهما بلغت سنه وتقدم عمره ، نمن إلى الغزل ، ويستهل به قصيده ، ويورى به عن غرضه ، وليس للترجم معان مبتكرة في هذا الغرض بل هو يحاكي غيره من الأقدمين ، ويجرى على عهدهم . جرى المهار على غبار خصاص ، ولا يعد من الشعراء الغزليين كأبي الخطاب وكثير

وحمين والعباس : ولم يخرج عن ذكر الطيف اذا سرى ، وحرق الجوى ، ومرارة
لوى : كما تمدح بالأرق والسهاد وتقرح الجفون : تهيجه الشمال اذا هبت ،
والجنوب اذا عصفت ، ويغار من سجع الحمام وهديله ، ولا يخرج عن بكاء الديار
ووصف الظباء والطعائن والحدوج : ألم تره فى قصيدته التى قالها فى الحرب والغلاء
تصور وحل موظفى الحكومة ووفاء النيل عام ١٩١٨ كيف يستهلها بقوله :

لو ان المي أسعدتى رجوع لما صليت حر الغرام ضلوعى
يقول أناس : أنعمت نعم بالمى . فما بال جفى مغرقا بدموعى ؟
مالى ازور الطيف أستشفع الكرى فتأبى حقونى أن يكون شفيعى
وأرقب نجم الليل غير أن ، أنه يرى آل نعم عند كل طلوع
فلله أيام العقيق وما حوت ربوع بنجد كن خير ربوع
بذكرنيها ساجع النيل إن شدا على جنبات النيل بعد هزيع
وهكذا ترى عرامه بنجد والعقيق قد ملك عليه مذاهب القول ، وإن كان
يسكن القاهرة ، وهو فى ذلك يبين أن هواه نحو منبت شعبته ومغرس أرومته ، وإن
أثر عنه بعض الغزل فى القاهريات ، ولكن هذا الميل الطبيعى فى نفسه جعله يؤثره
على غيره من الأوصاف الأخرى : فتراه فى مرثيته للرحوم الشيخ على يوسف
صاحب المؤيد يقول :

تحفى بنا نجد فهل أنت منجد وجدت بأهليه النوى فتبددوا
ذوى نيتة لما جفا المزن تربه ومر به حلو من العيش أرغد
وما كان إلا مربع اللهو تنتهى إليه أمان صادرات ووردد
أحيرتنا بالجزع . ترتقب اللقاء على الدهر ، أم ذلك الفراق المؤبد ؟
عدونا - إذا بانك بكم عن رباعنا نوى قذف - بالعود . فالعود أحمد
ويقول فى مدحته لصاحب الجلالة ملك نجد والحجاز عند تكريم الأستاذ
الشيخ حافظ وهبة وقد خلعت عليه عباءة نجدية فى الحفل :

برق يلوح وسائق يحدو يا شوق هل لك غاية بعد
ونوى تشط بنا مطرحة أنا بالغُوير ودارهم نجد

ويقول في غزله بالقاهريات وسيف الجزيرة من قصيدة تكاد تسيل رقة
وعذوبة :

على النيل من سيف الجزيرة جوذر هفا تائها والحسن بالتيه يأمر
مدل بريان الصبا، فهو ينثى دلالا كما شاء الجمال ويخطر
زهاه الربيع النضر والماء جاريا به النيل في أفلاجها يتحدث
وأسكره من جانب الروض نفحة سقاء بها ذاك النسيم المعطر
فما أنس م الأشياء لا أنس موقني وقد مر في أترابه ينتظر
يهز القوام الغض في بخترية وحسن المشى بالقاهريات أجدر
من اللاء علمن الرباط طيب نشرها وعرف أثمار الدجى كيف تقمر
كساهن روق الحسن نعمى أثيلة وعزبه تطوى العصور وتنشر
لهن علينا في الخدور كرامة يعز بها ذاك الجمال المخدر
خدور بنيناها وقفنا حياها كما قام دون العاب ليث غضنفر
وهو في هذه القصيدة وأمثالها يحاكي عمر بن أبي ربيعة في رائية المشهورة
التي أولها :

أمن آل نعم أنت غاد فبهكر غداة غد أم رائج فبهجر
وليست تلك القصيدة وحدها هي التي قبلت في الغزل بالقاهريات ، بل له قصيدة
ممتعة خالدة ، وأغلبها محاكاة وتقليد؛ إذ ليس الغزل من الأغراض التي عني بها عماته
بغيره. فيقول من قصيدة أخرى أنشدها في حفلة كبيرة بدار التمثيل العربي وسُميت :
«سوق عكاظ» برياسة المرحوم أمير الشعراء شوقي بك نابغة هذا العصر عام ١٩٢٣
وكانت هناك مباريات بين الشعراء والأدباء :

ولم ينسني وجدى به أن لى هوى يحن إلى طرف بمصر كحين
من القاهريات "تى لم تر اللوى ولا زلت في حومل ودخول
سقاها معين النيل روقا من الصبا وميعة قد بالدلال ميول
وأوحى إليها روض مصر شمائلها تظل بها نشوى بغير شموا
فتراه في هذا الغرض مقصرا ، لم يبلغ شأو الشعراء الغزلين كأبي احصب

وكثير وحيل وغيرهم. فحكاكم وجرى معهم كما تقدم القول، وليس معنى هذا أنه لم يصدر عنه ذلك الغزل الرقيق ذو المعاني القيمة الحضرية كقوله من قصيدة في الفخر عام ١٩٠٨ فأبدع أيما إبداع:

ولم ينسني عهدي به منزل الغضا وغز ليال فيه مزدهرات
ولا مسرح الآرام فيه أوانسا تهادين في شرخ الصبا خفرات
حسين لعاب الشمس ذائب عسجد فأقبلن في الأصال منتشرات
شموس نهار يبهز العقل أنها بدت بسواد الليل مختمرات
بدت كغصون البان أسكرها الصبا فاست على أعطافها خمرات
وقفن فؤادي بالدلال على الهوى وبالصد أجفاني على العبرات
وأغرين بي طيفا ألم فأسرعت بنفسى على آثاره حسرائي
ترامين إذ جئن الخائل غدوة رقيبا، فأقصرن الخطا حذرات
وعدن على الأعقاب يمتلن أنفسا صعبا على غير الهوى عسرات
ثم تراه بجانب هذا يعارض المشهورات من القصائد، كقوله يعارض قصيدة ابن هاني الأندلسي التي أولها:

فتكات لحظك أم سيوف أيك وكئوس خمر أم مراشف فيك
فقال رحمه الله:

لو كنت وامة كما زعموك يا عز، ما كذبت ظنوني فيك
قالوا تملكها الغرام وشفها برح الجوى، البين، يوم لقوك
حسبك صادقة، ولو علموا بما حملتى بالصدر ما حسبك
ومنها:

يا بيضة الخدر المنيع أما كفى خديك قاني دمعى المسفوك
ومنها:

أنا من عرفت له إذا احتكم الهوى عز الأبى وذلة المملوك
ثم تراه في بعض القصائد يخرج عن كل ما مضى من ذكر الأطلال والدمع
إلى، شأن أبي نواس ومن لفة، متناسيا ذلك، كقوله في قصيدة يذكر فيها
تقليد الأجنبيات:

مالى وللربع المحيل أبكيه بالدمع الهطول
نوح الحمامة رجعت بين المعاهد والطول
أوكابن حُجر إذ بكى ما بين حومل والدخول
كلا ولا أبكى الظعا (م) ثن في الهوادج والحمول
تخدى بها نجب السرى بين المتالع والسهول

ويقول من قصيدة أخرى بعثها إلى بعض أصدقائه عام ١٩٠١

يا جيرة الحى ، بان القلب بعدكم فليس يهنا لى فى بعدكم بال
الله فى كبد بعد البعاد جرت من الجوى فى مسيل الدمع تهال
سارت بها يوم جد البين ناجية فى كل واد لها وخد وإرقال
تجفو المبارك شوقا لا يطيب لها دون السرى الأخضران: الطلع والضال
تروى بنعمة حادىها إذا ظمئت فتأف الماء وردا وهو سلسال
ترمى الفجاج بآماق يروعها فى سيرها اللامعان : البرق والآل

فهو كثير الترحال فى ريف مصر ، يكلف بالعيش والجمال . والوحدان والإرقال
ثم يرأها تطعم الطلع والضال . وقدر وعها فى سيرها البرق والآل ، مع أن له مندوحة
عن الاهتمام بها والكلف بحبها : ولكنه يحدثنا فى كلامه هذا عن نشأته البدوية ، فيبدو
يريد أن يصقل ما أمامه بصقال من صفاء الصحراء . ويزينه بجمال الحداء . وبتنع
نظره بما وراء الحباء من جمال وحسن غير مجلوب بتطارية : ومثل هذه المعاني لا تروق
شبان الأدب وطلابه المحدثين ، فتراه يضربون الذكر صفحا عنه ، فكل عصر حمله
وميزته ، ورأيه هذا قد وضحناء فيما سبق ، فهذه الحضارة والمدنية التى عمت الحدود
والوهاد ، وامتد ظلها فى كل صقع وناد ، لا يروقه بهرجها . ولا يأخذ بلبه زخريها
وزينتها ، مالم تسر فى طريق الخلق القويم ، وكان الدين دعامتها ، والتغنى بمجد الآباء
والأجداد بهجتها ، فهو يروم إحياء هذا المجد بكل ما يستطيع ، إن كتابة وإن شعر
وخطابة : ومع هذا ترى ديوان شعره لا يخلو من رقة الحضريين حتى يخيل إليك
أنك انتقلت إلى حدول صاف يسيل ماؤه أى مسيل ، ويروقك خيريره ، وتحدث
طيوره الشادية وما غرس على حفافيه من ورد وريحان ، وآس وأقحوان ، فيقول :

صب به ذهب شجونه يبكي فتسعه جفونه
لو لم يطع أمر الصبا في الحب ما ثقلت ديونه
ما زال بين ملاعب الآرام مذكاة عيونه
مستهدفا لفتونه جهلا فحاق به فتونه

ومنها:

يا هل درى ظلي الكنا س يعض ما يلقى رهينه
وبأن لي قلبا على حكم الهوى غلقت رهونه
يمسى ويصبح في الخ ين و ليس ينفعه حنينه
لو شاء كتمان الصبا به أعربت عنها شونه
يا قلب صن عهد الهوى لا كان قلب لا يصونه !
قسما به ، أنا لا أخو ن ذمامه أنا لا أخونه

ومنها:

حيًا الحيا عهد الصبا ذهب بشاشته ولينه
أيام لا بعد يروعه ولا صد يشينه
أيام يخطر في القوا م اللدن يزهاه جينه
ما البان منه إذا ترنح بالدلال وما غصونه ؟

وفد وفق بين السياسة والغزل ، فاستهل برقيقه في بعض قصائده ، عند انشقاق
الزعماء ومقتل السردار :

أذنت لطيف خيالها بلعام أترى الخيال يزور غير نيام !
يا طيف ، ما أنا بالذي نصب الكرى شركا لكاذبة من الأحلام
أنا من إذا لعب الغرام بأهله لم يلحن عما أجن غرامى
قلب يذوب مع الجمال وهمة تأتي على مساقط الأحلام
وإياه أروع لا يراع إذا الردى حلكت حواشى ليله بقتام
وحفاظ نجد لا تلين قناته يوم الحفاظ ولا يرام لراى

شيم على الإسلام لحة نسحها وسداتها إرث عن الإسلام
 فاقى هواك، هوى الحسان خديعة تقف الفتى بمزالق الأقدام
 أنت التي علمتني سرف الهوى إذ أسلمت يد الشباب زمامي
 عنى إليك، أرقت أكراب الصبا بيد الحلووم وعفت روق مدامي
 وهكذا تراه يتنقل بك في ديوانه من روضة أنف، إلى روضة مثلها، تقطف
 ما شئت من معنى ندوى، أو لفظ غريب، ومن معاني كستها الحضارة برقتها في
 ألفاظ متخبة كأنما يضع الشيء في موضعه، مما يدل على حسن ذوقه وسلامة طبعه :
 -وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق؟

عيسى محمود ناصر

طرائف اللغة

بقلم مهدي احمد غلبيل

المفتش بوزارة المعارف سابقا

٢

ذات:

هي مؤنث ذو . فذات مال . معناها صاحبه . ويقال في التثنية : ذواتا ، وفي جمع : ذوات ، وقد تنقطع عن الوصف وتستعمل في معان أخرى كالحقيقة في قولك : ذات الشيء ، أى حقيقته . والطاعة والرضا في قول الشاعر

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالٍ شلوي ممزَعٍ
وقول آخر :

ويَضْرِبُ في ذاتِ الإله فيُوجِعُ

وفول عائشة رضى الله عنها حين رأت رجلا متهاوتا خامد الحس وخرقة فقالت : ما هذا ؟ فقيل لها رجل زاهد ! فقالت : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه زاهدا . وكان إذا قال أسمع ، وإذا مشى أسرع . وإذا ضرب في ذات الله أوجع . أى ضرب مذنبا إرضاء الله بتنفيذ حدوده . ومن ذلك الحديث : إن من أعظم الناس أجرا الوزير - الصالح من أمير يتبعه في ذات الله . أى في رضا . والخلة في قوله تعالى (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أى الحالة التي يجتمع بها المسلمون على طاعة الله ورسوله . والمراد إسكان الثائرة والفتنة . ومثله الحديث : الله أصلح ذات البين . والجهة في نحو : ذات اليمين وذات الشمال . والمرض نحو : ذات الرئة وذات الجنب . والسريرة في نحو : عرفته من ذات نفسه ، أى سريره

المضمرة . والمال في : قلت ذات يده ، أى المال الذى فى يده . والباطن والنفس
فى نحو : عليم بذات الصدور . أى بنفسها وباطنها ، وقد كسى بالصدور عن القلوب :
ومنه قول الشاعر

فَنِعَمَ ابْنُ عَمِّ الْمَرْءِ فِي ذَاتِ مَالِهِ إِذَا كَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ فِي مَالِهِ كُنْيًا
أى فنعيم فعله فى نفس ماله من الجود والكرم اذا بخل غيره .

والعبادة فى قول الشاعر

مَجَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِبِلِ وَدِينِهِمْ قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ
والجمله الصحيفه ، أى كتابهم عبادة الله . والوقت اذا أضيفت الى الزمن
نحو : لقيته ذات العشاء ، وذات صباح ، وذات يوم . وذات ليلة . وذات غداة . وذات
صَبُوح ، وذات غَبُوق (الصَّبُوحُ : الغَدَاة والغُدُوة والضُّحَاة ، أى أول النهار ،
والغَبُوق العِشِيَّة) وذات الزُّمَيْنِ (تصغير الزمن) أى منذ زمان طوي
مضى ، وذات العُؤْيَمِ (تصغير العام) أى العام الثالث مما مضى فصاعداً الى
ما بلغ العشرة . وقيل معناهما : منذ ثلاثة أزمان وثلاثة أعوام ، أو منذ سِنِيَّاتٍ .
أو منذ ثلاث سنين مضت . أو أربع ؛ أو ذات مرة ، قال أبو القاء : ومرة فى قولك :
خرحت ذات مرة ظرف زمان اذا أردت بها فَعْلَةٌ واحدة من مرور الزمان ،
وإن أردت بها فَعْلَةٌ واحدة من المصدر مثل قولك لقيته مرة ، أى لَفْيَةً .
مصدر عبرت عنه بالمره ، لأنك لم تقطعت اللقاء ولم تصله بالدوام صار بمنزلة
شئ مررت به ولم تُقِمْ عنده ، وإذا جعلت المرة ظرفاً للفظ حقيقة . لأنها من
مرور الزمان . وإن جعلتها مصدراً فاللفظ مجاز . إلا أن تقول مررت مرة . فيكون
حينئذ حقيقة ، وفى قولهم مرة بعد مرة . نصب على المصدر ، وقد يكرر بلا فصل
فيقال : مرة مرة ، والثانى تأكيده للأول ، كبوّبت الكتاب باباً باباً ، وفيه
حرفا حرفا

ويقال : لقيته ذات المِرَارِ . أى مرارا كثيرة ، وفلان يصنع ذلك الأمر
ذات المِرَارِ ، أى يصنعه مراراً ويدعه مراراً

هذا . ولا تقل ذات شهر . ولا ذات سنة ؛ لأنه لم يسمع في غير ما تقدم
وذات ، عند إضافتها للوقت تلامز النصب على الظرفية ، وإنما أنت فقيل : ذات
غويم وذات الرُّمَيْن ؛ لأنهم ذهبوا به إلى المرة والأثنية الواحدة . وإضافتها إلى
بعضها من أسماء الزمان من قيل إضافة المسمى إلى الاسم ، أى في وقت مسمى
بعضه . وقيل من إضافة العام إلى الخاص ، وقيل إن ذات مقحمة لتزيين الكلام ،
وبولها : أمّا أول ذات يَدَيْن فإني أحمد الله . معناه أول كل شيء ، ومثله لقيته أول
ذات يَدَيْن . ولا أعلم أول ذات يدين . وقولهم : ما كلمت فلانا ذات شفة أو ذات
فم . معناه ما كلمته كلمة ، ومثله : كلمته فما ردّ على ذات شفة . وغير ذات الشَّوْكة
في قوله تعالى : وَتَوَدُّونَ أَنْ عَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكِ تَكُونَ لَكُمْ ، معناه الطائفة التي
أنت صاحبة الشدة في الكفاح . وجاء من ذات نفسه ، أى طيعاً . ووضعت المرأة
ذات بطنها ، أى ولدت . وقد يضعون (ذات) موضع (التي) قال القراء : سمعت
أبا يقول : بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله بها ، قال :
ويعنون التاء على كل حال . وذو هنا معنى الذي ، ويقولون : هذه ذات قالت ذلك ،
التي قالت ذلك . وتشبه (مرة) في إعرابها كلمة (تارة) . فهي منصوبة على الظرفية
أو المصدرية ، لأنها بمعنى الحين والمرة

التمثال . والصورة . والصنم . والوثن ، والنصب

ول أبو البقاء في الكلّيات : التمثال ما يصنع ويصور مشبهاً بخلق الله من ذوات
الروح ، والصورة عامة . والصنم ما كان من حجر . والوثن عام . وفي المصباح :
الوثن الصنم سواء أكان من حجر أم من خشب أم من غيرهما ، والصنم مثله .
وهو ابن فارس : الصنم ما اتخذ من خشب أو نحاس أو فضة ، والتمثال الصورة
المصورة . وفي اللسان :

والتَّصْنِبُ والنَّصْبُ حجر يُنْصَبُ ليعبد من دون الله . والجمع أنصاب

كيف يذكر النصف والأقل منه

الشيء الزائد على الواحد الصحيح إذا كان نصفاً أو أقل . استعمل في التعبير
عند العطف . يقال خمسة شيء ، إذا كان الزائد على الواحد الصحيح عشر أو

تسعا أو ثمنا أو سبعا أو سدسا ، وهكذا الى النصف ، وإن كان أكثر من النصف .
استعمل في التعبير عنه الاستثناء ، يقال : ستة إلا شيئا إذا كان الزائد اثنين أو
ثلاثة أو رباع وغير ذلك

البيت ونحوه

قال أبو البقاء في الكليات : البيت اسم لسقف واحد له دهليز ، والمنزل سم
لما يشتمل على بيوت وصحن مسقف ومطبخ يسكنه الرجل بعياله . والدار اسم لما
اشتمل على بيوت ومنازل وصحن غير مسقف .
والبيت يكون من مَدَر (قطع الطين اليابس) فن كان من كُرْسُفٍ (فض)
فهو سراقق ، وإن كان من صوف أو وبر فهو خباء ، وإن كان من عيدان فهو خيمة .
وإن كان من جلود فهو طرّاف ، وإن كان من حجارة فهو أقيّة ، والفسطاط الحسه
العظيمة . والحجرة (كالبيت والحان) مبيت المسافرين ، والحانوت مكان البيع والشراء .
والحانة الموضع الذي تباع فيه الخمر

وصف المؤنثة بصفة المذكر

إذا غلبت الصفة في المذكر وكانت في المؤنث بادرة فصف المؤنثة بصفة
المذكر جوازا ، وذلك سنة من سنن العرب في كلامهم ، تقول : عاملنا امرأة ، وأمر
امرأة ، وفلانة وصى فلان ، وفلانة وكيل فلان ، ومؤذن بنى فلان امرأة ، وامرأة
إمام ، ولطفية طيار ، لأن هذه الصفات في الرجل أكثر منها في النساء . ولك
أن تؤنث لأنها صفة امرأة

العقد والعقد في الأعداد

تقول : العَقْد بفتح العين للعشرة والعشرين والثلاثين الى التسعين ، أما ما بين
العقدين فيقال له عَقْد بالكسر ، تشبيها له بالعقد الذي تضعه المرأة على صدرها
معلقا برقبتها ؛ قال الشيخ نصر الهوريني على هامش القاموس في مادة بضع : قوله
ما بين العقدين هو بفتح العين ، لأن العشرة أي العاشر منها الذي هو رأس العقد
يقال له عَقْد بالفتح . أي ربط ، وأما العقد بالكسر فهو مجموع الأحاد

كأنك بالفرح آت

نستعمل كأن للتقريب نحو : كأنك بالفرح آت . أو بالشتاء مقبل ، وكأنك
لدينا لم تكن . وبالأخرة لم تزل : والكاف اسم كأن على حذف مضاف في
الأولين . وما بعد الجار والمجرور الخبر . أي كأن زمانك آت بالفرح ، ومقبل
بإشتاء . وأما الأخير ان فالخبر فيهما محذوف ، و (لم تكن) حال . بدليل روايته بالواو
كفوله : كأن بالليل وقد أقبل . وبالشمس وقد طلعت ، والأصل : كأنك تبصر
الدين حالة كونهما لم تكن ، وكأني أبصر الليل . الخ ، فحذف الفعل وزيدت الباء .
ولولا ورودها بالواو لأمكن جعل (لم تكن) خبرا والباء بمعنى (في) متعلقة به .
وقيل الظرف خبر و (لم تكن) حال .

مرمرى الصمد خليل

فوائد لغوية^(١)

٣

بفهم محمد شفيق معروف

(٢) أمانت العربُ بعضُ الكلمات لأسباب قد نعود لتوضيحها .
يقولون : هَبْنِي فعلتُ كذا . أى احسنينى واعنُدْ ذينى . ولم يستعملوا غير الأمر .
وقالوا : زَوْجَ ، وَزَوْجَ ، وَزَوْجَ . وأهملوا الفعل المجرد زَاجَ . وقالوا : ذَينى
أى اتركنى . لكن ما نطقوا بـماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل . أما عَينِي
بمعنى اتركْ ، فقليل : أَمِيتَ ماضيه ، وقيل : بل هو مُستعمل . ومنه قراءة بعض
القرآن فى سورة الضحى : « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى »

(٣) لا تجتمع الجيم والصاد فى كلمة واحدة من كلام العرب . فلا جَاصٌ ،
والصَّهْرَبِجُ^(٢) . والصَّنَجُ^(١) والصَّنَجَةُ^(١) والصِّلِجَةُ^(٢) . والصُّولَجُ^(١) .
والأَصْنَجُ^(١) . والصَّارُوجُ^(١) كلها من الدخيل المُعَرَّب . وأكرهها
فارسية الأصل .

(٤) الكلماتُ الآتيةُ تَتَعَاقَبُ فيها أحرفُ مُخْتَلِفَةٍ : —

- (١) انظر صحيفة دار العلوم : العدين الثالث والرابع من السنة الأولى
- (٢) ثمر معروف ، أو هو المشمش والكثيرى بلغة الشاميين
- (٣) حوض الماء
- (٤) شئ يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر ، أى صفيحة مدورة من
الححاس يضرب بها على أخرى للطرب ، وآلة بأوتار يضرب بها
- (٥) عيار الميزان
- (٦) سبكة الفضة المصفاة
- (٧) المحجن أى العود المعوج
- (٨) الشديد الامس
- (٩) النورة وأخلطها وهى الهناء ، أى القطران

الْعَرَيْنُ ، وَالْعَرَيْلُ ، بنون في آخره أولام : الطَّيْنُ الرقيق الجاف الذي
يُحْلَفُ بِهِ الشَّيْلُ . حَتَكُ الْغُرَابِ ، وَحَلَكُهُ بِالْتَّحْرِيكِ سَوَادُهُ ، وَيُقَالُ :
أَسْوَدُ حَائِكَ ، أَوْ حَالِكُ بَنُونٍ فِي وَسْطِهِ أَوْ لَامٍ .

عُنُوَانُ الْكِتَابِ ، وَعُنْيَانُهُ ، وَعُنُوَانُهُ . وَقَدْ عُنُونْتُهُ عُنُونَةً
وَعُنُونَانًا ، وَعَلُونْتُهُ عَلُونَةً وَعَلُونَانًا

أَبَى ، وَأَبَىلَ ، بنون في آخره أولام : أَثْنَى عَلَى الْمَيِّتِ
إِسْمَاعِيلُ . وَإِسْمَاعِيلُ . وَمِيكَائِيلُ . وَمِيكَائِيلُ . وَإِسْرَافِيلُ ،
وإِسْرَافِيلُ . وَإِسْرَافِيلُ ، وَإِسْرَافِيلُ . وَجَبْرَائِيلُ ، وَجَبْرَائِيلُ
فُنَّةُ الْجَبَلِ . وَقُلْتُهُ بِالنُّونِ أَوْ اللَّامِ : أَعْلَاهُ
لَصِقَ بِهِ ، وَلَسِقَ بِهِ ، وَالتَّصَقَّ بِهِ ، وَالتَّصَقَّ .

الْمَأْفُونُ ، وَالْمَأْفُوكُ . بنون في آخره أولام : الضعيفُ العقلُ والرأى ،
وَمَعَا جَزُ الْقَلِيلِ الْحِيلَةِ وَالْحَزْمِ ، وَالْمُخْدَوِعُ عَنْ رَأْيِهِ .
جَاحِشْتُهُ ، وَجَاحَشْتُهُ بِالسَّيْنِ أَوْ الشَّيْنِ : زَاحَمْتُهُ .
حَمَسَ الشَّرُّ ، وَحَمَسَ أَيْ اشْتَدَّ . وَاحْتَمَسَ الدِّيكَانُ ، وَاحْتَمَسَا إِذَا
افْتَلَا .

تَلَسَّسْتُ مِنْهُ عِلْمًا ، وَتَلَسَّسْتُ .
الْغَبَسُ ، وَالْغَبَسُ : السَّوَادُ .
السَّدَقَةُ ، وَالشَّدَقَةُ ، بِالسَّيْنِ أَوْ الشَّيْنِ الْمَضْمُونَتَيْنِ أَوْ الْمَفْتُوحَتَيْنِ ،
وَمَعْنَاهُمَا الضَّرُّ فِي لُغَةِ قَيْسٍ ، وَالظُّلْمَةُ فِي لُغَةِ تَمِيمٍ .
الْمِجْدَافُ ، وَالْمِجْدَافُ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ ، أَوْ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَمَعْنَاهُ
جَنَاحُ الطَّائِرِ ، وَمِنْهُ يَجْدَافُ السَّفِينَةُ .
الْأَصِيدُ ، وَالْوَصِيدُ : الْفِيَاءُ

أَصَدَّتْ الْبَابَ بِالْمَدَّةِ ، وَأَوْصَدَتْهُ : أَغْلَقَتْهُ . وفي القراءات : (نار مؤصدة)
و (نار موصدة) بالهمزة والواو
مطأً الحرف ، ومدة ، بمعنى واحد
الآرْقَانُ ، وَالْيَرَقَانُ بالهمزة أو بالياء : آفة تصيب الزرع ، وداء يصيب الناس .
الْقَبْضُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضُ بِالْكَفِّ كُلُّهَا . الأولى بأصا
والثانية بالضاد .

صَافَ السَّهْمُ يَصِفُ ، وَضَافَ يَضِفُ ، إِذَا عَدَلَ عَنِ الْمَذْفِ تَصِفَتْ
الشمس . وَتَضَيَّقَتْ بِالصَّادِ أَوْ الضَّادِ إِذَا مَالَتْ وَدَنَّتْ مِنَ الْعُرُوبِ . وَهِيَ
اشْتَقَّ الضَّيْفُ ، وَضَاقَ الرَّجُلُ دَنَا مَنِ .
الْمَبْعُوثُ ، وَالْمَبْعُوثُ بِالنَّاءِ أَوْ التَّاءِ .
مَصْمَصَ الْإِنَاءِ ، وَمَضْمَضَهُ إِذَا غَسَلَهُ
الْحَتَّالَةُ . وَالْحَفَّالَةُ بِالنَّاءِ أَوْ الْفَاءِ : الرَّذِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . أَوْ هِيَ الْقَدْرَةُ
مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ وَنَحْوِهِمَا .

الْجَدَّتُ ، وَالْجَدَفُ بِالنَّاءِ أَوْ الْفَاءِ : الْقَبْرُ .
فَنَاءُ الدَّارِ ، وَتَنَاوَاهَا بِالْفَاءِ أَوْ التَّاءِ

الْفُرْمُ ، وَالْفُومُ : الْحَنْظَلَةُ . وَقَدْ رَأَى مَسْعُودٌ : « وَتَوَمَّاهُ وَعَسَّاهُ »
الْمَتَّامُ . وَالتَّقَامُ : الْأَوَّلُ بِالنَّاءِ وَهُوَ مَا عَلَى الْقَمِ مِنَ النَّقَابِ . وَالثَّانِي
وَهُوَ مَا عَلَى طَرَفِ الْأَنْفِ مِنَ النَّقَابِ .

محمد شفيق معروف

درة الشعر

قصيدة الأستاذ علي الجارم

لافتتاح الدورة الثالثة لمجمع اللغة العربية الملكي

ماذا طحا بك يا صناجة الأدب هلا شذوت بأمداح ابنة العرب
 أطار نومك أحداث وجمت لها فبت تنفخ بين الهم والوصب
 واليعزبية أندى ما بعثت به شجوا من الحزن أو شدوا من الطرب
 روح من الله أحييت كل نازعة من البيان وآتت كل مطلب
 أزهى من الأمل البسام موقعها وجرس ألفاظها أحلى من الضرب
 وسنى بأخبية الصحراء يوقظها وحى من الشمس أو همس من الشهب
 تحدى بها اليعتملات الكوم إن لغبت فلا تحسن بأنضاء ولا لغب
 تهتز فوق بحار الآل راقصة والنصب للذنب يحلو كربة النصب
 لم تعرف السوط إلا صوت مرتجز كأن في فيه مزمارا من القصب
 تصفى إلى صوته الأطيوار صامته إذا تردد بين القور والمضرب
 كأنه وظلام الليل يكتفه غمامة قذفت في مائج الجب
 قد خالط الوحش حتى ما يروعهما إذا تعرض لم تنفر ولم تثب
 يرنو بعين على الظلماء صادقة كأعين النسر أنى صوبت نصب
 هو الحياة بقفر لا حياة به كالماء في الصخر أو كالماء في الحطب
 بيت من نفسه في منزل خضل ومن شبا سيفه في معقل أشب
 يهتز للجود والمشتاة باخلة والقر يعقد رأس الكلب بالذنب
 تهفو إليه بنات الحى معجبة والحب ينبت بين العجب والعجب
 إذا تنقبن إذ يلقيه خفرا فشوقهن إليه غير متقرب

تراه كل فتاة حين تفقده
زين الغناء إذا ما حل حبوته
أو هز شيطانه أوتارَ منطقته
مامسّ بالكف أوراقا ولا قلبا
بطير للحرب خفّا غير مدرع
إذا دعاه صرير كلب دعوته
لا ترهب الجارة الحسنة نظرتة
في البدر والسيف والضرغام والسحب
للقول لبّاه منه كل منتخب
فاخش الآتي وحاذر صولة العقب
ورأيه زينة الأوراق والكتب
في شدة البأس ما يغنى عن اليلب
وإن دعت دواعي الذعر لم يجب
كأن أجفانه شدّت إلى طنب

جزيرة أجذبت في كل ناحية
جذب به تنبت الأحلام زاكية
تود كل رياض الأرض لو منحت
وترتجى الغيد لو كانت لآلها
وأخصبت في نواحي الخلق والأدب
إن الحجارة قد تنشق عن ذهب
أزهارها قبلة من خدها الترب
نظما من الشعر أو نثرا من الخطب

ياجيرة الحرم المزهو ساكنه
لى بينكم صلة عزت أو اصرها
أرى بعين خيالى جاهليتك
وأشهد الحشد للشورى قد اجتمعوا
من كل مكتهل، بالبرد مشتمل،
والمح النار فى الظلماء قد نصبت
نار ولصكها قد صُورت أملا
رمز الحياة ورمز الجود ما فتئت
يشبها أريحي، كلما هدأت
وأبصر القوم يوم الروح قد حشدوا
سقى العهود الخوالى كل منسكب
لأنها صلة القرآن والنسب
وللتخيل عين القائف الدرب
ولست أسمع من لغو ولا صخب
للقول مرتجل، للهجر محتجب
لطارق الليل والجيران والسغب
بردا، اذا خابت الآمال لم يخب
فوق الثنيات ترمى الجوّ باللهب
ألقى على جمرها جزلا من الخطب
للنوت يحتاج، أو للنصر والغلب

يمون بالشرّ شرّاً حين يفجؤهم ورايهم فوقهم خفاقة العذب
وأحضر الشعراء اللسن قد وقفوا ولبيان فعال الصارم الذرب
أبو بصير له نبر لو اتخذت منه السهام لكنت أسهم الثوب
إد رماها كما يختار قافية دارت مع الفلك الدوار في قطب

وأغمض العين حيناً ثم أفتحها على جلال بنور الحق مؤتشب
نور من الله هال القوم ساطعه وليس يحجب نور الله بالحجب
كأمت سور القرآن مفصحة وأسكتت صخب الأرماع والقضب
وقام خير قريش وابن سادتها يدعو إلى الله في عزم وفي دأب
عنطق هشمي الوشي لو نسجت منه الأصائل لم تتصل ولم تغب
صت به أنفاس الأيام وابتهمت وهزت الراسيات الشم وارتعدت
وأصبحت بنت عدنان بنفحته فارت بركن شديد غير مصدع
لم تزل من حمى الاسلام في كف حتى رمتها الليالي في فرائدها
وعانت العجمة الحقاء دائرة قوده كل ولاغ أخى إحن
لا يُبقي فينا بناء غير منتقض من الفصيح وشملا غير منقضب
كان عدنان لم تملأ بدائعه مسامع الكون من ناء ومقرب

صمت بحير كنوز الأرض جائحة وغابت اللغة الفصحى مع العيب
ولا فؤاد (أبو القاروق) ما وجدت إلى الحياة ابنة الأعراب من سبب

أعزّ منها حتى رِيّعت كرائمه
وردةً بالجمع المعمور غربتها
يا عصبة الخير للفصحي وشيعتها
هلمّ فالوقت أنفاس لها أمد
فإنما المرء في الدنيا إقامته
الدهر يسرع والأيام معجولة
والمحدثات تسد الشمس كثرتها
والترجمات تشن الحرب لاقحة
تطير للفظ تستجديه من بلد
كهرق الماء في الصحراء حين بدا
أزرى بينت قريش ثم حاربها
وراح في حملة رعناء طائفة
أنترك العربي السمع منطقته
وفي المعاجم كنز لا نفاد له
كم لفظة أجهدت مما تكررها
ولفظة سجت في جوف مظلة
كأنما قد تولى القارطان بها
يا شيخه الضاد والذكرى مخلدة
هنا تخطون مجدا ما جرى قلم

ليبك يا ملك الوادي ومنشئه
هذا غراسك قد ماست بواسقه
الملك في يتكم كسبا وموهبة
يا حارس الدين والآداب والحسب
تداعب الريح في زهو وفي لعب
يزهى على كل موهوب ومكتسب

سفينه أنت مجريها وكالئها
وأمة أنت مجريها وحافزها
ودبعة الله صينت في يدى ملك
بصيرة كضياء الصبح لو لطمت
وعزمة كحديد النصل لو طابت
قد صممت قضت عجلي لمقصدها
فانظر ترى مصر هل تلقى لها مثلاً
ثروة من سرى العلم واسعة
بنى فؤاد بناء الخالدين كما
إذا الغمام جافت مصر واحتجبت
من مبلغ الغرب أن الضاد قد بلغت
أعاد مجددا لها مالت دعائمه
وحفها بسياج من عنايته
إن عقها أهل واديا وجيرتها
رأت بربعك عز الملك فانصرفت
لاذت بأكرم معوان لذى أمل
عش للكنانة تبلغ أوج عزتها
وعاش فاروق نجما في تألقه

من الزعازع لا تخشى أذى العطب
في حلبة السبق لا تبق على القصب
لله مرتقب ، لله محتسب
غياهب الليل لم يظلم ولم يهب
زهر الكواكب نالت غاية الطلب
تحتو التراب بوجه الشك والريب
في صولة الملك أو في قوة الأهب
وثرورة من سرى الجاه والنشب
بنى الغطاريف من أباته النجب
فمن ر يديه تير محتجب
قرب صاحب مصر أرفع الرتب
ويا له قربة من أعظم القرب
كما تحف جفون العين بالهدب
فأنت أخى عليها من أخ وأب
عن ذكر لبنى وذكري ربعها الحرب
نا ، وأشرف عنوان المنتسب
وللعلا والندى والعلم والأدب
سعد السعود وفيه منتهى الأرب .

على الجارم

عشرات الأقلام^(١)

بفلم المنولى فاسم

للمدرس بمدرسة محمد علي الملكية الاميرية للبنات

٢

(٥) استعمال النفي مع الفعل (عاد - يعود)

نما جرت به الأقلام . وكثر دورانه على الألسنة . حتى وقر في النفوس أنه صحيح لا غبار عليه ؛ إذ لم يجد مقاومة له . ولا تنديها على فساد - من ذلك - مثل قوم : « هبط ثمن القطن ولذلك لم يعد يقوم بنفقاته » و « لما تطلعت نفس الفلاح لم يعد يقنع بالضروريات » و « من تعب العامل لم يعد يقوى على العمل » و « تغيرت أحوال فلان ولهذا لم يعد يزورنا » .

ولا بد قبل تبيان رأينا في فساد هذا الأسلوب . من إيضاح معنى (عاد - يعود) ونظائره . استكمالا للبحث . واستعانة على رد الحق في نصابه . بطريقة تقضى على الشك والارتياب ، فنقول : -

من أخوات (كان) التي تحتاج إلى اسم وخبر ، الفعل (صار يصير) مثل : صار الجو معتدلا - وقد هدأت الحال فصار الأمن شاملا - وبالا جهاد يصير الصعب سهلا . ولا شك في أن هذا الفعل يفيد تحول اسمه من صفة إلى أخرى معها وبالنظر إلى هذه الأمثلة يتجلى لك هذا المعنى . فقد فهمنا أن الجو اعتدل بعد أن كان شديداً الحر أو البرد ، وأن النفوس قد استشعرت الهدوء والأمن بعد اضطرابها وخوفها . وأن صعوبة الأمور تتحول بالاجتهاد إلى سهولة .

وهناك أفعال تشارك (صار) في المعنى والعمل - وقد عدوها عشرة - منها (حار يحور) . قال أبيد في رثائه أخاه لأمه أريد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
ومنها تحوّل . قال امرؤ القيس :

وئذ لث قرحا داميا بعد صحة فيالك من نعى تحولت أبوسا
ومنها (عاد) قال الشاعر

وكان مضى من هديت برشده فله مغور عاد بالرشد آمرا
ومها ارتد . قال الله تعالى في أمر يعقوب وقميص يوسف عليهما السلام :
فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا .

وبقية الأفعال تسهل مراجعتها مع شواهدا في شرح الأسموني على الألفية -
وقد رأيت فيما مر بك من الشواهد معنى التحول والانتقال من صفة إلى أخرى
وصحاحليا ؛ ففي البيت الأخير تشاهد انتقال المتحدث عنه من الإضلال
والإغواء ، إلى الهداية والإرشاد ، وقد كان هذا مثار عجب الشاعر ودهشته ؛
ومثله الباقي

وإذ كان معنى التحول هو المعول عليه في هذا الباب . لاحظ الحاة في
ثور من الكلام ثعرب أن (كان ، وظل ، وأصبح ، وأمسى)
قد تستعمل في معنى صار . قال الله تعالى : « وفُتِحَت السماء فكانت أبوابا ،
وسيرت الجبال فكانت سرابا » وقال الشاعر :

تلك المدائن بالآفاق خالية أمست حلاء . وداق الموت بانها
ومن أجل ذلك أيضا أورد (الأسموني) الفعلين (غدا وراح) من أخوات
صار ، واستشهد على ذلك بالحديث : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما
يرزق الطير : تغدو خماصا وتروح بطانا » فلم يقبل (الصبان) في حاشيته عليه هذا
الاستشهاد . ورده بأن الظاهر في الفعلين هنا أنهما تامر . ونصب ما بعدهما على
حالية . لا على الخبرية للفعل الناقص . إذ كان معنى التحول في (تغدو) غير محقق
و (تروح) مقابل له ، فاعتباره تاما أولى من معنى الصيرورة ؛ ولذا رأى الصبان
أحياه بمعنى تذهب في الغدوة ، وترجع في الرواح أي المساء . (١)

(١) ما بين قوسين نص كلام الصبان

ولقد ملاحظ في الشواهد الآتية لذكر : أن أفعال الصيرورة فيها تدل على التحول إلى الصفة المذكورة بعدها متمثلة في خبرها . وأن الاسم قد انتقل إليها بعد انصافه بصفة تضادها . وهذه الصفة الأولى التي كان الاسم منصفاً بها قلا تراها مذكورة في الكلام . كما في ثلاثة الآيات الأولى : وقد تراها مذكورة . في عبارة سابقة في سياق القصة . كما في أمر يعقوب الذي ابضت عينه من الحزن ثم عاد بصيرا . وقد تكون هذه الصفة الأولى ملحوظة عند مذكورة لافي الكلام نفسه ولا قبله . كما في آية السماء التي تشفت وصارت أبوابا . وكانت قبل ذلك سففا محفوظا لها من دروح . وكما في تلك المدائن التي حلت من سكانها . وفقدت بشاشتها . بعد العمران وحسن الحال .

من كل ما تقدم يبين القارئ من الوجهة اللغوية والحوية أن الفعل (يعود) بمعنى (صار يصير) يتطاب اسمها وخبرها . وأن خبره يمثل الصفة التي تحول إليها الاسم بعد صفة أخرى كانت له فرالت عنه وانتقل إلى ضدها . ولم يبق إلا البحث في التعبير الشائع من الوجهة البلاغية والمنطقية . لنعرف أيقوم ذلك التعبير بالمعنى المراد للمشكل . أم يتحرف عنه ويعجز عن أدائه ؟

ولقارئ أن يطر في الأمثلة التي في صدر البحث نظرة فاحصة . في نفس المعنى القائم في نفس المتكلم بها ؛ وإذا فت مثلا : لم يعد العامل يقوى من العمل ، فإليك تقصد أن العامل كان قويا قادرا على إنجاز عمله (وهذه هي الصفة الأولى) ثم تغيرت حاله . فتحول عن القوة والقدرة . إلى الضعف والعجز (وهذه هي الصفة الجديدة) فأنت تريد أن تثبت له تحوله عن القوة إلى الضعف . لأن أن تنفي عنه التحول إلى القوة . فإله كان قويا . وانتقله إلى صفة القوة لا بد على الذهن ثبوته حتى تحتاج إلى نفيه - فاللفظ الذي يؤدي غرضك ووافق مرامك . هو أن تقول : « لقد تعب العامل . فصار عاجزا عن العمل : أو أصبح ضعيفا عن أدائه : أو عاد لا يقوى عليه » فتأتي بفعل الصيرورة مجردا من نفي وبعده الصفة الجديدة - وهي هنا (عاجزا . أو ضعيفا . أو لا يقوى) فتدفعه الصفة الجديدة مثبتة . أو الأصلية منفية . وكذلك إذا قلت : « كان

تم يزور ، فلم يعد يزورنا ، وإنما نقصد أن نثبت له الانقطاع عن الزيارة ،
 مع أن كان متعودها ؛ فتريد أن تقول : كان يزورنا فصارها جرائنا - أو أصبح
 منقطع عن زيارتنا - أو عاد لا يزورنا . ومن هنا ترى هذا التعبير الشائع
 عجزا عن أداء المعنى الذي تريده ، غير مطابق للمعنى القائم في نفسك - والسر
 في ذلك هو تقديم أداة النفي على الفعل - فإن هذا التقديم أوجب اضطراب
 المنطق وفساد المعنى : ولم ينطق بمثله العرب في معناه الذي إليه نقصد ، وإياه نريد
 في عصرنا هذا

، لعلك ترى أن التعبير الصحيح للمعنى الذي إليه نعلم مثل هذه العبارات ،
 لا يصح تأخير أداة النفي عن الفعل ، أو يحذف النفي وجعل الخبر مثبتا وهو
 النفي الجديدة نفسها . وعلى هذا الأساس نعيد هنا العبارات التي صدرنا بها
 تحت . بعد إدخال الإصلاح عليها مع تنويع الأساليب . فنقول :

، هبط من القطن فعاد لا يقوم بنفقاته ، و لما تطلعت نفس الفلاح
 أصبح لا يقع بالضروريات ، و من تعب العامل صار عاجزا عن العمل ،
 و بعيت أحوال فلان فعادها جرائنا مقطعا عن زيارتنا ،

و و رط في هذا التعبير أكثر الكتاب تحرييا للصواب . وأشد هم تحرجا من
 خطأ . من ربا ملاغتهم أن يذهب بروائها مثل هذا الأسلوب الأعجمي : وقلنا
 و . هم يأتون به صحيحا سائما من العيب ، إلا ما رأينا من قول الأستاذ
 عبد صنف المعري في مقال له عن العقل العربي في العدد الرابع من صحيفة
 ر . موه للسنة الأولى ص ٦٩ فقوى وأستشرى ، وتعمق في المعاني
 و . معنى . وعاد لا يقع بما توحى به الفطرة الساذجة . واللمحة الطارئة ،

ولا يحسن الصريح أنا أضلنا الكلام في هذا الموضوع عينا : فإن مجلة المجمع
 (ولها مكاتبا في نفوسنا) قد تعرضت في جزئها الأول لهذا التعبير في
 من حضرة عضو المجمع الشيخ عبد القادر المغربي ، عنوانه (تعريب الأساليب)
 ص ٣٢٦ فقرر أولا : أنه من الأساليب التي تسربت إلى لغتنا في العهد الأخير ،
 و . أنها أعجمية ، وقد يدعى مدع عروبتها وإرجاعها إلى عرق في الأساليب

العربية . ثم قرر ثانياً : أن العرب إنما يعرفون النفي الساذج الحالى من غير (العود) ولا عهد لهم بهذا التعبير الدحيل الذى استعمل في نفيه الفعل (عاد يعود) .

وبعد كلام عن نشأة هذا التعبير وذيوعه في عصرنا ، بدأ الباحث يشك في أن النفي مع الفعل (عاد) غير عربى . بل ادعى أنه عربى محض . مستدلاً بأن (عاد) من أخوات صار ، مثل رجع ؛ ولم يورد من كلام العرب شاهداً سبق النفي للفعل (عاد) ، ولكن استدل على صحة ذلك بدخول النفي مع الفعل (رجع يرجع) بمعنى صار في الحديث : لا ترجعوا بعدى كفاراً . وليس في هذا شاهد على صحة ما ذهب إليه الأستاذ المعرى . فانه (صلوات الله عليه) يهوى أصحابه أن يتحولوا عن الاسلام إلى الكفر . ومن تقديم أداة النفي على فعل الصيرورة أما المعنى الذى تعبر عنه بقول ما عاد - أو لم يعد التلميذ كسلان - مثلاً فهو أنك ثبت له صفة هو رد الكسل . قد تحول عن الكسل إليها . فمن الواجب أن نقول عاد التلميذ كسلان . أو مجتهداً ، أو غير كسلان ، أو لا يكسل .

وانتصافاً للحقيقة في ذاتها نقف وقفة مع حضرة الأستاذ الباحث في الحديث . فإنه يقرر أن لكل من صار وأخواتها معنى خاص ومقام خاص تستعمل فيه . وهذا لا غبار عليه . ثم قال (فقول الحديث : لا ترجعوا بعدى كفاراً ، صرحوا بأن : ترجعوا ، فيه بمعنى : تصيروا ، ولكن لو حذفوا (تصيروا) لما أدت تمام معناها ، لأن : لا ترجعوا ، تفيد معنى : أن كنتم مسلمين ، ولو قال : لا تصيروا ، لما أفادت تمام المعنى)

ولعمر الحق لو أن معنى الرجوع في الحديث مقصور على ذلك الذى هو : ما زاد شيئاً فوق معنى : تصيروا . فانه لم يرد شيئ على المعنى المشترك بين الرجوع والصيرورة جميعهما . إذ كلها تفيد التحول من صفة إلى أخرى صدها (وسكن المعنى الزائد الذى يمتاز به فعل الرجوع هنا ، ولا يوفيه (تصيروا) هو : ...

(١) لعله يقصد (لو حلت محله تصيروا) كما يتبين من نية كلامه

بِحالة سافقة للإسلام، يحذرهم إياها فكأنما قال : لا ترجعوا - بعد إذ نسيتم وتمتعتم بنعمة الإسلام - إلى الكفر الذي عرفتموه مفرقا لكلماتكم، موهبا لقوتكم، مغريا بينكم العداوة والبغضاء، ولذا ذيله بقوله : « يضرب عصمكم رقب بغير . وهو قريب في معناه العام من قول القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » (أى بنعمة الإسلام) .

ثم انتقل الباحث إلى دليل آخر يؤيد به دعواه عروبة هذا الأسلوب الذى يتقدم فيه النفى على الفعل (عاد) فأورد حديثا آخر يرى أنه أصرح فى الدلالة على ما يريد : « ! وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابى معاذ رضى الله عنه : « أعدت فتانا يا معاذ ؟ » ثم قال (لو أن معادا أراد أن يحجب النبي عن قوله ، أيقول له : « لست فتانا ، أم يقول : « لم أعد فتانا ، ؟ »)

وتخذ الأسناد قول معاذ المقدّر الذى لم ينقل عنه ، ولم ينطق به ، أصرح دليل على صحة ذلك الأسلوب عينه .

ثم انتهى من ذلك كله إلى أن استعمال عاد فى النفى عربى صحيح ، لكن قليل استعمال فى كلام القدماء ، وكثر فى عصر الترجمة الأخير ، فليس أسلوبا إفرنجيا محضا . يا سبحان الله !! أعجمى وعربى ١٩

لا . ليس هذا أصرح فى الدلالة على صحة ذلك الأسلوب الدخيل ، بل ليس صريحا ولا ضمنيا ؛ فإن معادا رضى الله عنه لم ينطق بشيء فنستدل به ، فكيف يصح بما لم يقل ؟ على أنه لو قال ذلك فعلا لكان بعيدا كل البعد عن طريق الاستدلال ، فإنه فى معنى آخر غير المعنى المقصود بهذا الأسلوب الشائع ، فإن إحداهم الرسول سؤاله عليه (أعدت فتانا) ؟ فيه اتهام له بتحويله عن الهدوء والسلام إلى إثارة نار الفتنة ؛ فكأنما قل له : تخيل إلى يا معاذ أنك صرت من دعاة الفتنة وازدطراب ، بعد أن كنت كما نعهد من دعاة السلام . فكيف تتحول عن عهدنا لك : فلا بد لمعاذ والحالة هذه أن ينبى عن نفسه هذا التحول - ولا مفر حيثئذ من تقديم النفى على فعل العود .

وبين المعنيين بون شاسع . ولنضرب لذلك مثلاً : أرأيت لو أنك نعدت إنساناً مخلفاً للوعد ، ثم عرفت عنه أنه أقبح عن هذه العادة ، وأصبح يحافظ بين مواعيده ؛ فأردت أن تصوغ هذا المعنى في أسلوب من هذا النوع ، ماذا تقول ليكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال . مؤدياً للغرض ؟ لاشك أنك تقول صار صاحبنا وفياً ، أو عاد لا يخلف ، أو صار غير يخلف . أى انتقل عن الاحاق إلى الوفاء ؛ وهنا تجد الفعل سابقاً للنفي .

ولو أن لك صديقاً معروفاً بالوفاء ، ثم عرص من الأذى ما حدثت به الارتياب فيه ، فقلت له : « أعدت تخلف الوعد بعد أن عرفت بالوفاء ؟ » لو أن ذلك كذلك لم يجد صديقك طريقاً لدفع هذا الاتهام عن نفسه ، إلا بقى هذا الحال المزعوم ، فيقول : « لم أعد مخلفاً ، وهذا يتفق مع كلام معاذ المقدر صدوره . . . » وهو غير مانح بصدده مما شاع استعماله في الصحف .

فلسنا نزيّف هذا التعبير في كل مقام ، ولا نرفضه رفضاً باتاً في كل الأحوال بل إنما نمنعه إذا تطلب المعام بسواه ، وتجنّأ عنه ولم يطلبه ، أما إذا ضمه مع . . . واحتاج إلى استعماله مرمكاً ، فما لأحد عليه من سبيل . إذ هو الطريق إلى إنتاج غرضك وبيان مغزاك ؛ كما تقول : « لَمَّا تَوَفَّى النّبي عليه صوات الله ، ارتب العرب إلا أهل مكة والمدينة وم إليهما ، فبينهم لم يعودوا كغيرهم كفار ، وسب الفرق بين المعنيين بقولك مثلاً : عرفت أنك تسافر — ولم أعرف ألسفرك . وإنما شأ ذلك من الترجمة الحرفية . أو التهاويل فيما تتطلب مع . . . من الدقة والتحرى . ولما سمع تعريب الأساليب . فلا بد من تقاضى بعض بعض أساليبها . وفي المفارض ينهأ زبدة للثروة اللغوية . إنما رحو من تصدى للتعريب أن يراعى في نقله الدقة . فيما تنطبه فوائس اللغة ومطهرها من . . . وتأخير ، حتى يحى الكلام قويه غير مصاب بالضعف والتهافت . ولاست ل لكل لغة طريقها الخاصة في اتصال بعض كلمات الجملة ببعض . بحيث لو غير الترتيب لاحتمل المعنى . أو انتقل إلى أسلوب لغة أخرى .

ولأمر منّا عند البلاغيون في كتبهم فصلاً في موضوع أدخل في المنطق

و لفضائيا منه في البلاغة والأساليب ذلك هو موضوع عموم السلب وسلب العموم - وتكلموا في ارتباط النفي بأداة العموم . وبينوا اختلاف المعنى في تأخير النفي وتقديمه في مثل قولنا : كل الأعضاء ليسوا حاضرين . وليس كل الأعضاء حاضرين ، حزام الله عن اللغة خيرا ، لقد كانوا حراسا على إبرة الطريق وتهيد السنين لمن بعدهم . ليكونوا على بينة في كلامهم وكتابتهم على أسلوب العرب وطريقهم .

سيقول بعض الناس : مالنا ولهذا التدقيق والسقيح مادامنا نفهم الغرض لماد بدون عناء . فماد يحملنا على ترك ما تعودنا ، إلى ما لم تصقله أفلام الكتاب ؟ وجيبهم بما يقرره لجاظ في البيان والتبيين (١) : من أنه ليس محكوما بالبلاغة لمن فهمك قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصرف عن حده . بل لا بد أن يفهمك حاجته على مجرى كلام الفصحاء . بحيث لو سمعه الله من الذي لم يعود سماع الخطأ لفهم عنه ما يريد - قال الخجاج لبعض الجاهلين من أهل خراسان : « أنبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ » قال : « سريكتنا في هوازها ، وشريكنا في مدائها ، وكما تحي . تكون » قال الخ - : « ما تقول ؟ ويلك ! » فقال بعض من تعود سماع الخطأ ، وكلام الأ - ح بالعرية حتى صار يفهم من ذلك : « يقولون : شركاؤنا بالأهواز والمدائن يعيب علينا هذه الدواب ، فحين نبيع سبي وحريها . وما يخفف معناه ثمرة النفي وتأخير أفعال المقارنة . ون - كل من (كاد لا يكون) و (ما كاد يكون) » معنى حصا ليس هنا مقام بيته . ومن السهل عند القارئ أن يراجع ذلك : لأشموني . وفي الجزء الأول من مجله لجمع النجوى ص ١٣٩ .

وهو يرى في الصحف كثيرا من العبارات ، يطير فيها سوء الأثر الذي قد يترجمه الخرجية . وتسرى ندواه . ونحوه . ومن ذلك ما اتصل موضوعه مثل قوله : « لا يجب أن نحلف لأومر ، ولا يجب أن تهمل مدرسته لسطح المدرسي ، وأمثله كثيرة ، حتى لقد قرأت من هذا التعبير أكثر

من ثلاث مرات في نهر واحد من صحيفة محترمة جدا: بل لقد رأيت في كتب تاريخ، كلبه ينقلها المؤلف عن بعض فلاسفة اليونان ليبان رأيه في المدينة الفاضلة فيقول: «لا يجب أن يزيد عدد سكان المدينة على عشرة آلاف نفس» وهذا التعبير ليس بمانع منطقيا^(٢) من المخالفة، ومن إهمال النشاط، ومن زيادة السكان، فإن الوجوب منفي، فلا مانع من الجواز. والصواب أن يتأخر النفي عن فعل الوجوب، أو يوضع مكان (يجب) (يصح أو يجوز). فيقال: «يجب ألا تخالف... ولا يصح أن تهمل... ولا يجوز أن يزيد...» ولم يتصل بهذا الباب مثل قولهم: لم يعد لهم رغبة في السفر. ولم يعد لدينا صبر على الف... ولم يعد عند المريض ألم.

ولو أصلحنا هذا التعبير على نحو ما سلف لتغير ترتيب العبارة وهيئتها كذا: فمثلا نقول: صرنا غير راعين في السفر، أصبحنا لا نصبر على الفراق... المريض لا يجد ألما. ولعل خيرا من ذلك وأسهل أن تبقى العبارة على حالها مع وضع (لم يبق) مكان (لم يعد) وفي المثل العربي: «لم يبق في قوس الصبر...» فلعل الكتاب يتقبلون ما ندلى به محلصين، فبذلك يزهدون بلاغتهم عما يشربها من النقصان، ويخدمون اللغة خدمة تدكر لهم بالشكران

المتولى فاسم

وفيت...!

بقلم محمد يوسف المحبوب

المدرس بـ مدرسة محمد علي الملكية الأميرية للبنات

وفيتُ ، فما أغنى وفائي ولا أجدي
وصحيتُ ما صحيتُ جدلان ؛ علني
ولا كفى لم أجن - والهف أضلعي -
لى لله ! كم سهدت عيني لأجله
لى لله ! كم حملت قلبي لأجله
لى لله ! كم أوليته ذات مهجتي
وصافيت من دنيائى من لم يصن عهدا !
أرى منه قلباً مخلصاً يحفظ الودا
سوى حسرة أوزت على كبدي زندا !
ولم تك عيني قبله تعرف السهدا
عناء ، وقد ما كان لا يعرف الوجد
فما باله يذكي بها النار والوقدا ؟

أنت الموالى فيه سهدى وأدعى
أنا ياتيه أنا طوينا لأجله
فما دله ينسى وفائي ، ويحتوى
وما دله يمضى بوادى ظنونه ؟
أينحو ، وقد عاطيته خير ما اشتهى
وفيتُ فما أغنى وفائي ولا أجدي
أنوء به عبثاً ، وأعيها عهداً ؟
رفاقاً ، وأنا قد هجرناهم عهداً ؟
إخائى ، وما كلفته فى الهوى إدا ؟
وكم من ظنون تورث البغض والحقد
من الود حتى عاف من ورده الشهدا ؟
وصافيت من دنيائى من لم يصن عهدا !

أين رآنى يوماً صموتا مقطباً
يقرعه صمى ، فيوسعنى نقدا ؟
(٧ - صحيفة دار الموم)

ويزعم تقطبي نفوراً ؛ وما درى
توالت ، فآدتني ، فتم أرض ثنها
وما المرء من يحيا شكواً بدهره
فما بال خلتي لم يُصابر جوانيحي
وما بالله قد ضاق ذرعاً بخطيها
يسل ثيابي جاهداً من ثيابه
هُومَ ضلوعِ ين يوسعها هـ
وآثرت أن أحيأ (على رغبها) طوذا
بل المرء من يحيا به ثابتاً جيداً
ويستأنها حتى يرى صلدها يسر
فولى نفوراً غاضباً ينثر العفدا
وكنّا إذا مشى ناهي بها برذا

رعى الله قلبي ؛ إنه صان وده
وجازى إلهي صاحبي بالذي ارتضى
فلا تعذلاني اليوم عيني بعد ما
ولا تسكبا دمعاً إذا رحت أبتغي
ولا تحزعا أن تبصراني بجوها
وفيت فما أغنى وفائي ولا أجدي
وآخي ، فما أعطى قليلاً ولا أكدي
رعيانا وقد جاني ، وصلنا وقد صدأ
تبينتهما من أمرنا العي والرشد
لدى البأى عن دنيا الهوى عيشة وعدا
وحيداً بلا خيل ، مقياها فرذا
وصافيت من دنياي من لم يصنع بها ،

محمد يوسف المحجوب

ابن ميادة^(١)

مدائحـه ، غزله ، فنهـ

بقلم حسن علوانه

المدرس بالمدرسة الحديوية

٢

في هذا المقال سنتناول بالنظر مدائح ابن ميادة وغزله ، والمدح والغزل
عمودان من عمد الشعر ، وغرضان من أسمى أغراضه ، في أحرى العصر
لأموى ، وأواليات العصر العباسى ، وقد لابسهما ابن ميادة ، وعاش فيهما .
والمدح فن من الشعر ، يريد الشعراء المعاصرون ، أو الشعراء المحددون ، أن
يسلطوه من أغراض الشعر ؛ ويزعمون أن العاطفة لا توحى به ، وأن الوجدان
لا يستشعره . ولو أنصفوا الأقدمين لما أصدروا عليهم حكما قبل أن يتفهموا
ملاسات حياتهم ، ومقتضيات بيئتهم . وإنهم لو فعلوا لعلوا أن الشعر مرآة تنجلي
فيه صورة العصر ، أو أن كلا من الشعر والبيئة يصور الآخر ويترجم عنه ،
وانصوور قد تختلف ألوانها ، والبيئة قد يتغير قوامها ، ولكن الشعر هو الذى
يحفظ صورها ، ويدون حقائقها ، وقد يصبح الغرض النبيل فى عصر من العصور ،
سمعا سخيفا فى عصر آخر ، فليس من رأى الأصيل ، أن تنال الأقدمين بالزراية ،
لأن بطون دواوينهم تتخمس أشعار المدح ، أو تسخر منهم لأنهم تغالوا فى وصف
الناقة ، وبالغوا فى التحدث إليها ، والتطرب بحنينها ، وهى طائفة زمانهم ، وجوابة
موماتهم ، ووسيلة الوصول إلى أحبتهم .

ولقد كان الاستبداد والأثرة من طبائع الخلفاء والملوك السابقين ، وكانت

(١) راجع المقال الأول فى العدد الثانى من السنة الثانية من صحيفة دار العلوم

الضرائب تجي إليهم ، وتندفق في خزائهم ، فينفقونها في إشباع رغبتهم ، ويجودون بها على من ترضى عنه مشيئتهم . فمن استطاع أن يهب أعطافه أو يحرك أريحيتهم ، أو يبيع الحمد والثناء إليهم ، فقد تحاشاه الفقر ، وأقبل عليه المال الوفير . وكان بيت المال في هذا الزمان ، حِلا لذوى القرائح المتقدمة ، والمواهب الممتازة ، من الشعراء والأدباء ، والرواة والفقهاء . وما كانوا يصدرون في مدحهم أو تندرهم عن ملق أو رياء ، لأنهم يعتقدون أن الخليفة صاحب الحق المطلق في مرافق الدولة ، وأنه يعظم فوق كل تقدير ، وتنقطع دون مقامه غاية كل مدح . وأن هذا المال أحق به من بلغ المدى في الفن ، وطار دون سواه في سماء الإحادة . وقد يكون من الشعراء منقطع القرين ، فيستولى وحده على العطاء ، كما فطع أبو تمام في عصره جوائز الشعراء .

على أن المدح في رأي أنبل قصدا . وأسمى غاية ، من قول هراء ، يصوغه شعراء هذا الزمان في « وصف القبة » أو ألحان الألم . أو ساعة في ضوء القمر ، وكل ألفاظه مبتذلة ، ومعانيه رخوة فضلة ، وغايته لين وضعف ، يأباه هذا العصر الذي يمجّد القوة ، ويتغنى بالكسب والعمل . وشعراء المدح كثيرا ما يمدحون الهمم العالية ، والنفوس الآلية ، ويسوقون إلى البطولة والتضحية . ويعتقون المروءة والأريحية ، ويعرضون للوقائع الحربية فيصورونها ، وللحوادث التاريخية فيسجلونها ، ويخلدون الأبطال والعظماء ، ويشيدون بذكر القواد والزعماء . وفي رسالة للشعر خير من هذا ؟ وأي نفس لاتشبع بهذه المثل العليا ؟ أما أولئك الذين يتحدثون عن الوجيعة ولا وجع . ويهتفون بذكر الغرام ولا غرام . ويرددون الكلام عن الوفاء ولا وفاء ؛ فلا أحسبهم شعراء .

وابن ميادة كان أزهد الناس في مدح الناس ، وما مدح إلا خليفة أو أميرا . وقد قصر مدائح على قيس قورمه . وعلى قریش آل الخلافة والملك . إلا أنه لم يكن شاعرا فصلا ، والشاعر الفصا هو الذي يمدح الناس ليأخذ جوائزهم ، وإنما كانت تدعوه للمدح عقيدة أو محبة ، لأنه كان شديد الاعتزاز بنفسه ، حتى وقر فيها وقارها ، وعرف لها مقدارها ، وقبض نقي العرض ، مصون الوجه ،

وكان إذا وجد الكفاف لا يسأل بالشعر : فقد حكى أنه مدح أبا جعفر المنصور
بكلمته التي يقول فيها :

وجدت حين لقيت أيمن طائر ووليت حين وليت بالإصلاح
وعفوت عن كسر الجناح ولم يكن لتطير ناهضة بغير جناح
قوم إذا جلب الثناء عليهم يبع الثناء هناك بالأرباح
وأناؤه راعى إليه يلبن فشرب ، ثم مسح على بطنه ، وقد عزم على الرحلة ؛
فقال : سبحان الله ! أفد على أمير المؤمنين وهذه الشرقة تكفيني ، وصرف
وجهه عن قصده ، فلم يقد عليه ، فأنت ترى كبر نفسه ، وبعد همته : على أن
عد الله بن عمر على جلالاته ، والحسن البصري ، وعكرمة . ومالك بن أنس المدني .
وحلة من أهل العلم ، غير هؤلاء كانوا يقبلون صلات الملوك (١) . وكان الرماح
سأى النفس ، عادل الحكم ، بعيد المدارك ، لا تستجره الرغبة في نيل العطاء إلى
التعرض بخصوم الخليفة ، أو ذم أعدائه كما انزلق سواه من الشعراء في تيار
الخيبة . واندفعوا في فتنة الخصومة ، ولهذا بقى عظيم الشأن ، كبير القدر ، لدى
الحفاء الأمويين والعباسيين . وكان لا يزال سخط الخيفة عليه ، إذا كان في إعلان
ربه . أو إبداء ما يظن أنه الحق سخط عليه . فقد قيل إنه دخل على الوليد
ابن يزيد ، وأنشده قصيدة يقول فيها :

فضلنا قریشا غیر آل محمد وغیر بنی مروان أهل الفضائل
فقال الوليد : قدمت آل محمد قبلنا . فقال : ما كنت يا أمير المؤمنين أظنه
يبدل غير ذلك . فلما أفضت الخلافة إلى بني هاشم . ودخل على المنصور . قال له
كعب قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال . فجعل المنصور يتعجب (٢) ، فلم يستطع
الوليد أن يجعله على تغيير رأيه ، وهو من المتصلين ببابه ، المختصين بمعرفة ، لأنه
كان دَرِعا طربا ، حلوا الشمائل ، خفيف الروح . فألف هذا المزاج بينه وبين الوليد ،
فأسس به ، وخف على قابه ، وقد اتصل به قبل أن تصير الخلافة إليه ، لأن الوليد

(١) العمدة ج ١ ص ٥١

(٢) ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٢٠ شرح الرافعي

لما شرب الشراب ، واتخذ الندماء ، وظهر منه مجون ، وبدأ للناس منه تهون
بالدين ، واستخفاف به ، أخذ هشام يعيه ويتقصه ، وكثر عبثه به وبأصحابه ، وبما
رأى الوليد ذلك خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه ، فزل بالأزرة ،
في جزيرة العرب ، بين أرض بلقين وفزارة ، على ماء يقال له الأغدق ، وأقام
هناك حتى مات هشام (١) فتعرف إليه ابن ميادة ، ولقي منه الوليد أنسا وطفا
وأحبه ، فلما صارت إليه الخلافة رحل إليه ، فأدناه وأكرمه « وفضله على الشعراء
أجمعين (٢) » ، ومن قوله في الوليد :

لما أتيتك من نجد وساكنه نفحت لي نفحة طارت بها العرب
إني امرؤ أعتفى الحاجات أطلبها كما اعتفى سق (٣) يلقي له العشب
ولا ألح على الخُلان أسألهم كما يلح بعظم الغارب القتبُ
ولا أخادع ندماني لأخدعه عن ماله حين يسترخي به الليب
وأنت وابناك لم يوجد لكم مثل ثلاثة كلهم بالتاج معتصب
الطيون إذا طابت نفوسهم شوس الحواجب والأبصار إن عضبو

وهذا الصنف من المدح يصور لك نفس ابن ميادة الكريمة ، ويرأى
منه إباؤه وشممه ، لم يعرض كرامته في سوق الضراعة والاستجداء ، ولكنه
يفخر بأنه يتعفف عن سؤال الخُلان ، ويأبى أن يطرح نفسه في مطارح الهوان ،
ولم يرد في مديحه إياه على أن جزيل عطائه رفع من قدر العرب ، وعقب على
ذلك ، بأنه يطلب الحاجات زاهدا فيها ، فلا يحرص عليها ولا يشتد في طلبها ،
ويزهد فيها زهد من تضلع من الطعام وبه منه كظة ؛ فما أشبهه بأولئك الذين
قال الله فيهم : « يحسبهم الجاهل أغنيا ، من النعف » ، تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون
الناس إلخافا ، ثم يربه أنه لا يخدع صديقه بزخرف القول ، وزيف المدح
إذا صار في خفض العيش ، وتقيا في ظلال النعيم ، ليستدر ماله ، وينال عيشه ،

(١) تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٨٨ بتصرف

(٢) أغاني ج ٢ ص ٣٠٢

(٣) السق الذي قد شبع حتى بشم

وبعد هذا السياق الذى لا يدع مجالاً للشك فى عزة نفسه ، وشرف عايته يذكر أنه
 وابنه حقيقون بالخلافة جديرون بالتاج والملك ، وأنهم واسعوا الرضا إذا طابت
 هموسهم . شديداً السخط إن غضبوا . فهو لم يجد على الخليفة وابنيه من الشئ
 بقدر ما نعت به نفسه من الحلال الحميدة والمناقب الشريفة ، ولم يغنه ذلك .
 ولكنه بعد الآيات السابقة انبرى على طريقة أبى الطيب يزهر بنفسه . ويسمو
 بها على سائر الشعراء . ويجرى أمامهم فى حلبتهم . فلا يشق غباره ، ولا يدرك
 مداه فيقول :

فنى إلى شعراء الناس كلهم وادع الرواة إذا ما غث ما اجتلبوا
 إن وإن قال أقوام مديحهم فأحسنوه وما حابوا وما كذبوا
 جرى أمامهم جرى امرئ فليج عنائه حين يجرى ليس يضطرب
 لا ترى أن الرماح رسم إلى المتنبى هذا الطريق . ودله على السيل ، فى هذا
 الحج جميل . الذى يسوق الزهو بالنفس ، والعجب بها ، فى معرض يوتق السمع ،
 ويرح إليه الطبع . وتسربه النفس ، ويقبله الفؤاد ، فيقول وهو يمدح سيف
 الدولة :

وما نهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصح الدهر منشداً
 فإني به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغنى مفرداً
 أجى إذا أشدت شعراً فأبما بشعرى أذاك المادحون مردداً
 ودع كل صوت غير صوتى فإنما أنا الطائر المحكى والآخر الصدى
 وشأن بين شاعر البادية ، الذى يرسل قوله عن فطرة خالصة ، وسليقة صافية ،
 وحوط لم ينسج خيوطها إلا من طبع مجيب ، وإلهام موات ؛ وبين شاعر
 الحكمة والفلسفة الذى نبت فى أحضان حضارة إسلامية منخولة ، نضجت وآنت
 ثمرة . وتغنى عقله بعصارة علوم الفرس والروم واليونان .

وقد بقى ابن ميادة على الوفاء للوليد بعد أن قتل . برغم اضطراب الأمور ،
 وحبس الفتنة بعد مصرعه ، وتسابق الموتورين والطامعين من العرب إلى
 التكرار ؛ ووصمه بكل بقاء مشهورة ، فقد حدثوا أن عبد السلام بن شماخ اللخمي

طار فاحتز رأسه ، ليقبض من يزيد بن الوليد مائة ألف ثمنها ، وأقبل أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسري ، فسلخ من جلد الوليد ليثأر لمولاه خالد . وجاء عمرو بن مروان وقطع كفه اليسرى وبعث بها إلى يزيد بن الوليد زلفى إليه ، وعرض رأسه على أخيه سليمان بن يزيد فرده وشمته ، وقال أشهد أنه كان شروبا للخمر ، ماجناً ، فاسقاً (١) ، مع كل هذا حفظ ابن ميادة عهده ، وبكاه ورثته ، وعرض بنى مروان لبشاعة التمثيل ، وفظاعة قتله ، فقال :

ألا يالهفتي على الوليد غداة أصابه القدر المتاح
ألا أبكي الوليد فتى قریش وأسمحها إذا عد السماح
وأجبرها لذى عظم مهيض إذا ضنت بدرتها اللقاح
لقد فعلت بنو مروان فعلا وأمرأ مايسوغ به القراح

أما غزل ابن ميادة فبدوى صميم ، وحجازى رقيق ، وخياله صخراوى بح ، تهيج النار تلوح له من بعد ، فى جنح الليل البهيم ، ويخيل إليه أنها أوقدت تحت تحل الحبيبية ، ويثير ما بين جوانحه الأمكنة التى قد تمر بها ، أو تحل فيها ، أو لا يلتقيان عندها ، فيتغنى بها ويتطرب بذكرها . وتارة يتمثل إليه أن صفبها المرسلتين على متنها سعف النخل ، وأن قتيت المسك تناثر حولها ، وأنها أتق منظرها ، وأعطر ريحا من روضة يخضلها الندى ، ويتوجها الأقحوان والعرار . وأن درعها وخمارها قد ضما على أسطع من ريح القرنفل ، وأطيب من شدى المسك ، وأنها أمدى صوتا ، وأحسن النفاتة من ظبية ترسل بغاتها مع الريح . وتسمت تقورا مروعة من حباثل الصائد ، وشرك القانصر ، ثم يزجى القول عن صواحباتها فى ثناء وإعجاب ، وينعتن بالنعومة والطهر والصون والتمتع ، والملاحة واحسن كأن فى وجوههن مقل الظباء ، وفى أعطافهن ريح الخزامى (٢)

فقد حدثوا أنه خرج يبنى إبلا له ، حتى أتى جبأرا ، فوجد عجوزا قد أست ، وطلبت أن تقر به ، فلما استقر به المكان عندها استنشى ريح الطيب الذى صار

(١) الطبرى ٩ ج ص ٣ بتصرف

(٢) ٢ أغاني ص ٣١٦

ينفع عليه من البيت . ثم دخلت عليه بنت جميلة لهذه العجوز ، فثالت من فؤاده ،
وانصرف يتشبيب بها في قوله :

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى لزنب نار أوقدت بجبار
كأن سناها لاح لي من خصاصة على غير قصد والمطى سوارى
وما روعة خضراء يضربها الندى بها قنة من حنوة وعرار
بأطيب من ريح القرنفل ساطعا بما التف من درع لها وخمار
وما ظبية سافت لها الريح نغمة على غفلة فاستسمعت لحوار
بأحسن منها يوم قامت فألتعت على شرك من روعة ونفار
فليتك يا حسناء يابنة مالك يبيع لنا مك المودة شارى

هذا نمط ابن ميادة في شعره حين يتشبيب ، وهو نمط صحراوي ، لا يتميز من
القطرة الأولى للشعر العربي . في عهده الجاهلي والإسلامي ، فهو دائماً يستلهم
البدية : جبالها ، ونباتها ، ونوارها ، وتلاعها ، وظباءها ، ويستنبط معانيه من البيئة التي
تحيط به ، والبقاع التي يحل فيها . ثم يخرجها كما تيسر له ، لا يسهر عليه جفنا ، ولا
يكده طبعاً ، فيختشبه اختشاباً ، لا يتنوق فيه ولا ينقحه ، وقد قيل له مرة :
(لو أصلحت شعرك لذكرت به ، لأن فيه كثيراً من السقط ، فقال : إنما الشعر
كسل في جفرك ، ترمي به الغرض ، فطالع وواقع . وعاصد وقاصد (١)) فهو شاعر
القطرة والسليقة ، لا شاعر العمل والصناعة . وما أشبهه بجرير ، فلم يكن شاعراً
حولياً أى ينقح الشعر ويهذبه (وكان الفرزدق ينقح الشعر ، وكان جرير يخشب ،
وكان خشب جرير خيراً من تنقيح الفرزدق) (٢) ومع هذا كانت غطفان
تدعى به وتعدّه أشعر شاعر فيها في الجاهلية والإسلام . لهذا تقرأ الكثير من
شعر الرماح فترى خواطره مرسلّة كما تجي . لا تجمع بينها أواصر المنطق . ولا
باط التفكير والتنقيح ، إلا أنه شديد المسلك لا يتعسف ولا يستخف . ولا يفرق

(١) ج ١ تاريخ الأدب لجرجى زيدان ص ٢٩٩ والعاصب المتوى الذي لا يصيب

الهدف

(٢) أساس البلاغة مادة : خشب

في الحوشية ، ولا يسترسل في جفوة الأعراب ، بل يرسله مأنوساً سهلاً ، سانع
المورد جزلاً ، ويكسوه شملة صحراوية ، ويلدسه حلة بدوية . وابن ميادة في حرية
شاعريته ، وبداعة ديباجته ، مجيب لطبعه ، خاضع لسليقته ، لأنه أولع بالصحراء
لم يألف سواها سكناً ، ولم يتخذ غيرها وطناً ، وكان له بالصحراء حزين عجيب ،
وشوق غريب ، فقد كان الوليد بموضع يقال له « أياير » (١) بالضم والياء الثالثة
مكسورة ، في جهة الشمال من أرض حوران ، كان يخرج إليها أيام الربيع للزهوة ،
وبعث إلى الرماح فأنزله في كهفه مكرماً منعماً ، ولكن لا يهنا له عيش ، ولا تطيب
له حياة إلا بين تلاع الصحراء ورمالها ، فقال والوليد يسمع :

لعمرك . إلى نازل بأياير وضوء ومشتاق وإن كنت مكرماً
أبيت كأني أرمد العين ساهراً إذا بات أصحابي من الليل نوماً
فقال الوليد : يا ابن ميادة . كأنك غرضت من قربنا ، فقال : ما مثلك يا أمير المؤمنين
يفرض من قربه ولكن :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بحرة ليلى حيث رتني أهلي
بلاد بها نيطت على نأمي وقطعن عني حين أدركني عقلي
وهل اسمعن الدهر أصوات هجمة تطالع من هجل خصيب إلى هجل
وهل أسمعن الدهر صوت حمامة تعني حمامات على فن جش
وهل أشربن الدهر مزن سحابة على ثمد الأفاعاة حاصره أهلي
فقال الوليد : اشتاق الشيخ إلى وطنه . ومنحه مائة ناقة دهماً جعداء عذراء
وخلها . وجارية بكراً ، وفرساً عتيقاً ، وجعل له مثلها كل عام . وسمح له أن
ينصرف إلى وطنه (٢)

على أن ابن ميادة قد يتجرد أحياناً من جزالة البداوة ، فيرق شعره ويتحنن
ويلين ويتكسر ، ولكنه لا ينسى ماركز في طبعه ، وغرس في نفسه ، من أن

(١) وردت في الأغاني ج ٢ طبعة دار الكتب (أياير) والصواب ما ذكره
عن معجم البلدان

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٠٥ والأغاني ج ٢ ص ٣١٠ طبعة دار الكتب

يستمد من الصحراء وحيه . ويستلهمها خياله . فقد كان نما أعطاه الوليد جارية
طرية أعجمية لا تفصح . ولكسها حسناء جميلة . فعشقها ابن ميادة . وقال فيها :

جزاك الله خيرا من أمير فقد أعطيت مبرادا سخونا

بأهلى ، ما ألدك عند نفسى لو انك بالكلام تعريينا

كأنك ظيعة مصغت أراكا بوادى الجزع حين تبغمينا

يلم يشأ في رفته ولينه . وإعجابه بصوت جاريته التى لا تفصح . إلا أن
يشبهها بظيعة سائحة بوادى الجزع ، تمضغ الأراك وتبغم بصوتها اللين الحنون .
ولابن ميادة طابعه الخاص ، حين يسكن الحب بين أضالعه ، ويتقد بصدرة
وعسى المرأة . وتملك الصباغة عنانه ، فانه يشعل في نفسك لوعة الوجد ، ويجررك
مرره الفراق . ويسكب في فؤادك كأساً من حسرة المدله ، ويلقى على مسمعك
براب تسمعها حافثة خفوت اليأس المقهور . في مقاطع تعشقها الأسماع ،
وتنمى الطباع . وهو في ذلك رقيق لا ترى لرفته نهاية ، وعذب ليس لعذوبته
غاية . لقد أحب ابن ميادة امرأة من عشيرة ، تكنى أم جحدر . ونسب بها ،
وسمى أبوها بينه وبينها . كما جرت بذلك عادة العرب من حرمان الرجل حبيبته ،
إذ نسب بها ، أو تحدث الناس في شأنهما ، وزوجها رجلا من الشام ، وارتحل بها
مضى عنها شدة . وخرج ورامها . يجد في أثرها حتى أدركه أهله . فارجعوه
صامتا لا يتكلم من الوجد بها إلا بقوله :

عليك بأدى والهوى يرجع الذكرا

كأن ردائى مشعل دونه جبرا

نأيت لقد أبليت في طلب عذرا

رسائل منا لا تزيد كما وقرا

فان لدى تيماء من ركبها خبرا

وأهلك ووضات يطن اللوى خضرا

إذا ما أتيت الدار ترجعنى صفرا

سبيل ؟ فأما الصبر عنها فلا صبرا

ألا لاتعد لى لوعة مثل لوعتى

عشية ألوى بالرداء على الحشا

لعمري لئن أمسيت يا أم جحدر

خليلى من أبناء عذرة بلغا

ألما على تيماء نسأل يهودها

وبالت شعرى هل يحلن أهلها

فأنجب دار دارها غير أننى

ألا ليت شعرى هل إلى أم جحدر

وإني لاستثنى الحديث من أجلها لأسمع عنها وهي نازحة ذكرها
 وإني لاستحي من الله أن أرى إذا غدر الخلان أنوى لها غدر (١)
 فهو في حبه وغزله من طراز أولئك الشعراء العذريين ، الذين أصبتهم السوء ،
 ودلهم الغرام ، وعاشوا بعقل مسبوه ، وفؤاد موزع ، أشباه جميل وعروة وفس ،
 أولئك الذين تقرأ شعرهم ، فتردد فيه نفوساً محرومة ، وقلوباً موجعة ، كأنك
 تلمس خفقاتها باصبعك ، أو تتردد أناتها على مسمعك ، فترثي لحالمهم ، وتكتوى
 بلوعتهم ، وتحس كأنك هم ، فهات بالك ألق عليه قول ابن ميادة :

بنفسى وأهلى من إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
 ولم يعتذر عذر البرى ، ولم يزل له سكتة حتى يقال مريب
 إنها نفس مخبول ، قنص بجبائل الصباية ، وسحر بفعل الهوى ، فلم يستطع أن
 يدفع الناس إن عرضوا له بأذى ، لأنه لا يحير جواباً ، ولا يجد دفاعاً ، وإن كان
 يعلم علم اليقين أنه بنجوة من التهمة ، نقي من الريبة ، ولكنه لا يستطيع أن ينص
 بما قرف به ، أو يتنضح مما اجترم عليه ، فيرمى بذنب لم يحنه ، ويحمل إثماً لم يحه
 ثم انظر إليه وقد احتشدت إلى خياله سواف الذكريات ، وتمثلت إليه صور
 الأماكن والبقاع ، وما جرى بها من مواقف الوداع ، فجعلته كالمذلة الملتاع ، نص
 أن لقاءها شيء ليس مما يمكن الحصول عليه ، أو يتيسر الوصول إليه ، وأنه لا يتفيه
 إلا سهام الحب التي ترشقه حينما يستيقظ من نومه فيقول :

يمنونى منك اللقاء وإنى لأعلم لا ألقاك من دون قابل
 ولم يبق مما كان بينى وبينها من الحب إلا تحقيقات الرسائل
 وإنى إذا استنبت من حلورقده رُميت بحبها كرمى المناصل
 ثم ها هو ذا يحدثك في قصيدته هذه أن الحب جنى عليه فصرفه عن سائر
 النساء ، وقد كان يرمى الزوائل ، أى طباء بإصباة النساء ، خلباً لهن ، فلما وقع صريع
 الغرام ، وأصبح نضو السقام ، عزف عنهن ، وفرغ قلبه من الشغل بهن ، فيقول :
 وكنت امرأ أرمى الزوائل مرة فأصبحت قد ودعت رمى الزوائل

وعطلت قوس اللهو من سرعانها وعادت سهامى بين رث وناصل
 وابن ميادة شاعر كسائر الشعراء ، وتشبيهه ككل تشبيب ، حين يشوقه على
 عرار الشعراء الاسلاميين ، في عبث النفس ، أو مقدمات المدح ، فيرصه بذكر
 الديار والطبا ، والاراك وما إلى ذلك من مشاهد البادية ، ثم يعرض لاجحاب
 اعوان به ، وإدلاله بنفسه ، ومسارقتن النظر إليه ، ورميه بسهام اللحاظ ، شأنه
 في ذلك شأن الشاعر الكذوب ، أو الشاب الدعب الطروب ، فمن ذلك قوله :

وكواعب قد قلن يوم تواعد قول المجد وهن كالمزاح
 ياليتنا في غير أمر فادح طلعت علينا العيس بالرماح
 بينا كذاك رأيتني متعصبا بالخز فوق جلالة سرداح
 فيهن صفراء المعاصم طققة ييضاء مثل غريضة التفاح
 فنظرن من خلل الحجال بأعين مرضى محالطها السقام صحاح
 وارثن حين أردن أن يرميتني نبلا بلا ريش ولا بقдах

فهذا شعر حسن ، وسبك محبوك ، وصنعة دقيقة ، كأنه من بضاعة عمر ابن
 أرييعة وسيله مألوف لمن تقدموا ابن ميادة أو تأخروا عنه من الشعراء
 ولكن معانيه لم تنبع من قلبه ، ولم تفجر عن عواطفه ، ولم يصورها إحساسه ،
 أو ينفخ فيها بروحه . ومن الشعر المصنوع لابن ميادة ، وإن كان ما أفضى عليه
 من العفة والتصون ، وما أودعه فيه من الاجادة وحسن السبك ، أسنى قيمته
 وأعلى مرتبته قوله :

يا أطيّب الناس ريقا بعد هجعتها وأملح الناس عينا حين تنتقب
 ليست تجود بنيل حين أسألها ولست عند خلاء اللهو أغتصب
 لا يمكننا القول في هذا الشعر وأضرابه إلا أن ابن ميادة صانع حاذو
 ومثال ماهر ، ونساج محكم جيد القون متمرن ، ولكنه غير مطبوع ولا ملهم ،
 أما إذا أردت أن تسمع الفن في شعره ، وتمسك قلبه بين مقاطعه ، وتعرف شيئا
 أحلى من الوصل ، وأفعل من الجزر . فهناك قوله :

كأن فؤادى في يد قبضت به محاذرة أن يقضب الحبل قاضيه

وأشفق من وشك الفراق وإني - أظن - لحمول عليه فراصقه
 لقد سبقتك اليوم عيناك سبقة وأبكاك من عهد الشباب ملاعسه
 فوالله لا أدرى أيعلمني الهوى إذا جد جد البين أم أنا غالبه
 فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فقتل الذي لا قيت يغلب صاحبه
 وكان ابن ميادة يرق ويعذب إذا استجاب لطبعه واستلهم روحه وعنفه
 وإذا قال كما يقول الناس، كان جزلاً رصينا، ومال إلى التوغر أحياء، وحنى
 بدقة الصنعة ليستر ما فاتته من طبعه وما خالف فيه وجدانه. وقد تأثر بصحبة
 الوليد، فقال في الخبر، ومن ذلك: (١)

ألا رب خمار طرقت بسدقة من الليل مرتاداً لندمانى الخمر
 فأنهته خمرأ وأحلف أنها طلام حلال كي يحملنى الور
 وقد غلبت عليه وراثته لزهير بن أبي سلمى فكان أحياء يرسل
 والحكمة كقوله: (٢)

وأرانا كالزراع يحصده الدهر فمن بين قائم وحصيد
 وكأنا للبوت ركب مخبون سراع لمنهل مورود
 وقوله: (٣)

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء سوء يلقهم حيث سيرا
 فما العود إلا نابت لأرومة أرى شجر العيدان أن يتغيرا
 وأختم كلامي عنه بقول الأصمعي: (ختم الشعر والشعراء بالرماح) (٤)

من عاراه

(١) ج ٣ ص ١٩٧ البيان والتبيين

(٢) ج ٣ ص ٨٣ نهاية الأرب

(٣) ج ٢ أغاني ص ٣٣٧

(٤) ج ٣ ص ١٩٧ البيان والتبيين

أبتى

بقلم عبد الحق شرف الدين

المدرس بمدرسة المتصورة الثانوية

لعمرى لقد أمسى فؤادى مروّعا
 وعدت أليف الحزن أسوان باثيا
 وما كنت أخشى الخطب حتى رزته
 فصبرت قسراً واحتملت بجملها
 وكيف ينال الصبر فاقد ولده
 بلى، قد بلوت الحزن حتى ألفتها
 نكلت ونواراً نور الله قبرها
 فيالهف نفسى يوم يلج بها الردى
 ويالهف نفسى يوم شيعت نعشها
 أحاط بها الآسود والدماء كامن
 وعاد طبيب الحى ينفض كفته
 وجاءت وفود القوم ما بين معول
 وحال اجتماع الشمل ثكلاً ولوعة
 وأمسى جرى البرق يحمل نعيمها
 عزيز علينا يانوار تباعد
 عزيز علينا يانوار تفرق
 نقضى الليالى فى ا ككتاب وحسرة
 وتندب زهراً قد تقصف ناجما
 أتيت مع الوسمى والكون مشرق
 وأصبحت بعد الكل حيران موجعا
 على بائن منى تولى وودعا
 فأصبحت نهباً للهموم موزعا
 ولكن صبرى مذ دهيت تمنعا
 أليس خليفاً أن يئن ويفزعا؟
 وما حدث عن داعى الحنان إذ ادعا
 وأسكنها فى جنة الخلد مربعا
 فظلت تعانى الموت حتى تربعا
 وبى حرقه تسرى بقلبي والمعنى
 وآبوا حيارى ليس يلقون مفزعا
 ولم يلق فيها للسلامة موصفا
 أسيف ومضى بالفجعة روعا
 وفرقة آباد وحزناً وموجعا
 ويصمى قلوب الهاجرين بما نعى
 وردنا به ورد الشقاوة مترعا
 أضربنا منذ البعاد وأوجعا
 ونذكر عهداً لن يعود ويرجعا
 ونرغب نجماً لن يعود ويطلعا
 وابت فأمسى ربيع صفوى بلقعا

وما كنت أدري أن نجمك آفل
وما كنت أدري أن غصنك ذابل
لقد كنت أرجو أن تعيشي وتنعمي
ولكن موتاً لست أملك دفعه
فكنت كبدر التم يمكث بيننا
وكنت كنور الروض إبان فصله
دعتك شعوب فاستجبت نداءها
وغالتك منا ماتريم وما تني
وألفيت بعد الحسن والحى والسنا
فيالك من زور تر بص جاهدا
وياالك من زور تشبث ملحفا
وياالك من زور ثقل، وطارق

أقول وقد أضنى بعادك إخوة
وحيدتها زفت إلى القبر عاجلا
أيارب رفقا بالحران ورحمة
فليس لنا من دون حكمك موئل
ولكننا الأولاد منا، وثكلهم
فتلقي التباعا للمصائب مجريا
ففي رحمة الله العلي وعفوه
وتلقين رباً للخلائق بارئاً
عليك سلام الله قد كنت منية

وشيكا، وعهدى أن يبين ويلمع
سريعاً، وظنى أن يمد ويونع
وتلقى نساء بيننا وترعرعا
طواك وولى يانية مهرعا
قليلاً ويعروه المحاق مودع
يظل نصيراً ثم يحمل مسرعاً
وسامتك نزعاً ما أشق وأفظماً
وأولتك منها بعد ذا الأين مصرعاً
صريرة موت قد سطا بك مفزعاً
بتأريث حزن خب فيه وأوضعا
بحجة قلب ماعداها وما رعى
وييل، وضيف ما أضل وأبشعا

عبد الحق شرف الدين

وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ

بقلم عبد العزيز سبيل الأهل

المدرس بمدرسة محمد علي الابتدائية للبنين

هَتَفَ الدَّاعِيَ قَلْبَ الدَّاعِيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، وَانْهَضْ سَاعِيَا
وَنَسَ دُنْيَاكَ قَلِيلًا، إِنَّمَا سَوْفَ تَلْهَوُ عَنْكَ، فَاسْبِقْ لَأَهْيَا
وَاخْلَعْ الثُّوبَ الَّذِي جَمَلْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَمْسِيَ مِنْهُ عَارِيَا
وَأَسْعَ اللَّهُ بَرِيئًا طَاهِرًا خَاشِعَ الطَّرْفِ ذَلِيلًا رَاجِيَا
عَبْرَ التَّعْلِيلِ فِي طَاعَتِهِ إِنَّ (مُوسَى) قَدْ أَنَاهُ حَافِيَا

نَمَّ الْأَرْضَ الَّتِي قَدْ شَرُفَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَجَلَّتْ وَادِيَا
حَالِ (إِبْرَاهِيمَ) فِي أَحْشَائِهَا وَابْتَنَى الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْعَالِيَا
وَالَّذِيحَ امْتَلَأَ الْأَمْرَ بِهَا فَبَاهُ اللَّهُ مِنْهُ الْقَادِيَا
مَشَى (جَبْرِيلَ) فِي حَصْبَائِهَا بِالْهَدْيِ يَلْقَى الْأَمِينَ الْهَادِيَا

بَا بِنَفْسِي بَلَدًا لَوْ زُرْتُهُ نَلْتُ فِيهِ مِنْ مُنَايَ الزَاهِيَا
أَطْرَحُ الْآثَامَ فِي مَطْرَحٍ يُسْبِلُ السُّتْرَ عَلَيْهَا ضَاغِيَا
وَأَعُودُ الْعَدَا لَا تَشْقَى - جَسَدًا طَهْرًا، وَجِيدًا حَالِيَا
بَحْ صَوْتِي أَطْلُبُ الدُّنْيَا فَلَمْ أَرِ فِيهَا بَعْضَ يَوْمٍ صَافِيَا
بِتَ لِي فِي عُرْفَاتٍ بُحَّةً وَيَكُونُ اللَّهُ عَنِّي رَاضِيَا
مُحَصًّا أَقْدِفُهُ مَزْدَلِيًّا فِي فَمِ الشَّيْطَانِ نَبْلًا رَامِيَا
حَلْ يَا قَوْمِي مَا وَسَّوسَ لِي فَلَا ذِقَهُ بَعْضُ مَا أَغْوَانِيَا

أيها المسلم ، ما أسعدها ذكرياتٍ وزماناً هانية
يوم تنوى الحج للبيت ترى طفلةً تشدو وطيفلاً شاد،
ونساء الحيّ حين اجتمعت تنشدُ الحيّ فتروى الصاد
وحديثاً عن معاني مكة تخرج الأنعام حلواً شابة
وقلوباً صوّرت من ولّه شاكيات مسمعات شكا
تتمنى (زمرماً) أو (كوثرأ) تعبران البحر طيفاً سار
ساخرأ بالموج قيدومهما ماضياً في الموح سهماً مات
لهما من عزم (حرب) عزمة تشعُر البحر رزياً ساحباً

أيها المسلم ، أسرع طائعاً هتف الداعي قلب الداعيا
وإذا الكعبة طوّفت بها ودعوت الله فيها بارك
فاتّهل وادع لمصر قائلاً: ربّ فانصُرْها ورجّ الواء

عبد العزيز سيد الأهل

المتنبي بعد ألف عام

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الكيالي

الطالب بدار العلوم والحائز للجائزة الأولى للشعر في عيد الوطن الاقتصادى

دعوة قد لج في الكون صداها لست أدري أين يغدو متنهاها
هتفتُ بي وأنا في سِنَةٍ فترامى لى عن بعد سنهاها
مُشرقاً كالبحر في طلعه قيسٌ يبعث للنفس هداها
أين هذا النور؟ ما مطالعه؟ كيف يبدو في ظلام ما تناهي؟
يملا الأفق مضيئاً ساطعاً ونجومُ الليل لم تبرح هداها
فاض كالبحر شعاعاً خلته حُلَّةٌ زينت الكون حلاها
ما أرى؟ مطلعُ فجر صادق أم عيون الشعر قد فاح شذاها
أم نبي الشعر من مرقدِهِ هبَّ، يستوحى القوافي من سماها
مرعداً تحسب في منطقهِ زأرة الليث إذا ما الليث تاهها
شاعر منذ رملت آياته رقص الدهر طروباً من غناها
إن تقنى أو شدا زمماره خلت أن السحر بالأشعار فاهها
أيقظ الأيام من غفلتها فغدت تمل من فن أناهها
سكر الصبح على أنفاسهِ وهَمَى الغيث شجياً من حداها
وسرت ريح الصبا ناعمةً ذات لحن هز في الأرض رباها
علم الطير على أغصانها نعمة تقصى عن العين كراها
ومشى في البحر، فارتاحت له سفن البحر، وماست في دجاها
ورنا الموج إلى ترجيعهِ خاطراً يحكى القوافي في مشاهها
هامسا في أذن الماء: لقد بز هذا الشاعر الفرد المياها

من رأى الصياد في غدوته
 رائئاً يرى إليها نبـله
 حائراً قد ضل في يسـدائها
 ضلت النـظير على آثارها
 وسعت أكلبه فانكفأت
 ورأى أحمدـه يدعو شـرداً
 وقفت إذ رامها جامدة
 نافذ الرأى بعيداً غوره
 يهتدى في لجة البحر إلى
 ويروم النجم يعني جاهدا
 ناعم القول إذا لا يـنته
 يقصد المقتل لا يخطئه
 ولسان بات يفرى غـربه
 صارم كالسيف ، ماض حـده ،
 قد رمى كـافور من منطقـه
 وتعالـت يابن حمدان له
 بطل في الحرب إن أبصرته
 خائض في كل مضمار إلى
 دبـت الحكمة في أعطافه
 فهو ما ينفك في أربعـها
 خالد في الدهر ما حنت به
 سائر في كل واد شعـره
 هاطل كالـمزن في تـهتاته
 يطلب الظبية في بطن فـلاها
 قـطـطـش النـبل من حيث رماها
 وهي قد غابت ، فما عاد يراها
 وعـتـاق الخـيل قد كـلت وراها
 تـقرع السن لدن خاب رجاها
 من معانيه ، فتعنو إذ دعاها
 قيدت أفكاره كل خطاها
 لا ترى فيه التباسا واشتباها
 درر الشعر ، إذا الغواص تاها
 أن يرى أخمصه فوق ذراها
 ولظى تصهر من رام أذاها
 بسـهام مرهب الطبع يراها
 سـدة الملك إذا رام عـداها
 صائب من عزة الخصم كلاها
 بسـهام نافع السم غذاها
 مدح قد أتم النجم ثراها
 فلقد أبصرت في الحرب فتاها
 غاية السبق فلا يرجو سواها
 كـديـب الماء في أرض سقاها
 راتعا يقطف من طيب جناها
 ساجعات أوقد القلب شجاها
 سريان النـشر في اليد طواها
 تجد الدنيا من السقم دواها

شائع كالضوء في أطرافه بسمه للصبح مخضوب لماها
وترى الأيام سالت أدمعا حين تهوى مقلته من بكاهها
موحش كالليل في أحزاه ان رثى النفس فأبلى في رثاها
وربه صغرت في عينه دارة الأفلاك وانحط علاها
مشرف طوراً على أطواها وسبوح تارة فوق فلاها
طاعن الأيام والناس معا وحده، والنفس ماخارت قواها
قتولى وسانت الرمح من دمها كالنار محرراً لظاها
لم تزد ألف حول في الدنى غير ذكر زاد فيضا عن هواها
فهو ما ينفك أستاذاً لمن هز بالشعر يراعا أو شفاها
ذل أن يلحق هومير به كيف تعلو أعين الناس الجباها
شاعر العرب، إمام القول في دولة الشعر، عمود في بناها

يأنى الشعر هل من نفحة تنفذ الأشعار بما قد دهاها
لا كها اليوم أناس ركبوا لجة الليل فضلوا في عماها
أدعياء صدت أنفسهم فعدت ألسنهم باد صداها
تحدث الأذان من منطقهم نعمة الأثنى إذا الخصم سباها
سهبوا الشعر، وظنوا سفها أنهم قد أحرزوا بالنظم جاها
أن من يسبك تبرا خالصا من دعى بنحاس يتباهى؟

عبد الرحمن الكيالي

الكرامة

بقلم فرحات عبد الحالى

المدرس بمدرسة كوم حمادة الابتدائية

آثر المرء في الحياة السَّلامَةَ فاشتراها، وباع فيها الكرامة
 قلَّ في الناس من أراه أيُّها لم يسلمْ إلى الهوان زمامه
 أشرب الخائرُ الجبانُ نفاقاً ملأ القلب منه حتى صمامه
 إذ رأى مغر الصراحة وعرا قد يلاقى الإنسان فيه حمامه
 واستقلَّ الفقى الشجاعُ بقلب بتدَّ عند النزال قلب أسامه
 عِزُّه والحياة صنوا وجودٍ من رمى عِزُّه بغي إعدامه

لى رئيس، لا كان يوماً رئيساً، أتمنى من الروس انفصامه
 لا لحقد - قد طهر الله صدرى - إنما عبت في الرئيس أثامه
 ما تخنيتُ إذ لويتُ عليه شهد الله، أو هدرت مقامه
 للرئيس الكريم منى انقياد واحترام، إذا استحق احترامه
 أن أطيع الرئيس أمر حلال يوم يدرى حلاله وحرامه
 فإذا سدَّد الرأسَ سهماً لاهتضامى، فكيف أرضى اهتضامه
 فإذا ما عصيت أمراً فويل إذ أراه مجرداً صمصامه
 صاح، قل لى، فأين يذهب رأيتُ أفأخشى من الرئيس انتقامه ؟
 فألقى تكبراً بخضوع وأدارى تغيطاً في ابتسامه
 أم أجازى الرئيس، كيلاً بكيل وأجازى صرامةً بصرامه
 وليكن ما يكون من أمر ربي إنه المدلُّ لا يقر ظلامه
 وعلى الله لا على الناس رزقي كفَّل الله في العباد اقتسامه

صاح ، إنا خسرتُ رزقي فحسبي غنمُ عقلِي . وما أجلُّ اغتنامه
 يا أحبُّ الحياة والسعد ذِيلاً وأحبُّ الحياة والبؤسَ هامه
 عاشقاً غابة الجحيم هزبراً كارهها جنة النعيم نعيمه

° °

أيها القادة الذين وليتم من أمور العباد أمرَ الزعامه
 إن للشعب - لو قدرتم - حقوقاً عظموها فقبلعوا إعظامه
 استوه على الكرامة ، أو لا كيف تأتى إلى النفوس الكرامه ؟
 وأراكم تسائلون : لماذا لم تهذب أخلاقنا ، وإلى مه
 بحيب الأخلاق : منكم علانا وعليكم إذا هبطنا الملامه

فرحات عبر الخالق

المذياع

وشاد ولكن بغير الغصون من الحفل في جانب ينصب
 شبيه الحقيقة في شكله يضج به البيت والمشر
 له أذن تجذب (الكهرباء) فتشهد (تيارها) ينك
 متى حرّكت جال فيه الزئير زئير الأسود إذا تغصّب
 كأن به ثورة للرياح يخالطها المطر الصاب
 متى هدأت ومضى عصفها بدا نغم منه مستعد
 وتدفعها فيكف الحديث إذا كنت عن سمعه تريب
 وأخرى تحدّ مدى جرسه فيأى بها الصوت أو يرب
 إذا حرّكت غصن من صوته وإن فركت عكسها يصح
 تظل تحرك أذانه.. فيأى هواك كما ترغب

خطيب يؤثر في السامعين بليغ بألباهم يلعب
 رسول إلى الخلق المرتضى وبحر من العلم لاصب
 وآناً يرجع عذب الغناء كما رجع الصاح المصرب
 إذا أرسل الشرق ألعانه حكاه . فأصغى له اند
 كأن المذيع بختانه على الناس من جوفه يحل
 له في المنازل فضل المعاد م في حلبة الدرس . كم ينبع
 أذاع الثقافة في جوها فكان له الأثر الطيب
 رسول والاثير له خادم يشق الفضاء ولا يتعب
 تؤدي البريد له (موجة) من البرق في ومضه قرب
 كأن الوجود على كفها فسيان (ناريس) أو (يرب)

على شرف المبرين

المدرس مدرسة دماط الابتدائية للبنين

المُعَلِّم

بِغَالِمِ عَبْدِ السَّامِرِ سَلَامٍ

المدرس بمدرسة الأميرة فوزية الثانوية

راحت تزهدنى فى مهنتى . وغدت
تقول: يا ويلتنا مما تكابده
ترغى وتزبد فى لومى وتانى
وما تقاسيه من سُهد وتعذيب !
كأن عبك طود ما نهضت به
إلا قعدت لإدلاج وتأويب
ولو خلقت حديثا ما احتملت كما
قد حملوك . ولم تهض بمطلوب
فيا لهول الذى تلقاه من كَدٍ
ويا جهد عيف منك مسلوب !

تقضى نهارك فى كَدٍ وفى نصب
وتقطع العمر فى بذل وتضحية
وخمة الليل فى بحث وتنقيب
ما بين درس وشرح ثم تعقيب
تملى وتكتب لا كلا ولا وكلا
ولا ضيقا بإرشاد وتصويب
بل تنثر العلم آيات منظمة
شيئا فشيئا وتدرى بتدريب
فما سئمت حوارا طال أو جدلا
ولا عيب بمقروه ومكتوب

كأنا أنت مثل النحلة انبعثت
قد شافها نُزُلُ هبَّت تنسقه
تحنى جنى الزهر فى جدٍ وتطريب
تنسيق ذى خبرة للفن منسوب
لورحت نعم فيما نسقت نظرا
أقلت : أعجوبة بين الأعاجيب
فهل رأيت مشيجا فضة ذهبها
أوفد هبَّت لنظم أو لتثقيب ؟
در نصيد وفيه الشهد منسكب
فهل عجبت لمنضود ومسكوب ؟
تبارك الله ! بالإلهام عليها
ما يحهل الناس من مُرْدٍ ومن شيب

تبنى العقول كما تبنى النفوس على غر الخلال بإحكام وترتيب
تصوغها كاللآلى فى تألقها وكالرياحين فى نشر وفى طيب
وبالمعارف تغذوها وتنهلها إيهان روض بأفراق الشآبيب
حتى ترى العلم قد جلى غياهبها والعلم كالصبح يحلو كل غريب
فإن تأتت وولت منك جاعة طفقت تعمل أشات التجارب
ولا تزال بها حتى تروضها كما تروض هوجاء اليعايب
بالرفق واللين ، لا بالعنف . إيهما أجدى على الطفل فى زجر وتأديب
سياسة الملك قرت فوق عرشهما ولا تقر على بطش وترهيب

~ ~ ~

وكم تشاهد من طيش ومن نزق ومن مناظر أدنى للألاعيب
يحوكها نفر بالدرس قد رموا فأصبحوا عطلا مثل اليعاسيب
إن قتت تسألهم : ما بالهم شغلوا بدمية أو بعسود أو بأنبوب ؛
جاءوا إليك بأعذار منمقة أوهى وأضعف من نسج العناكب
وهم لعمرك ما راموا ولا قصدوا إلا المزاح وإضحاك الأصاحب

تقوم تخطب لا قس بن ساعدة وفى عكاظ خطيبا فى الأعاريب
ولا زياد وقد رجّت مواعظه أرض العراقيين من هول وترعيب
بل أنت أبعد شأوا منهما ، ولقد أدركت شأوك فى نصح وترغيب
ما ضقت بالصفح بعد العذر . إنهم قد عاهدوا الله عهدا غير مكذوب

~ ~ ~

من كالمعلم فى جهد ومصطبر وفى اضطلاع بتثقيف وتهذيب ؛
الله هياه للنشء ينبتة على الفضيلة فى أبهى الجلايب
أمانة حمّلتها قبله رسل ما أذنت شمسهم يوما بتغريب

كانوا الهداة. وكانوا المرشدين، كما
وفي الشماثل كانوا الزهر مبتسما
ثوا العلوم فكانت للنهي قبسا
مكل ما قد ترى في الكون من عجب
كانوا أولى العزم في طب وتطبيب
وفي المكارم كانوا كالأهاضيب
حلا الظلام وجلى كل محجوب
أساسه العلم في سمك وتطبيب

قام المعلم يحدو حدوهم، ومضى
نقود ناشئة للمجد طامحة
وهم غداة غدير للنيل عدته
فكم ترى بينهم من نابه بطل
يحمي الحمى ويذود الشر عنه، كما
ولو تولى مقاليد القضاء لما
موفق الخطو في لآى وتقريب
إلى طريق العلا من غير تنكيب
وهم أولو أمره من غير تريب
على الجباب، مطاع الأمر مرهوب
يجرى الأمور برأى منه مشبوب
أبصرت غير فقى للعدل موهوب

فاين أين المرئى بعد طول مدى
وبعد أن صاغ أقطاب الرجال، ولم
قد قلب الله أحوال العباد على
لقد نسوه فما مدؤوا له سببا
كانه همزة في البدء قد ذكرت
وبعد ما شاب في صقل وتشذيب؟
ينعم بجاه، ولم يهنا بمكسوب
شتى الوجوه، ولم يشعر بتقليب
من الرجاء لما أمول ومرغوب
لكنها حذفت بين التراكيب!

عبر السنا - مرم

نظرية أرسطو في الفضيلة بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين

بقلم محمد مهدي عزم

المفتى بوزارة المعارف وعضو المكتب الفني بها

مقدمة : نظرية أرسطو ليس في الفضيلة :

لقد كتب أرسطو ليس عن الفضيلة كتابه خلعت على الدهر ، ومهما كان ما قيل في نقدها فإنها جديرة بالدرس والإعجاب . وستناول في هذا التمهيد بعضاً وجيزاً لتعريف أرسطو للفضيلة ورأيه في فطريتها ، وفي شروطها . ثم نتقل إلى الكلام في نظرية الوسط ، معتمدين في تصويرها على كتابه أرسطو ليس وشرحه . ثم ندلي بنقدنا الشخصي للنظرية . وبعد ذلك نتقل إلى ما كتبه المسلمون في هذه النظرية معقبين عليه برأينا فيه .

تعريف أرسطو للفضيلة :

يعرف أرسطو الفضيلة على النحو الآتي :

فضيلة كل شيء هي ما يُتم حسن استعداده لأداء عمله وتنفيذه على أكمل وجه .
الأكل ، كفضيلة العين ، وفضيلة السيف ، وفضيلة الحصان : فضيلة العرآن تبصر على أكمل وجه ، وفضيلة السيف أن يكون بتاراً يقطع على أكمل وجه ، وفضيلة الحصان أن يجري ويحمل فارسه ويقاوم العدو على أكمل وجه . ونفسية الإنسان كذلك هي الحالة الخاقية التي تصيره رجلاً صالحاً ، رجلاً خيراً تحت

يؤدى وظيفته في الحياة على أكملها . (كتاب ٢ باب ٦ فقرات ٢ - ٣) (١)

فطرية الفضيلة :

وهو يرى أن الفضائل ليست طبيعية فينا ، وإلا عجزنا عن تغيير طبائعنا . فالمرء لا تستطيع أن تغير ما هو فطرى : مثل ذلك مثل الحجر الذى يهوى بطبيعته إلى أسفل ، فإنه لا يمكن أن يتعود الصعود ولو حاول به المرء ذلك ألف مرة . وكذلك البار فطرتها الصعود بنهبها ، ولا يمكن أن تتجه إلى أسفل . وليس فى الوجود جسم واحد يمكن أن يفقد خاصته التى تلقاها من الفطرة . ليستبدلها عادة جديدة (ك ٢ ب ١ ف ٢) .

وهو كما يرى أن الفضائل ليست فىنا بالطبع ، يرى كذلك أننا لانكتسبها عن ريعم من الطبع : فالطبع أو الفطرة تجعلنا فاعلين لها . والعادة تنمىها وتمها . ب . فليس لدينا من الفضائل أول الأمر إلا الاستعداد لها ، والقدرة على مراوتها ، وبعد تلك المزاولة تنتج أفعالها . وشأننا مع الفضائل يخالف شأننا مع خواص : فنحن لم نكتسب حاسة الإبصار ، ولا حاسة السمع ، بكثرة نط ، ولا بكثرة السمع ، ولكننا نظرنا وسمعنا ، لأننا خلقنا ومعناها تان حسن . أما الفضائل فأننا لانكتسبها إلا بعد المراتة والمزاولة شأنها فى ذلك شأن الفنون : فالمرء الذى يزاول صناعة الهندسة يصبح مهندساً ، والرجل الذى يمارس مهنة الموسيقى يضحى موسيقياً . وكذلك الرجل الذى يقيم العدل يصبح عادلاً ، والذى يزاول الحكمة يغدو حكيماً ، والذى يتعود الشجاعة يصبح شجاعاً . (ك ٢ ب ١ ف ٣ - ٤)

شرط الفضيلة اللذة :

يشترط أرسطو فى الفضيلة الشعور بالسرور فى مزاولتها ، فيقول :

(١) فى كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس : « Ethica Nicomachea »
ومدأشرنا عقب كل موضوع إلى رقم الكتاب والباب والفقرة ، لأننا لم ننبع الترتيب الأصى الذى فى كتابة أرسطاليس ، لما فيه أحياناً من استطراد وتكرار وتقديم وتأخير .

إن العلامة الظاهرة التي تكون بها الفضيلة فضيلة ، هي الشعور . لئلا
فلا إنسان الذي يتنعم عن متع الجسم مرتاحاً لهذا الامتناع ، هو المعتدل أو
العفيف ؛ أما المرء الذي لا يحدد نفسه تلك اللذات إلا بأسف عليها ، فليس على
الحقيقة عفيفاً ؛ ^(١) والإنسان الذي يقتحم الأخطار مسروراً مغتبطاً ، هو الشجاع
أما الذي يقتحمها مضطراً حزناً فحيان . ^(٢) من أجل ذلك ينصح أرسطو
بما ينصح به أستاذه أفلاطون : من أنه ينبغي أن يوجه الطفل منذ نعومة أظفاره
إلى حسن اختياره مواضع السرور والألم . (ك ٢ ب ٣ ف ١)
ولا شك أنهما على حق ؛ لأن سر النجاح في الحياة الأخلاقية هو أن يمد
المرء كيف يحسن التلذذ والتألم .

نظريّة الوسط :

يرى أرسطو ليس أن الفضيلة وسط بين طرفين ؛ فالأمر في الفضيلة لا يخل
بالنسبة لقوة البدن والصحة ؛ فالمغالة في التمرينات البدنية أو التقصير فيها ، كلاهما
يؤدي بالقوة . وكذلك الشأن في المأكل والمشرب ؛ فإن الزيادة في الأكلة
على القدر اللازم ، أو النقص فيها عنه . كلاهما يضعف الصحة ؛ وليس يحفظ
الصحة وينميها إلا القدر اللازم الذي هو بين هذين الطرفين . وهذا هو السر
في العفة والشجاعة وغيرهما من الفضائل ؛ فالإنسان الذي يحشى كل شيء ، وهو
من كل شيء . ولا يحتمل شيئاً من المكروه ، حيان . كما أن الذي لا يخاف شيئاً
بل يقتحم جميع الأخطار بلا اكتراث ، متهور . والشجاع هو الذي يتوسط بين
هذين الطرفين . كذلك الرجل الذي يستمتع بجميع اللذات لا يحدد نفسه
واحدة منها ، فاجر ؛ والذي يتحرج ويتأثم فيتقيها جميعها ، خامد الحس معطر

(١) تدبر المثل العربي : « من العفة ألا تجد » ، وقول الشاعر العربي :

عفافك عجز ، إنما عفة الفقى إذا عف عن لذاته وهو قادر

وكذلك المثل الإنجليزي : « أن تتخذ من الضرورة فضيلة ،

« Making a virtue out of necessity. »

(٢) وتدبر كذلك المثل العربي : « مكره أخاك لا بطل » .

النعور . والعفيف هو الذي يتوسط بين هذين الطرفين : فالشجاعة والعفة .
كعبه هما من الفضائل ، تضيقان بالإفراط والتفريط . وتحققان بالوسط .
(ك ٢ ب ٢ ف ٦) .

نشأة نظرية الوسط :

أجمع مؤرخو الفلسفة على عزو نظرية الوسط إلى أرسطو ليس . وهم في ذلك
سوى حق ؛ لأن أرسطو هو أول من تكلم في الوسط كلاما علميا . بل هو آخر من
قال الكلمة الفاصلة فيه .

غير أن من الإنصاف أن نذكر أن فكرة الوسط سابقة لنظرية الوسط ؛
فدس في استطاعتنا أن ندعى لأرسطو ابتكار فكرة الوسط . مهما حق لنا أن
نسبى له ابتكار نظرية الوسط . وحسبنا في التدليل على ذلك أن فكرة التوسط
في الأمور . وكونها خيرا . بل كونها أفضل الأحوال . قد وردت في كتاب
(جمهورية) لأفلاطون أستاذ أرسطو ، في المواضع الآتية (١) :

١ - الكتاب الثاني فقرة « ٣٥٩ »

يقول أفلاطون (على لسان غلوكون) في تحديد طبيعة العدالة وأصلها :
« إن الظلم بطبيعته خير . ولكن احتماله شر . لأن الشر الناشئ عن احتماله يربو
كبرا على الخير الناجم عن اقترافه ؛ ولذلك بعد أن ظلم الناس بعضهم بعضا زمنا
طويلا . واحتملوا ثقل وقعه على النفوس . وخبروا كلا من العدالة والظلم - رأوا
أن لأفضل أن يتفقوا على ألا يظلموا ولا يظلموا . هذا منبت الشرائع . وأصل
المعاهدات بين الإنسان وأخيه الإنسان . فزعموا ما أوجبته الشرائع عدلا . كذا
يؤكدون أن هذا منشأ العدالة وطبيعتها ؛ فهي حلقة متوسطة بين الأفضل المطلق .
وهو أن يظلم الناس دون عقوبة . وبين الأسوأ المطلق . وهو أن ينظلموا دون
المقدرة على الانتقام ؛ فالعدالة مرغوب فيها لكونها وسطا بين هذين الطرفين . »

(١) اعتمدنا في ترجمة نصوص الجمهورية هنا وفيما يلي على الترجمات الإنجليزية
المقدمة عن النص اليوناني ولا سيما ترجمتي Spens و Jowett

٢ — الكتاب الثاني فقرة « ٣٦٤ »

نقل أفلاطون شعراً لِهسيود يدل على أن الفضيلة قمة صعب مرتقاها . أما الرذيلة فميدان فسيح يسهل على كل إنسان المرور فيه ، وسيأتي بيان ذلك عند كلام أرسطو على أن الفضيلة ذروة وقفة . وقد ترجمنا فيما يلي شعر هسيود المذكور :

ما أسهل الشر تجنيه بلا تعب بابُ الرذيلة باب غير ذي غلق
طريقها رتق سهل الصعود وفي أهدافها طلق من كل مستبق
أما الفضيلة فالأخطار تكنفها دون الوصول إليها نقطة الأفق

٣ — الكتاب الرابع فقرة « ٤٢١ »

يقول أفلاطون (على لسان سقراط) وهو بصدد الكلام عن حكماء مدينته الماضلة ، أو فردوسه الأرضي : « أليس خير الأمور الوسط للصع ؟ فينبغي أن يكون لديهم من المال ما يكفي لشراء أدواتهم ، لا ما يكفي لإثراءهم وجعلهم في غنى عن العمل . أو ليست هذه الحالة خيراً لحكامنا كذلك ، فإن كانوا فقراء مدقعين كانوا أذلاء منحطين ، وإن كانوا أثرياء كانوا كسالى مهملين : وما كانوا في كلتا الحالتين من القانونين . »

٤ — الكتاب الثامن فقرات « ٥٥٧ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ »

ويقول أفلاطون بصدد الكلام في أنواع الحكومات : « إن كل شكل من أشكال الحكومة ينجح إلى الانحطاط والاندثار ، إذا بولغ في تطبيق المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه : فحكومة الأشراف ، الأرستقراطية ، لا تلبث أن تتلاشى إن نحن أسرفنا في تطبيقها فضيقنا دائرة الأشراف وبالغنا في تحديد الطبقات التي يحق لها أن تتولى الحكم . وكذلك الشأن في حكومة الشعب ، الديمقراطية ، فإنها بتطرفها في شعبيتها أو « ديمقراطيتها » تقضى على نفسها ، فالحرية المتصرفة لا يمكن أن تفضى إلا إلى استعباد متطرف . سواء في ذلك الدول والأفراد . وإن أوسع حرية لهُى التي تمهد السيل لأذل استبداد وأثقل استعباد . »

٥ - الكتاب العاشر فقرة « ٦١٩ »

ويعتبر أفلاطون جمهوريته في الكتاب العاشر بوصيته عن الحياة الفاضلة في مسا والآخره فيقول : « فيعرف المرء كيف يختار الوسط ويترك طرفي الإفراط والتفريط . ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، لاقى هذه الحياة فحسب بل لكل ما يتعلق بالحياة الآخرة كذلك . فذلك هو السبيل الوحيد للسعادة . »
من هذا يتضح لنا جلياً أن « فكرة » الوسط ليست من ابتكار أرسطو ولكنه مع ذلك صاحب « نظرية » الوسط غير مدافع .

معنى الوسط :

هل أرسطو ليس . إن هذا الوسط ، الذي هو الفضيلة . ليس واحداً بالقياس بجمع الناس . وليس هذا التوسط توسطاً رياضياً ، بل هو توسط إضافي . لأنه إذا كانت عشرة أرطال من الطعام بالنسبة إلى شخص بعينه أكثر مما ينبغي ، فإن من الطعام بالنسبة له كذلك ، أقل مما ينبغي ، وكانت ستة أرطال هي الوسط المطلوب له . فليس معنى هذا أن ستة أرطال من الطعام هي مقدار صحيح لكل شخص من الأشخاص . فقد تصل بإسنان إلى حد التخمرة . على حين قد تنزل بآخر إلى حد المخمصة .

كذلك الوسط الأخلاقي ليس مطلقاً ، وليس واحداً بالنسبة لجميع الأفراد . رغبى كل عاقل أن يبحث عن الوسط الملائم له . فإن ذلك الوسط القويم السعيد ، الذي يصل به إلى درجة الفضيلة .

من أجل ذلك إذا أريد مدح شيء متقن قيل إنه لا يمكن أن يزداد عليه شيء ، ولا ينقص منه شيء . كأنما قيل : إذا كان الإفراط والتفريط يضيغان الكمال ، فإن الوسط وحده هو الذي يحققه .

ومن على ذلك الخوف ، والإقدام ، والرغبة ، والكره ، والغضب ، والرحمة ، وكل هذه الوجدانات قدر أكثر من الوسط وقدر أقل منه . وكلا الطرفين

فبيح . أما أن يعرف المرء الشعور بهذه الوجدانات على ما ينبغي ، تتعلق من وتعلقاً للأشياء ، وتعلقاً للأشخاص ، وتبعاً للعلة ، وأن يعرف القدر المطلوب . فهذا هو الوسط القويم . هو الكمال الذي لا يتحقق إلا في الفضيلة . (ك ٢ ب ٦ ف ٥-١١)

الفضيلة قمتز وطرف :

ويرى أرسطو أن الفضيلة مرقى صعب ، ففي استطاعة المرء أن يسيء . يسوء بألف طريقة ، على حين أنه لا يستطيع أن يحسن السلوك إلا بطريقة واحدة . أليس من أسهل الأشياء أن نخطئ . لهدف ومن أصعب الأمور أن نصيبه . (ك ٢ ب ٦ ف ١٤ - ١٥) فما أشبه الفضيلة التي هي الوسط ببؤرة انصواء ، والرديلة التي هي ماعدا الوسط بحاشية الضوء التي لا حد لها !

وبذلك يقول أرسطو : إن الفضيلة - التي هي وسط بين طرفين - قمتز ، وطرف ، ونهاية ، باعتبار آخر ؛ هو اعتبار أهمها أعلى درجات الكمال : آخر (ك ٢ ب ٦ ف ١٦) - ويمكننا أن نرمز إلى فكرتيه عن الفضيلة بالرسمين التاليين :

تصوير الفضيلة وسطا بين طرفين

الشجاعة

التهور * * * الجبن



تصوير الفضيلة قمة

الشجاعة



التهور * الجبن

وبذلك تكون الفضيلة في ذروة لا يصل إليها إلا القليل المجاهدون لأنها تصبح كمر كر الدائرة ليس العثور عليه ميسوراً لجميع الناس ، فبذل المال سرفاً أمر ميسور لكل إنسان ، وحبس المال شحاً أمر كذلك لا يكلفنا جهداً ولا مشقة . ولكن التمييز من يجب أن تمتنع ، ومن يجب أن تمتنع ، وبين المقدار الذي ينبغي أن تنذر . والمقدار الذي ينبغي أن تحفظ . وبين الوقت الذي تبذل فيه والوقت الذي تحبس فيه . كل ذلك عمل شاق ليس من السهل معرفته . من أجل ذلك كان الحبر شيئاً نادراً وممدوحاً وجميلاً . (ك ٢ ب ٩ ف ١ - ٢)

الشُرور الرأية :

وإذا تأملنا في هذه النظرية أفينا أن بعض الشرور لا تخضع لها . فليس لها طرفان بينهما وسط هو الفضيلة . ولقد أدرك ذلك أرسطو فقال : إن من الشرور شروراً ذاتية لا صلة لنظرية الوسط بها . فهي في أية درجة من درجاتها . وعلى أية صورة من صورها شرور مردولة . فمن ذلك السماتة ، والחסد ، والزنا ، والسرقة . فالقتل جريمة مردولة في أي وقت ، وأي مكان ، ولأي شخص . وبأية آلة ، ولأي سبب (١) فحكم هذه الشرور حكم الرذائل التي هي أطراف ، بمعنى أنه لا يصح أن يكون لها إفراط ولا تفريط ، وإلا لزم أن تكون للإفراط إفراط وللتفريط تفريط . (ك ٢ ب ٦ ف ١٧ - ١٩)

الفضائل التي طبق عليها أرسطو نظريته :

قد طبق أرسطو ليس نظرية الوسط على الفضائل التي يجمعها في الجدول الآتي :

(١) إلا القصاص طبعاً ، على أنه لا يسمى عادة قتلاً . ولقد يكون للقتل ظروف محنة ، كما يكون للسرقة والزنا - زنا المحصن وغير المحصن - ولكنه يظل قتلاً . وسرقة ، وزنا ، يحمل عبء الرذيلة ويتلون بلونها البغيض .

الإفراط (رذيلة)	الوسط (فضيلة)	التفريط (رذيلة)
التهور	الشجاعة	الجهن
الفجور	العفة أو الاعتدال	حمود الذات أو عدم احسن
الإسراف أو السفه	السخاء أو الكرم	البخل
الوفاحة أو الغطرسة	الكرامة أو عزة النفس	الذلة أو وضعه النفس
الشراسة	الحلم	الفتور أو البلادة
التفنج أو المبالغة	الصدق	التحفظ أو التعمية
السخرية	البشاشة	الفظاظة
التملق	الصدقة	التشاكس أو الشكس
التبجح أو السلاطة (١)	الحياء	الخفر (٢)
حسد الغير على سعادته	العدل (٣)	الشماتة في مصيبة الغير
(أو الظلم)		(أو الانظام)

المعلقة بين هذه الفضائل (الأوساط) والردائل (الاطراف):

ويرى أرسططاليس أن هذه الصفات الثلاثة — الفضيلة وطرفيها — مستوية بعضها مع بعض: فالطرفان مضادان للوسط، ويضاد أحدهما الآخر: والوسط مضد لكل من الطرفين. وكما أن المتوسط الحسنى إذا قرن بالحد الأصغر كان أكبر منه وإذا قرن بالحد الأكبر كان أصغر منه — فكذلك الفضائل أو

(١) يرى ابن مسكويه تسمية هذا الطرف «الوفاحة».

(٢) ويرى كذلك تسمية هذا الطرف «الحرق» (محتجج) وهو ذو عفة والدهش من خوف أو حياء، أو أن يهت فاتحا عينيه ينظر، وأن يفرق الغرائز معجز عن النهوض، والطائر فلا يقدر على الطيران.

(٣) الرذيلتان الناشتان عن تجاوز فضيلة العدل هما: حسد الغير على سعادته والشماتة بمصيبة الغير. وهذا رأى أرسطو. أما الظلم والانظام فرأى أفلاطون وهو أوجه من رأى أرسطو.

الأوساط الأخلاقية في نسبتها إلى حالات التفرط تظهر إفراطات ، وفي نسبتها إلى حالات الإفراطات تظهر تفريطات ، وعلى هذا فالرجل الشجاع يظهر متهوراً إلى من بالحيان ، ويدو إلى جانب المتهور جباناً ، وكذلك المعتدل أو العفيف يدو فاجراً إذا قرن بالخامد الذي لا يثيره مثير ويدو خامداً إذا قرن بالفاجر . وسحق يدو مسرفاً بالإضافة إلى الخيل ، وبخيلاً بالإضافة إلى المسرف . وكذلك له من ينفذ كل منهما بالوسط إلى الآخر ، فالحيان يسمى الشجاع متهوراً ، والمتهور يسميه جباناً ، وكذلك الشأن في جميع الأوساط والأطراف .

على أن هناك أطرافاً لها بعض المشابهة بالوسط ، فالتهور به شبه بالشجاعة ، والمعرف شبه بالسخاء ، أما التضاد الأعظم فهو بين الأطراف بعضها لبعض . وفي نسبة الطرفين إلى الوسط تارة يكون التفريط هو الأكثر تضاداً ، وتارة يكون الإفراط هو الأكثر تضاداً ، فأكثر الرذيلتين تضاداً مع الشجاعة ليس هو الذي هو الإفراط ، بل الجبن الذي هو التفريط ، والأمير على عكس ذلك ، فالمعرف إلى العفة ، فإن أبعد الطرفين منها ليس محمود اللذات الذي هو حد التفريط ، بل هو الفجور الذي هو حد الإفراط . (ك ٢ ب ٨ ف ١ - ٦)

ويشكو أرسطو من أن اللغة الإغريقية لم تشمل على كلمات تدل على بعض لأف كخمود اللذات ، وكالتور : وسبب ذلك أن هذه الصفات بعيدة كل البعد عن بل الإنسان : فلم تحفز الحاجة اللغة لوضع ألفاظ لها . (ك ٢ ب ٧ ف ١١)
وعن تشكو هذه الشكوى عينها والسبب عينه في لغتنا العربية .

نصيح أرسطو إليّ :

يصحح أرسطو بأن يحمل المرء نفسه على الجهة المضادة لميوله : فإننا بابتعادنا عن الخطيئة التي نخشاها نقف في الوسط . فالخطر الذي ينبغي انقذوه دائماً هو من الذي يرضى أهواءنا ، هو اللذة : (١) ويجب أن يكون شعورنا نحو اللذة هو

(١) وفي ذلك يقول أبو بكر رضى الله عنه : « خير لحصتين لك أبعضهما إليك ، ومثل أن المذموم وعلى العقل أن يعرف أن الرأى والهوى متعاديان ، وأن من شئس أسويف الرأى وإسراف الهوى فيخالف ذلك ويلتمس أن لا يزال هواه

ما كان يشعر به شيوخ طروادة في حضرة هُزن، فله عرف دائما أن نكرر لأنفسنا ما قالوه. (١) لأننا إذا وصلنا إلى دفع اللذة كنا في أمن من أن نرتكب من الزلل إلا أقله (ك ٢ ب ٩ ف ٥ - ٦)

نقد نظرية أرسطو البسيطة :

لعل في غنى عن بسط رأيي في هذه النظرية الفلسفية أكثر مما فعلت، وقد بينت تاريخ نشأتها ومقدار ما لأرسطو من نصيب في فكرة الوسط، وفي نظرية الوسط، ولعله قد اتضح من سياق الكلام مبلغ تأييدنا لآراء أرسطو البسيطة، ولكن الذي لا بد من بيانه هنا هو النقط التي نخالف فيها فيلسوفنا العظيم وأهم هذه النقط تطبيقه نظرية الوسط على الصدق، ففي ذلك التطبيق إرداف لهذه الفضيلة، ومد سلطان النظرية على أرض أجنبية لا تخضع لها، فنحن نعلم أن يكون الكرم وسطا بين رذيلتين متناقضتين، هما الإسراف والتقتير، ونعلم أن تكون الشجاعة وسطا بين رذيلتين متباينتين تمام التباين، هما التهور والخوف، ونذكر أن العفة وسط بين رذيلتين متنافرتين إحداهما مع الأخرى، هما المحارمة وخمود المذات، ونقول أن يكون الحلم وسطا بين رذيلتين على طرفي نقيض، هما الشراسة والبلادة؛ إلى آخر الفضائل التي طبق عليها أرسطو نظريته في الوسط، عدا الصدق، فإننا لا نستطيع أن نفهم أن يكون وسطا بين المبالغة في الصدق، والتحفظ والتعمية فيه، لأن للصدق دائما صورة واحدة، وكل ما عداها . . . موهبة مسوفاً ورأيه مسعفاً، وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر أيهما الصواب لم ينظر أهواهما عده فيحدره . . . ويقول عبدالله بن معاوية موصيا ولده : « واسألني أن رأيتك إذا احتجت إليه وجدته نائما ووجدت هواك يقظان، فأياك أن تستدبرأيتك فإنه حينئذ هواك . »

(١) يشير أرسطو إلى ما قاله شيوخ طروادة، وقد جلسوا للفصل في مسألة من، فإنها حبسا أشرقت وجهها الوضاح على المدينة لم يسع القضاء إلا الاعتراف بقتلهم، ولكنهم مع ذلك قالوا : مهما يكن شأن جماها فلا بد أن تعود إلى وطنها، وإلا حلت علينا وعلى ذريتنا القمة والدمار.

نقص . كذب . وليس بين الطرفين اللذين يرعاهما أرسطو للصدق تباين
يقتضي كذلك الذي بين كل طرفين من أطراف الفصائل الأخرى . فالزيادة في
حس والنقص فيه متشابهان تمام التشابه من حيث حيدتهما عن الصورة الواحدة
بحسب تحقيق فيها الصدق . ولذلك يسمى كل منهما كذبا . ولا كذلك أى طرفين
ج . فإننا لا نستطيع أن نجد اسم مشترك يصح أن نطلقه على كل من التهور
حين باعتبارهما حيدة عن الشجاعة ، أو على العجور وخمود الذات باعتبارهما
حيدة عن العفة . أو على الإسراف والتقتير باعتبارهما حيدة عن الكرم ؛ واعتبر
منا في سائر الأطراف مع فضائلها .

ولم يخطأ آخر وقع فيه أرسطو ليس . وهو زعمه أن الصدق (وهو الوسط)
يؤبى إلى أحد الطرفين اللذين يكتسبانه منه إلى الآخر : فهو يزعم أن الصدق
يؤبى إلى التحفظ والنقص . منه إلى المبالغة والزيادة . ولا شك أن هذا الخطأ
سار على خطئه السابق . وهو محاولته إخضاع فضيلة الصدق لنظرية الوسط ،
وحيث أن ليس الصدق أقرب إلى إحدى الرذيلتين منه إلى الأخرى ، فكلاهما
كذب لا شك فيه . وللصدق كما قلنا صورة واحدة ، وأقل حيدة عنها بزيادة أو
نقص تلحقها بالكذب .

ولم يشترى أرسطو رضا من رأيه بعبارته الخلابة التي يدم فيها المبالغة
بسمي حمفا . وزهوا . وصافا . على حين يعطف على التعمية والنقص ويسميها
حرجا . أو التواضع . وأنفة من دواعي الشهرة . ثم يلوح لنا بسقراط وتواضعه .
واقفه على رأيه . لأن إفساد الخبر بالنقص كإفساده بالزيادة ، بل ربما كان
فساد الخبر أشد أثرا في البعد عن الصدق . ألا يكفي أن تحذف أحيانا كلمة
واحدة من الخبر لتحوّله إلى عكس ما يريد صاحبه ؟

بعد فإن المقياس في الصدق والكذب — كالمقياس في سائر الفصائل
الارثية — هو الباعث ، فمتى تحقق الباعث على تغيير الحقيقة ، فسواء في نظر
الأخلاق أن يحدث هذا التغيير بزيادة أو بنقص .

ولو شاء أرسطو أن يكون أقرب إلى الصواب في تطبيق نظرية الوسط

على الصدق، لقال إن الفضائل تختلف في قربها من الأطراف، وبعضها أقرب إلى طرف الإفراط، وبعضها أدنى إلى طرف التفريط؛ غير أن الصدق وحده (ولو شاء لأضاف إليه العدل) يكون وسطه بين طرفيه وسطا رابعا، لا أخلاقيا، فنسبة بعده عن أحد الطرفين كنسبة بعده عن الآخر (١).

لقد استثنى أرسطو من نظريته في قسم الرذائل ما سماه الشرور الذاتية، فحرام فعل؛ ولو أمعن في تمحيص النظرية لأضاف إليها استثناء آخر في قسم الفضائل

نظرية الوسط عند المسلمين:

وأريد هنا أن أتكلم في نقطتين: أولاً هماسة التعاليم الإسلامية بهذه النظرية، قاصداً بالتعاليم الإسلامية ما جاء به القرآن الكريم والحديث الشريف،، سيف الصاخر، وثانيهما مبلغ تأثير الفلاسفة المسلمين بنظرية أرسططاليس وكده. أما التعاليم الإسلامية من قرآن وحديث فليس لدينا من شك في أنها تقتبس من أرسططاليس على الرغم من أنها جاءت صريحة في مذهب الوسط ونحن لا نستند في رأينا هذا إلى الرأي الديني وحده - ذلك الرأي الذي يبره القرآن والحديث عن النقل والافتباس، مما يزعجه كثير من المبشرين والمفسرين، ولكننا نعتمد كذلك على الأسانيد التاريخية التي لا تدع مجالاً للشك، إذ لم يقل قائل (حتى أولئك المقترنون الذين يزعمون أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - كان قد تلقى تعاليم التوراة والإنجيل) بأن فلسفة أرسطو أو فلسفة اليونان كانت قد عرفت سبيلها إلى جزيرة العرب إبان نزول القرآن والصدق بالأحاديث بقي علينا أن نعال ذلك الاتفاق بين آراء القرآن والحديث من جهة، وآراء أرسطو في نظرية الوسط من جهة أخرى؛ وتعليل ذلك واضح حتى هو أن كل فكر مستقيم أو دين سام يجب أن يكون تشريعه الأخلاق والاحتياطي مسدداً عن مثل هذا الرأي، لأنه الرأي الصائب الذي لا يستقيم بغيره دين ولا عمل، فلم يكن غريباً إذن أن نرى القرآن والحديث يأمران بالوسط ويحصل منه ما بل كان يكون من الغريب المدهش ألا يفعل ذلك.

يقول الله تعالى : « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْدُولَةً إِلَىٰ عُقْبِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا
 كَالنَّبْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » . (١) - « وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ
 يُسْرِفُوا ، وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » . (٢) - « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا
 زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ، وَلَا تُسْرِفُوا ؛ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْرِفِينَ » . « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ
 الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (٣) -
 « وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ، وَالْمِسْكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا
 إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا » . (٤)
 ، وهو الذي أنشأ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَّعْرُوشَاتٍ ، وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
 مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، وَالزَّيْتُونَ وَالرَّهْمَانَ ، مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، كُلُوا مِنْ
 ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، وَلَا تُسْرِفُوا ؛ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْرِفِينَ » . (٥) ، « وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ » . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ تَلَدٍ
 لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشُقُّ الْأَنْفُسَ ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوْفٌ رَّحِيمٌ ، وَالْخَيْلَ
 وَالْبُغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْدُونَ » . (٦) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ » . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ
 بِهِ مُؤْمِنُونَ » . (٧)

وإن نظرة واحدة في هذه الآيات - وهي قليل من كثير - لتكفي للدلالة على
 أن القرآن لم يدع إلى الحرمان ولا إلى شطف العيش ، بل دعا إلى التمتع المعقول

(١) سورة الإسراء ٢٩ (٢) سورة الفرقان ٦٧ (٣) سورة الاعراف ٣١-٣٢

(٤) سورة الاسراء ٢٦-٢٧ (٥) سورة الانعام ١٤١ (٦) سورة النحل ٥-٨

(٧) سورة المائدة ٨٧-٨٨

والتوسط في الأمور وحسبنا أننا نأخذ من عبارات القرآن مثل هذه الألفاظ الصريحة في معنى النعيم : « الطيبات » و « الزينة » و « الجمال » لنفهم أنه قصد من صراحتها في دلالتها الأخذ على يد من تسول له نفسه أن يسيء تأويلها ليخرجها عن معناها .

ويقول الرسول الكريم : « إن الدين يسر » . ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه . فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة . ، — « إن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى » — « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » — « كلوا واشربوا ، ولسوا ، وصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة » . وامتدح قوم رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في العبادة والغنى عن العمل وقالوا : صحبناه في سفر فما رأينا بعدك يا رسول الله أعبد منه ، كان لا ينتقل من صلاة . ولا يفطر من صيام : فقال لهم : فمن كان يمونه ويقوم به ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله . قال : كلكم أعبد منه .

وعن عبد الله بن عمر قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قلت : إني أفعل ذلك . قال : فانك إذا فعلت ذلك هجمت عينك ونفيت نفسك ، وإن لنفسك حقاً ، ولأهلك حقاً ، فصم وأفطر ، وقم ونم » .

ودخل عمر بن عبد العزيز على عبد الملك بن مروان ، وكان ختنه على أمته فسأله عن معيشته كيف هي ؟ فقال عمر : حسنة بين الشيئين ، ومنزلة بين المنزلتين . فقال عبد الملك : خير الأمور أوسطها .

وبعد ، فما أنا بمستطيع أن أستقصى كل ما ورد بهذا الصدد ، ولكني أدري في هذا القدر ما يكفي . ولأنتقل إلى الكلام في النقطة الثانية .

نظرية الوسط

بين يدي الغزالي ، وابن مسكويه ، وابن المقفع

الغزالي :

عرض الغزالي لنظرية الوسط في مواضع عدة في الجزء الثالث من إحياء علوم الدين ، وسأتركه هنا يتحدث عن نفسه ، ثم أتحدث عنه بعد ذلك .

يقول في ص ٤٩ من ذلك الجزء (١) : « والذي يدل على أن المطلوب هو وسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين عرق التبذير والتقتير ، وقد أتى الله عليه فقال : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم ينزوا ، وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى سمك ، ولا تبسطها كل البسط) وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون شربه والجود . قال الله تعالى : (كلوا واشربوا ، ولا تسرفوا : إنه لا يحب المفسرين) وقال في الغضب (أشدّاء على الكفّار رُحَماء بينهم) وقال صلى الله عليه وسلم : (خير الأمور أوسطها) . »

وقال في ص ٨٢ من الجزء الثالث أيضا : « اعلم أن المطلوب الأقصى في حب الأمور والأخلاق الوسط ، إذ خير الأمور أوسطها ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم . »

« قل في الصفحة التالية : « وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد لأحوال عن الطرفين الوسط ، وهو الاعتدال . ومثل طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط . مثال نملة ألقيت في وسط حقة نخب على النار ، مطروحة على الأرض . فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة ، وهي نسيطة بها لا تقدر على الخروج منها . فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز من الوسط . فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد المواضع عن حرارة التي في الحلقة المحيطة . فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة . »

وأتم ترون هنا كلاماً صريحاً في الوسط والطرفين ، وكلاماً صريحاً في الوسط الهندسى ، وكلاماً ضمينا لرأى أرسططاليس في أن الفضيلة قمة صعوبة المرتقى . وكلاماً صريحاً في أن المرء قد يخطئ بألف طريقة ، ولكنه لا يصيب الفضيلة إلا بطريقة واحدة .

ثم استمع إلى الغزالي مرة أخرى ، وهو يطبق النظرية على فضيلة حمى ص ١٤٦ من الجزء الثالث : « فقد الغضب مذموم ، وإنما الحمود غضب . إشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تحب الحمية ، وينطفئ حيث يحسن الخمر وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده . وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (خير الأمور أوسطها) واستمع إليه كذلك حين يتكلم في فضيلة السخاء ص ٢٢٥ : « ولا يسر حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير ، وبينهم وسط هو الحمود . . . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط » وفى هذا القدر بيان واضح لمقدار ارتفاع الغزالي بالفلسفة الأرسططاليسية . هذه النظرية ، وإن لم يكتب فيها كتابة مستقلة كما فعل ابن مسكويه . . . يعزب عن أذهاننا أن الغزالي أحسن الرطيين رأى أرسطو والآثار الباقية الناطقة بمذهب الوسط كما رأينا .

ابن مسكويه :

ولو كانت حقة للنقل والترجمة ، وكان لأرسططاليس ورثة ، لأصبحت مسكويه بابن مسكويه يقاضونه على ما أخذ من أرسطو . وفيما بأن أوضح دليل على فضل أرسطو على هذا الفيلسوف الورتاق . يقول فى ص ٣٣ : « من كتب تهذيب الأخلاق » (١) بعنوان « أطراف الفضائل » : « ولما كانت هذه القصائد أو بين أطراف : وتلك الأطراف هى الرذائل : وجب أن تفهم منها . . . سمع لنا الزمان ذكرناها لأن وجود أسمائها فى هذا الوقت متعذر . . . اشهد أبنا

نعم أن هذا كلام أرسطو بعينه . حتى الشكاية من عدم وجود أسماء للأطراف ،
تتعلق بالشكاية التي نادى بها أرسطو كما سبق في عبارته التي نقلناها .

ثم استمعوا إليه حين يشبه الوسط بمركز الدائرة : • وينبغي أن تفهم من
• أنا أن كل فضيلة فهي وسط بين رذائل ما أنا واصفه :

• إن الأرض لما كانت في غاية البعد من السماء قيل إنها وسط . وبالجملة المركز
من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط . وإذا كان الشيء على غاية البعد من
شيء آخر فهو من هذه الجهة على القطر . فعلى هذا الوجه ينبغي أن يفهم معنى
الوسط من الفضيلة إذا كانت بين رذائل بعدها منها أقصى البعد . ولهذا إذا
حدثت الفضيلة عن موضعها الخاص بها أدنى انحراف قربت من رذيلة أخرى .
وإن سلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيلة التي تميل إليها . ولهذا صعب جداً
وحد هذا الوسط . ثم التمسك به بعد وجوده أصعب . ولذلك قالت الحكماء :
• نقطة الهدف أعسر من العدول عنها ، ولزوء الصواب بعد ذلك حتى لا تخطئها
أشد وأصعب . وذلك أن الأطراف التي تسمى رذائل - من الأفعال ، والأحوال ،
و • • • وسائر الجهات - كثيرة جداً . ولذلك كانت دواعي الشر أكثر من
دواعي الخير • • •

هذه فقرة تحدث بنفسها عن مصدرها الأول . ومبعث وحيها : ففيها نظرية
• • • . والكلام عن الأطراف ، والتشبيه بالوسط الهندسي . وكون الفضيلة
• • • • • عتارها كلاً وحيراً ؛ وصعوبة سبل الخير وكثرة سبل الشر .

وكأننا بآبن مسكويه يتم عن نفسه حين يقول : ولذلك قالت الحكماء • إصابة
• • • • • الهدف أعسر من العدول عنها • أهذا كل ما قالت الحكماء في هذا المذهب
• • • • • مسكويه ؟ • وهو لم يجد علينا في كل هذا البحث بإشارة أخرى إلى رأى
فيلسوف • • • • • فله الله !

ثم استمعوا إليه وهو يتكلم في الوسط الأخلاقي ، بعد أن ذكر الوسط
• • • • • ص ٣٤ : • ويجب أن تطلب أوساط تلك الأطراف بحسب كل فرد فرد • • •
ثم يقول ص ٣٥ : • وإذا قد ذكرنا معنى الوسط في الأخلاق وما ينبغي أن تفهم

منه فلنذكر هذه الأوساط لتفهم منها الأطراف التي هي ردائل وشروء . . .
بالضبط كما فعل أرسطاليس !

ثم شرع ابن مسكويه يكتب ، أو بعبارة أدق ينقل ، في تطبيق هذا المذهب
على الفضائل . فذكر أن الحكمة وسط بين السفه والبله : « وأغنى بالسفه . . .
استعمال القوة المفكرة فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي . . . وأغنى بالبله تعطيل هذه
القوة واطراحها . . . الخ

« وأما التسجاعة فهي وسط بين رذيلتين : إحداها الجبن والأخرى الشهوة .
أما الجبن فهو الخوف مما لا ينبغي أن يخاف منه . وأما التهور فهو الإقدام على
مالا ينبغي أن يقدم عليه . . »

« وأما العدالة فهي وسط بين الظلم والانطلام . »

وبعد فقد قال صاحب بن عباد في سعيد بن حميد : « لو قيل لكلماته منى
إلى أصحابك . لما بقي له شيء . » وأنا أقول : لو قيل لسكلام ابن مسكويه : ذهب
إلى أصحابك ، لما بقي له شيء .

ابن المقفع :

أما ابن المقفع فله معنا شأن آخر ، فلا هو كتب عن النظرية كما كتب ابن
مسكويه . ولا هو طبقها وربطها بالآثار الدينية كما فعل الغزالي ، وإنما نرى أنه
بهذه النظرية نطقاً في حكمه التي ضمنها « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » . . .
لدى أدلة قاطعة على أنه انتفع بكتابة أرسطو ، ولكنني مع ذلك أسمع في كثير
من كتبه صوت الفلسفة اليونانية والرومانية يتردد عالياً . وحسبي هذا أن نقل
بعض عباراته الدالة على شدة اعتناقه مذهب الوسط .

في الأدب الصغير :

يقول في ص ٢٧ « اقتصاد السعي إبقاء للجسم ، وفي بعد الهمة يكون النفس .
ومن سأل فوق قدرته استحق الحرمان . وسوء حمل الغنى أن يكون عند فقر
مرحاً ، وسوء حمل الفاقة أن يكون عند الطلب شراً . . »

ويقول في ص (٦٥) : « وكان يقال : قارب عدوك بعض المقاربة . تل

حاجتك . ولا تقاربه كل المقاربة فيجترى عليك عدوك : وتدل نفسك . ويرغب
 منك ناصرك . ومثل ذلك مثل العود المصوب في الشمس . إن أملت قليلاً زاد
 طله . وإن حاوزته الحد في إيمالته نقص الظل . . . وأشهد إن هذا لتصوير بديع .
 ويقول في ص ٢٠ : « وعلى العاقل — ما لم يكن معلوماً على نفسه — ألا يشعله
 شغل عن أربع ساعات : ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه . وساعة يحاسب فيها
 نفسه . وساعة يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه
 في أمره . وساعة يخلّي فيها بين نفسه وبين لذتها بما يحل ويحتمل . فإن هذه الساعة عون
 على الساعات الأخر . وإن استحمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بُلغة . .
 واستمع إليه حين يقول ص ٢٠ - ٢١ : « وعلى العاقل ألا يكون راعباً إلا
 في إحدى ثلاث : تزود لمعاد . أو مرمة لمعاش . أو لذة في غير محرم . .
 ويقول في موضع آخر ص (٥٨) . « لا عقل لمن أغفله عن آخرته
 . يحذر من لذة دنياه . وليس من العقل أن يحرمه حظّه من الدنيا بصرفه بزوالها .

في الأدب الكبير :

يقول في ص ٤ - ٥ : « فأصل الأمر في الدين أن تعتقد الإيمان على الصواب .
 وتحتب الكبائر . وتؤدي الفريضة . فلزم ذلك لزوم من لا غناء له عنه طرفة
 عين . ومن يعلم أنه إن حرمه هلك . ثم إن قدرت على أن تجاوز ذلك إلى التفقه
 في الدين والعبادة ، فهو أفضل وأكمل . . . ونحن هنا نرى ابن المقفع يصور لنا
 النفسيلة قمة صعبة المرتقى ، أو مثلاً أعلى بعيد الحصول ، ثم يدعونا إلى محاولة
 الوصول إليه ، ولكن بعد أن وضع لنا حداً أدنى . إن تجاوزناه كنا في
 حدود الرذيلة .

ثم يقول : « وأصل الأمر في صلاح الجسد أن لا تحمل عليه من المأكل
 والمشرب والباه إلا خفا . ثم إن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره
 والانتفاع بذلك كله فهو أفضل . .

« وأصل الأمر في البأس والشجاعة ألا تحدث نفسك في الإِدبار وأصحابك
 مقعدن على عدوهم . ثم إن قدرت على أن تكون أول حامل وآخر منصرف

— من غير تضييع للحذر — فهو أفضل . « أجل من غير تضييع للحذر ، فهما هو الوسط السعيد .

ويقول ص ١٥ — ١٧ : « لا تترك مباشرة جسم أمرك فيعود شاك صغيراً . ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير ، فيصير الكبير ضائعاً . »
« واعلم أن مالك لا يغني الناس كلهم فاخصص به أهل الحق ، وأن كرامتك لا تطبق العامة كلها ، فتوخ بها أهل الفصل ، وأن قبلك لا يتسع لكل شيء فقرغه لهم ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك — وإن دأبت فيهما ، وأن ليس لك إلى إدامة الدأب فيهما سبيل مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما — فأحسن قسمتهما بين عملك ودعوتك . »

« واعلم أن ما شغلت من رأيك بغير المهم أزدى بك في المهم . وما صدمت من مالك في الباطل فقدته حين تریده للحق ، وما عدلت به من كرامتك إلى غير النقص أضرت بك في العجز عن أهل الفضل . وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزدى بك عند الحاجة منك إليه . »

واليكم دا يقول ابن المقفع صريحاً في الشاشة ص ٢٠ : « لا تكون نزر الكلام والسلام ، ولا تبغض بهما إغراط الهشاشة والنشابة . فإن إحداهما من الكبير والأخرى من السخف . » ألم يذكر لنا هذا الوسط الحسن وطريقه البغيضين ؟

ثم استمعوا إلى رأيه في البشاشة في موضع آخر ص ٧٦ : « اعلم أن أرفسك عن الناس يكسبك العداوة ، وأن تقربك إليهم يكسبك صديق السوء . »

وها هو ذا يصور لك الأطراف في صورها الذميمة . إذ يقول ص ١٠٦ - ١٠٧ : « واعلم أنك إن جاوزت العاية في العبادة ، صرت إلى التقصير ؛ وإن جردتها في حمل العلم ، لحقت بالجهال . وإن حاوزتها في تكلف رضا الناس والحقة . » في حاجاتهم كنت المحسر المضيع .

وآخرأ وليس أخيراً أنصت إليه حين يقول ص ١٠٧

« اعلم أن بعض العطية تؤم ، وبعض السلاطة غم ، وبعض الين عى ، وبعض

جم جهل . وان استطعت أن لا يكون عطؤك جوراً . ولا يياك هذراً . ولا
عليك وبالاً . فافعل . .

خاتمة :

ويمكننا أن نلخص رأينا بإيجاز فيما يأتي :

١ - أن فكرة الوسط وأيدة العقل المتزن . والرأي الخفيف منذ كان على
الأرض فلسفة .

٢ - أن أرسطو هو صاحب الفضل . لا ينازعه فيه مازع . في ابتكار نظرية
الوسط ونهريعتها وتدوينها . والسموها إلى تلك المرتبة العلمية الدقيقة .

٣ - أن ما جاء في القرآن والحديث . بل في كلام كل من ثبت عدم اتصاله
بمسند أرسطو . ليس إلا صدق لوحى الفكر السامي . والرأي السديد في وجوب
الأخذ بفكرة الاعتدال والوسط .

٤ - من النابت أن فاسمة أرسطو قد نقلت للمسلمين مع غيرها من فلسفة
العصر العباسي . وقد تنبذ فلاسفة المسلمين على هذه الفلسفة - وفي
كتب من الأحيان لم يزيدوا شيئاً عليها . وكلامهم في نظرية الوسط . من غير
شك . نقل وإعادة لما كتب أرسطو .

٥ - قد رأينا أن الغزالي أحسن الانتفاع برأي أرسطو . ونسج حوله
خيوطاً من تعاليم الإسلام أظهرت له ديباجة جميلة .

٦ - أما ابن مسكويه فقد كان ناقلاً غير متصرف .

٧ - وأما ابن المقفع فمن المحتمل أن يكون قد تأثر بالفلسفة اليونانية عن
صهر أخته الفارسية . كما أن من المحتمل أن يكون قد ردد ما ثقفه في الإسلام .
كما أن من المحتمل أن يكون مُصدراً في فكرة الوسط عن رأيهِ وعقلهِ . وهو
غير غير العميق . والعقل العظيم . أو لعله أن يكون لذلك كله أثر في فلسفته .

محمد مهدي هاشم

فلسفة ديكارت^(١)

للككتور على العناني

أستاذ الفلسفة بدار العلوم

شكر واعتباط

أتشرف أيها السادة الأفاضل بأن أقدم عظيم شكرى لحضرة الأساد كبير مدير الجامعة الأميركية في القاهرة، على ما تكرم به من تهيئة هذه الفرصة العظيمة التي أتاحت لي المشول أمام حضراتكم، لأتحدث إليكم بإلمامة عظمى عن فلسفة ديكارت، جد الفلسفة الحديثة ومعلمها الأول العظيم.

وإني أشكر لحضراتكم جميعاً رغبتكم في سماع هذا الحديث الفلسفى، غير من فوق هذا المنبر، وفي هذه الدار المحيطة، عظيم اعتباطى بها ومجهودها منى في بيتنا، كما أعلن نفس هذا الاعتباط أيضاً بحفلكم الراخر . بهذه القاعة الدكرية الآن، تقديراً للنهوض العقلى في مصر، وطلباً إلى معرفة مقدار الرقى فيه، وميرى إلى تحقيقه على جنبات النيل السعيد، وفي جميع ربوع البلاد العربية. بحسب الأكبر العام.

نخر القاهرة بجامعاتها الثلاث

سادنى الأجل . ! إذا افتخرت المدن الجامعية بجامعاتها في جميع أنحاء العالم المتمدين، فلأنجد واحدة منها تفاخر بأكثر من جامعة واحدة فيها ومدينة المعز لدين الله الهاطمى تفاخر الآن كل هاتيك المدن الجامعية، بثلاث جامعات كبرى . أهلة بآلاف الطلاب من الشباب المصرى الناهض، وشباب البلاد العربية الشقيقة . وهذه الجامعات الثلاث هى الجامعة الأزهرية القديمة العظيمة، والجامعة المصرية الحديثة الناهضة، والجامعة الأميركية النيدة المحسنة؛ ففيها جميعها تسو اللغة

(١) محاضرات ألهها الدكتور على العناني بالجامعة الأميركية بالقاهرة

العربية وتقوى ، وتعظم الحياة العقلية المصرية وترقى ؛ وفيها يتعلم الشاب المصرى ويتنفس ، وإليها يسمى رواد المعارف من جميع الأقطار العربية . ويختلف هواة العلم والأدب والتهذيب إلى حبر الدراسة . ويوم قاعات محاضراتها جماهير المصريين النابهين .

ومن الواضح أيها السادة ! أنه بمقدار قوة الحركة العقلية في بلادنا ، والانتاج الفكرى فيها . وإقبال الجماهير على دور العلم ومعاهد الثقافة العامة ، تكون الصورة الكلى للحياة العقلية عندنا من جهة التكوين ومن حيث المقدار - فى درجة النهوض وحضر اتمكم الآن باجتماعكم فى هذه الندوة العلمية تمنحون حياتنا العقلية فى مصر صورة راقية تفخر بها ، ولهذا فاني أكرر الأعراب عن اغتباطى آملا أن تصير مصر فى مدى قصير إلى اجتياز دور التقليد العلمى ، وأن تدخل قريبا فى دور الاحراق العقلى الخاص . مع أولئك المتتبعين لمعارف القرن العشرين ومدنية الوقت الحديث .

عظمة مصر الخالدة

إذا طمحت مصر إلى ذلك معاشر المصريين ! فانما تطمح إلى مجدها التالذ الذى سقت به جميع أمم المعمورة وأمدتها منه فى غضون آلاف السنين ، وأيضا إنما تسمح إلى مجد أثيل لا يفاخر به المصرى الناس فى مواطن التفاحر المألوفة فى هذه الحياة الدنيا فحسب ، بل يفاخر به أيضا فى مواطن الانتقال من فضاء الوداد السعيد ، إلى رحاب السلام فى دار الخلد والملك الذى ليس له نفاذ .

إن المصرى ليفخر بمجد بلاده فى هذا الوطن . وقد فعل وخلد كلماته ، وإنه لفاعل ذلك أبدا ، وإنه لخلد على الدوام فى ذلك آيات الفخار (١) !

موضوع الحديث

أيها السادة الأفاضل ! نريد كما قلنا فى صدر هذا الحديث أن نتحدث عن ديكرت وفلسفة ديكرت . وإذا نحن حاولنا الحديث فى هذا الفيلسوف العظيم وفى حكمته السامية ، فأنما نقصد إلى عرض إجمال مختار فى التعرف بحياته ، وشخصيته .

(١) ادكر كلمات الشهيد عبد الحكم الجراحى حين أسلم الروح

وأساس مذهبه . وأثره العظيم في تاريخ الفلسفة الحديثة ، وقيمه في تاريخ الفلسفة
الفلسفية في العموم . وإنا سنحاول أن يكون هذا الأجل في كل ما تقدم ذكره
عن الصورة الكلية لشخصية ديكارت وفلسفته ، تلك الصورة التي سبقت في
إبرازها وتكوينها عشرات المحاضرات

العقل الإنساني

وإذا نحن تحدثنا عن ديكارت وعن فلسفة ديكارت ، فمما نتحدث في
الواقع وفي العموم عن العقل الإنساني ومعارف الإنسان . لذلك نذكر
أن نقف هنيهة نسجل فيها ما لهذا العقل من كنه ، وما له من قيمة ومقدار
وصف الحكماء قديما العقل الإنساني بأوصاف كاشفة مشيرة إلى كنهه ، ومعبر
عن قيمته ومكانته . وقد تدرجوا في ذلك من درجة متواضعة ، إلى درجة عالية
وسموا إلى درجة ثالثة هي اسمي مرحلة وضع فيها هؤلاء الحكماء عقل الإنسان .
فقد قالوا : العقل زينة الإنسان . ولا يعنون بذلك الاتزان والوفاء فقط . بل
يريدون أيضا المعارف الإنسانية التي تتفاوت في الناس وأقدارها تتعدى في
القيمة والمقدار . وهذا الوصف على ما فيه من حقيقة وروعة جلال ، فإنه مراعى
بالنسبة إلى ما نعت به كثير من الحكماء في قولهم : الإنسان تاج الحقيقة ، أي
أكمل كائنات الوجود العام وأسماها بالنسبة إلى ما أودع فيه من العقل وقوى
الأدراك . وهذا النعت وإن سماه بالعقل الإنساني إلى أسمى غاية في الوجود
أيضا متواضع بالنسبة إلى ما قالوه حاكمين على الإنسان بأنه بعقله . هو ليكون
العام مصغرا ، أو الكون العام هو الإنسان مكبرا .

هنا وبهذا الحكم ندع بأن القوة العاقلة الإنسانية قد انشت في جميع كائنات
الوجود واتحدت معها ، فالعقل الإنساني هو الوجود العام . وهذا الوجود العام
هو نفس عقل الإنسان .

ولاشك أن هذا أسمى ما وصل إليه الحكماء في تقدير العقل الإنساني
وتكييف مكانته والأشارة إلى كنهه وحقيقته .

وعندنا . ونحن على حق ثابت ، أن العقل الإنساني جدير أيضا بأن يوضع

ولما تب الثلاث الآتية ، في مقالة المراتب الثلاث المتقدمة ، اذ من الواضح
لخى أن العقل البشرى ، وهو زينة الانسان ، هو أيضا وبالفعل ، زينة
الوجود العام .

نعم العقل الانسانى زينة الوجود العام ، لانه لولاه ما أدرك كائن ما وجودا
ولا عرف زينة ولا فهم ابداعا ولا ملح شيئا عما فى الوجود من انسجام ونظام .
ولا شك أن كل ما فى الوجود العام من جمال وزينة وإبداع ونظام وانسجام
لا يصهر له إلا فى عقل الإنسان ، فهو جمال الكون ، وهو زينته ، وهو كل ما فيه
من إبداع وانسجام ونظام

والانسان مع أنه « تاج الخليفة » بعقله ، هو بذلك أيضا « مرآة الوجود »
لأنه لا يبرز إلا فيها « ونور الوجود » الذى لا يظهر إلا فيه

والعقل الانسانى أخيراً مع أنه « الكون العام مصغرا » وأنه بذلك ذات
لوجود ، فهو « مدد الحقيقة المقدسة الخالدة » أو « فيض العقل الأول » وكائنات
لوجود أكمله هى فيض العقل الانسانى الفاضل عن العقل الأول مبدأ الوجود .
وبخلاصة كل ذلك أن « العقل الانسانى هو زينة الوجود العام ومرآته
ووهو فيض الحقيقة » وعنه فاض الوجود كله « فليس فى الكون العام
سوى من العقل الانسانى إلا الوجود المطلق أو مبدأ الوجود .

أنواع الانتاج العقلى

لهذا العقل الانسانى إنتاج متعدد الجهات والأنواع بتعدد نواحي الوجود
العام . تنوع ظواهره العديدة عن الحصر . ولكن من السهل على الملم بتاريخ
حرك العقلية الانسانية من بدء نشأتها حتى الآن ، أن يحصر أنواع الانتاج الفكرى
الاساسى فى أربعة أنواع شاملة أو دوائر عامة ، هى دائرة الدين ، والدائرة الفلسفية
لمتفرعة عنها ، ودائرة الأدب الناشئة عن الدين أيضا ، ودائرة العلوم المتكوفة فى
الدين من البحوث الفلسفية والآراء الأدبية قبل أن تأخذ طريقها الحصر
والكل نوع من الأنواع الأربعة المتقدمة موضوع خاص به . وطريقته فى
البحث التى لا يتعداها إلى غيرها .

وموضوع الفلسفة هو الكون العام . وطريقة البحث الفلسفي فيه إلى ترجع إلى العقل الحر والنظر المستقل دون ارتكاز على وحي أو خيال .
ولقد نظرت الفلسفة منذ نشأتها عند قدماء المصريين وعند الفرس والهنود والصينيين بعد ذلك حتى القرن السادس قبل الميلاد - إلى الكون العام شرحه الحقيقة فيه وموصحة ظواهره الطبيعية بطريقتها الخاصة بها ، إلا أن أغلب ما أنتجته هذه الفلسفة في تلك الغضون كان متفقاً في العموم مع مبادئ الدين وشارحاً لأحكامه اللاهوتية ؛ ولذلك كانت الفلسفة عند هذه الأمم الشرفية القديمة دينية في اتجاهها العام .

ومنذ ابتداء القرن السادس قبل الميلاد سارت الفلسفة في طريقها الخاص بها عند اليونان ، تشرح الوجود الكلي غير ملتقية مع ما يقوله الدين ، ولما عادت في آخر عهدها اليوناني إلى سيرتها الأولى ، فصارت عمدة للمسيحية ومؤيدة لها وخادمة إياها في هياكلها ، ولقد كان شأنها مع الاسلام كذلك عند الأمم العربية ، حتى عادت إلى أوروبا ابتداء من القرن الثالث عشر بعد الميلاد .

هنا مرت الفلسفة بعهد الرينيسانس أو إحياء العلوم الاغريقية القديمة التي كانت ضمن الدائرة الفلسفية ، ولقد ابتدأت هذه العلوم تأخذ اسفوها وتعمل في مواضيعها الخاصة بطرق البحث التي اختارتها متناسبة مع طبيعتها . وقد اجتاز البحث العلمي التحرير من سلطان الكنيسة واتصر في دور الإصلاح الديني ثم ألقى على الفلسفة نورا من بحوثه التجريبية قد غير وجه نظر الفلاسفة تقريباً ، فاصطدمت الحقائق العلمية مع بعض النظريات القديمة ، وأخضعت النتائج التجريبية الملبوسة لسلطانها النظر الجامع فيما وراء السجعة وفي الغيب وأسرار الوجود .

في غضون هذا المعترك الفكري بين الفلسفة والعلم ظهر ديكرات الفيلسوف العظيم جد الفلسفة الحديثة . وقد عمد إلى حل هذه المشكلة الفكرية التي حللها بأنها أن تناول الحقائق العلمية ، وأهمل النظر الفلسفي القديم مشيداً بملكه من جديد على أساس من الحقائق العلمية ، متدرجاً في طريقته من الشك إلى تقرير الواقع بحكم النتائج العلمية والجلاء والوضوح .

ديكرت

ولد ديكرت في ٣١ مارس سنة ١٥٩٦ في مدينة لاهاي
 أتم دروسه في الكلية اليسوعية في لافلاش ثم ذهب إلى باريس في سنة
 ١٦١٣ لدرس بها العلوم الرياضية والحقوق ، وفي سنة ١٦١٦ نال إجازة الحقوق
 وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة
 نظم بعد ذلك في سلك الجندية فتمكن بذلك من رؤية أما كن كثيرة
 وفي هذه المدة كون أسلوبه المنطقي .

بعد أن خدم في الجندية أربع سنوات تركها وعاد إلى الاشتغال بالعلم
 وعصمه ، وقد كان اختط لنفسه خطة لا يتعداها في طلب المعرفة ، وهي البحث عنها
 في عدة وفي كتاب العالم . ولذلك سافر كثيرا وشاهد كثيرا .

في ديكرت إلى سنة ١٦٢٩ لا يصل إلى رأى قاطع في اختيار مهنة له ، ومن هذا
 التاريخ عقد البية على أن يشغل طوال حياته بالتهذيب العقلي والبحث بقدر
 لا يمكن عن الحقيقة . فمال إلى العزلة . واختار هولاندا دار مقام له ، ليتسنى له ما يريد
 من الحرية والعزلة . وبعد عشرين عاما دعتة . كرستيانة ، ملكة السويد إلى
 لاهاي فشحخص إلى استوكهلم . وقد عاجلته المنية بها بعد مرور عام من وصوله
 إليها في شهر فبراير سنة ١٦٥٠ وقد بلغ عمره أربعة وخمسين عاما

مؤلفاته

أسلوب أو الطريقة ، أبحاث في الفلسفة الأولى ، المبادئ الفلسفية ،
 شرح الفلسفة ، العالم والإنسان ، ورسائل أخرى ، ومصنفات في الرياضيات والطبيعة
 وفلسفة ديكرت تنحصر في المواضيع الآتية :

(١) طريقة التفكير (٢) طرق المعرفة (٣) الطبيعة (٤) الإنسان
 يترك ديكرت المؤسس الأول للفلسفة الحديثة كما كان تاليس للفلسفة
 القديمة ، لأنه رفض كل مبادئ التفكير المعروفة إلى عهده ، وكون له دعامة جديدة
 منه . اليقين الشخصي ، وجعل للحقيقة مقياسا خاصا هو الجلاء والوضوح ،
 وسنح الأحكام الطبيعية المبنية على العلوم الرياضية والميكانيكية في النظر الفلسفي

طريقة ديكرت أو أسلوبه

١ - حدود الشك . قال ديكرت : جميع الأشياء التي تظهر له عاده ، نظر الحق توجد أسباب تدعو إلى الشك فيها ، فالحواس تخطف كثيرا والعقل قد يضل ، وإذا كان ذلك كذلك فلا بد للإنسان من أن يقف موقف المراتب . ولكن ليس للاستمرار عند الشك كما هو مذهب المتشككة ، بل للتعلم على هذا الشك وإزالته نهائيا . ثم قال :

وإذا كنت أشك في كل شيء فاني لا أشك في أني أشك وفي أن شك تفكير وفي أني أفكر .

وإذا كنت غير موجود فلا يمكنني أن أفكر ، وحيث إنني أفكر فأنا موجود . فمع الشك في كل شيء . وبالشك في كل شيء بقيت حقيقة لا مرد لها وهي : أنا أفكر ، فأنا موجود .

هذه الجملة هي أساس كل فلسفة ديكرت . كالنقطة في أنها أساس كل صرح هندسي عند أرشميدس (٢) مقياس الحقيقة .

استنتج ديكرت من هذه الجملة مقياس الحقيقة بأن قال : إنني لا أشك في معنى هذه الجملة ، فهي واضحة جلية ، لأنني تيقنت أني أفكر . ويرى من ذلك ضرورة أني موجود . وينتج من هذا أن كل شيء يظهر لي بوصوح وجلاء من : صوح وجلاء هذه الجملة ، يكون حقا ، أني أن مقياس الحقيقة هو الوصوح والجلاء (٣) وبناء على هذا المقياس يمكن أن نص إلى معرفة أيتنا ، وإلى معرفة كنه الرب ، وإلى معرفة الكون العام .

(١) أما أعرف أن الآنية المدركة هي عنصر غير مادي ، وأن كنه في الفكر ، فهي النفس : ومعرفتها أسهل وأقرب من معرفة غيرها من الأشياء . لأنني تدرك من التفكير مباشرة .

(ب) وإذا رجعت إلى نفسي مفكرا فاني أجد في نفسي عدة تصورات من ضمنها المثل الأعلى للكائن الأبدي التام . ذلك المثل الذي أسميه الرب ، فالرب موجود .

أنا موجود، وليس وجودى نفسى، فأنا غير كامل، فأذن الكامل هو الذى
أوجدنى، فهو موجود، والكامل هو الرب، فالرب موجود
(ج) إن الرب موجود، وهو حقيقة لا شك فيها، وهو الكمال المطلق،
فهو صادق، وبصدقه تعرف الأشياء
إلى هنا ارتفع الشك تماما، وحل محلّه اليقين فى الشخص، والاله، والكون العام
المعرفة

الإدراك من طريق الخواص لا يوجد فى الانسان تصورا عقليا واجب الصديق
لأن الخواص تدرك المواد مع ما فيها من نسب، ومع ما لها من نفع أو ضرر لنا
لا مع حقائقها المجردة
ومنتجا التصور العقلى إنما هو الصور والفكر الطبيعى، مثل فكرة الأنية،
وفكرة الرب، وفكرة الوجود، وفكرة العنصر، ومثل فكر العلة والمعلول
والعلة والسببية. ومعنى الفكر الطبيعية عند ديكارت هى المعانى الواصلة من
الرب، إلى النفس
فالمعرفة العقلية لا بد لها من الفكر الطبيعية، وإدراك الأشياء المادية ضرورى
للمعرفة ضرورة السبب فى وجود مسييه

الطبيعة والانسان

ابتدأ ديكارت فى معرفة الطبيعة والانسان من نقطة الجوهر الذى عرفه
الموجود الذى لا يحتاج فى وجوده إلى موجود آخر، وبناء على هذا التعريف
فلا يوجد سوى جوهر واحد، وهو الرب، أما المخلوقات فأم جواهر نسبية فقط
لاستعانة الواحد منها عن الآخر مع احتياجها فى وجودها إلى قدرة الخالق
وهذه الجواهر النسبية لا تعرف بدون واسطة، بل بواسطة أعراضها، وكل
جوهر له عرض أصلى واحد فقط يعين وجوده، وما عداه من الأعراض
فمميزات للنوع.

فاذا أراد الانسان معرفة جوهر بحث عن عرضه الأصلى المحدد لكنه وجوده
والجواهر كلها ترجع إلى روحية ومادية، وعرض الجوهر العقلى التفكير،
والجوهر المادى الامتداد

إذا رفعت أى عرض من الأعراض الثانوية عن الجوهر المادى ، فإن الجوهر لم يعدم وجوده ، أما إذا رفعت عنه عرض الامتداد بطل وجوده
الاجسام تنجزاً إلى ما لا نهاية . وقبل حدوثها كانت عبارة عن ذرات منحها الرب مقداراً من الحركة حفظت فيها بدون زيادة وبدون نقصان ، وبواسطة الحركة اتصلت بعض هذه الذرات ببعض الآخر ، فتكونت عن هذا الاتصال الاجسام الفلكية المتحركة حول نفسها ، لدوام اتصال ذاتها

الجسم والنفس

أوجد ديكارت بين الجسم والنفس حداً فاصلاً ، وكون الانسان منهما ، أما الجسم الانسانى فهو كاجسام الحيوانات فى أنها لا تدرك ولا تشعر ، وحياة الجسم (أى حركته) ناشئة عن حرارة الحياة الموجودة فى القلب ، وبواسطة هذه الحرارة تتكون القوة الغذائية والنمو . وبواسطة أيضا تكون الحياة الروحية التى هى عبارة عن مادة سائلة تصعد إلى المخ ثم تفيض ثانية إلى الأعصاب فى هذه الآلة الحية تسكن النفس متخذة مقرها فى الغدة الصنوبرية الكائنة فى وسط الدماغ للجسم

للجسم مظاهر الحيوية التى ترجع إلى حرارة الحياة بدون تأثير للنفس فيها ، غير أنها تدرك تطور هذه الحرارة وتؤثر على الجسم بتغير حركته بدون خلق حركة جديدة فيه

أرجع ديكارت الشهوات الانسانية إلى العلاقة التى بين النفس والجسم . وهذه الشهوات ترجع إلى الست الآتية :

الحب ، والكراهة ، والسرور ، والحزن ، والاستحسان . والرغبة ؛ وآراء الانسان المستمدة من العقل يجب أن يتغلب على هذه الشهوة ليكون حراً والخلاصة أن ديكارت لم يكن شاكاً للشك ، ولم يكن مذهبه مذهب شك وجحود . وإنما كان جازماً بصدق القضايا العلمية والأحكام الثابتة فى الميكانيكا والرياضيات ، واتخذها أساساً فى بحثه الفلسفى ، وكان مذهبه مذهب يقين .
جمع بين العلم والفلسفة والدين .

بومبي العظيم ^(١) Pompey The Great

تأليف جَن مَسْفيلد John Masefield

ترجمة محمد علي مصطفى

المعنى بوزارة المعارف

٢

الفصل الثاني — المنظر الأول

خيمة القواد وأردان الحرب عند درازو، وفيها متصد
حوله بضعة كراسي يجلس عليها دوميتيس ولينتوس
وثيوفانيس. آثار الحرب ظاهرة في كل شيء.

دوميتيس: هكذا تمر الحوادث، وتتقلب الأيام، انظروا إلى الخريطة، تروا
أن مركزنا خرج للغاية، فلقد خسرنا أسبانيا، وحاصرتنا قيصر من كل
جهة حتى كأننا قطعان غنم سيقت إلى حظائرهما. أليس لبومبي حساسة
وحية؟ أو اعتراه السكر حتى لا يفكر؟

ثيوفانيس: إن فلاكس، يزحف على خط قيصر في هذا الصباح، وسيحمل عليه
حملة ناجحة، ويغير على جنده في ثلاث نقط منصوراً إن شاء الله!

دوميتيس: فلاكس، صبي لم تؤدبه التجارب، ولم تطل خبرته بالحرب، ولقد
أضعنا حولاً كاملاً ونصف العاهلية.

(هنا يدخل بومبي مسرعاً فيحيونه)

بومبي: عموا صباحاً، لقد دعوتكم لأمر جليل فان جيشنا الذي كان بأسبانيا تحت

(١) راجع ما نشر من هذه الرواية في العدد الثاني من السنة الثانية من صحيفة دار

قيادة ، فلا كس ، قد هزمه العدو شر هزيمة ومرفقه إرباً ، ولقد كانت رسائل ، فلا كس ، تبث فينا الأمل في الانتصار والفوز المين . ولكن الحظ لم يشأ أن يتم لنا ذلك ، ونحن أعلم بالحرب وتقيا ، وعلينا أن نعلمه ونختار للقيادة غيره فلسنا بالتجار

دوميتيس : لقد نزلنا عن إيطاليا ، وأضعنا أسبانيا ، واحتل العدو إفريقية ، وأخذ ميسيليا ، ونقهقرت حدودنا في كل مكان . ولقد يخفى لنا أن تتسبب في أسباب الهزيمة ، فإنا لم نأت إلى هنا ليحاصرنا جيش فيل العدد والعدد .
يومي : رحمك الله ياسلا : فلقد نصقت بالحكمة حين قلت : « إن علي أن أجيب عن الجنود بملاطفة الأفراد والكلام معهم في الفية بعد الفية ، وليس في مقدوري أن أجيب القواد في أفكارى مهما أطنت وأسهب في ذكر الحجج » . انتظروا فستعلمون نبأه بعد حين

لينتولس : يومي ، أنا لا أحب الانتقاد . ولكن الانتظار مدعة إلى الفشل . ومحنة للخراب العاجل ، ولقد فر من حولنا حنفؤنا . وهامى قى رومه تحرج من أيدينا رومه التي تنظر إليك بعين ملوّه الأمل والرحمة ، في الفية . على هذه الفتنة الشعواء ، ولكيك تركتها تشتعل ويتأجج لها . وبعد رأيت أتباعا يقتلون ويقطعون . ومع هذا لم تحرك ساكنا . وبسببه الأمل !

يومي : مهلا .

دوميتيس : لقد انتظرنا حولا كاملا .

يومي : وماذا عليكم لو صبرتم برهة أخرى ؟

لينتولس : وبينما نحن في انتظار ، إذ يتغل الرعاع على طبقة الأعداء في جميع شع العالم ، حتى لا يتركوا لها من أثر (يقف)

يومي : لينتولس ، اجلس ولا تعجل ، فإن الحرب في يدي .

دوميتيس : إنما يفوز بالحرب الجسور (يدفع الباب الصغير حذرا) ألا ترى في ثم الجبال بجانب هايتك الأدغال في تلك البقعة الخمر الملتهبة ؟ هذا هو معسكر

فيصر . وأقسم لقد ذهبت إليه مرارا وقد أقبل الظلام . وأرحى الليل سدوله . فكنت ألتبس الطريق بين المتالع والربى . أحيانا بين الصخور وآونة فوقها ، والأبحم الزهر ترشدنى . حتى إنك لتجدنا على بنية تامة من ذلك المعسكر . وليس ندعا إذا أخبرتك بأن فى استطاعتى أن أفود جيشا إليه معصوب العينين .

هذه « خريضة » (يفتح « خريضة ») هذه البقط الخراء هي مواقع الحرس . ولم أضع واحدة منها فى موضعها إلا بعد أن خاطرت بدم قلبي ، وكثيرا ما كنت أزحف على يدي ، والتصق بالأرض ، وأكتم أنفاسي ، وأرجو القمر أن يتوارى بالحجاب . مخافة أن يراى أحد من رجال الحرس الذين سمعته يخوضون فى أحاديث الشوق والغرام . وفصص المحبين ، وأشهد لقد رأيت الضابط ذات ليلة يطوف على رجاله . ويتعهد معسكره ومعه مصباح ، فغمضت عيني خشية أن ينما على .

إن فى مقدرك الاستيلاء على ذلك المعسكر بفرقتين فحسب فى ليلة حالكة الجلباب غداية الإيهاب . لقد قسمت هذه الحرب الشعواء العالم قسمين . لك أرسلت « فلا كس » فى عدد من أشداء الرجال لأمر هين ومع هذا لم يتم له ما أراد ، هل لذلك من مبرر ؟ أخبرنى أولا ثم مرنى بالانتظار

يومى : فلا كس ، فى الموقعة الفاصلة فى هذه الحرب

ليثولس : هذا لغو الكلام (يقف ثم يذهب)

دوميسيس : الفاصلة ؟ ألا أخبرك بالموقعة الفاصلة ؟ لقد كنت فى واحدة منذ ثلاثة أشهر فى مييا . وعند نهاية الحصار لم يبق من المدينة إلا أطلال بالية ، وباد السكان عن آخرهم ، إلا نفرا أصابهم الوباء . ورحالا لا يتجاوزون الأصابع عددا استولى عليهم الجنون من هول الفرع .

قدفنا القلاع بالنيران . والدبابات بالحجارة . ولكن لم يثن الجنود عن تخريب المدينة وتدميرها ، فكنت ترى جيوشا جراحة كأنها قطع الليل

يكل دون غايتها الطرف ، تنافس في سبيل الغارة ؛ هذه هي الموقعة
الفاصلة .

يومي : دوميتيس ، حينما يفكر الانسان في شيء خاص ، وتشتد رغبته في
الحصول عليه ، تغره الأمان الكاذبة ، وتستولى عليه الوسوس ، ويصير
شيطانا رجيا لاشفقة عنده ولا رحمة ، المأخض من الشيطان ، لأنك
إن لم تجد أعداء تحاربهم ناجزت أصدقاك العداوة . فان لم يتيسر ذلك
أعلنت الحرب على نفسك ، فاذا هزمتها حاربت الأفكار ، لأنك
نفهمها ، بل لأنك مجبول على حب القتل ، إني أحافك يادوميتيس لأن
أصدقاء الرجل هم الذين يفهمون أفكاره وينشرونها بين الناس ، وأنت
صديق قيصر

دوميتيس : (بهيج) لقد قتلت أخى أيام كنت في ريعان الشباب ، وزهرة العمر .
وأقسمت لأخذن بثأره وأمزقن قلبك تمزيقا . ألا تذكر يوم تمزقت
الغدا معاً حينما وضعت يدي على كتفك ؛ ولكن أنى لك أن تذكر
ذلك وقد مضى عليه نحو عشرين سنة ، لقد كان يدي الأخرى سكين
حاد استطاع أن أطعنك به طعنة بجلاء تصل إلى سويداء قلبك . ولكني
آثرتك على أخى حينما علمت أنك أصدق منه ووطنية وأكثر إخلاصاً
لبلائك ، وأنت البطل الذي تحتاج اليه روما (سكوت) (بشدة) لك
تحالف ضميرك اذا دعوتني صديق قيصر . مع عليك بأنه يخنى
بأسى وترتعد فرائصه عند ذكرى .

يومي : نعم أنك صديق قيصر ، فضربات قلبك واحدة ، ولست تحقد علي إلا
لأنى لا أسفك الدماء . ولا ألتخ يدي بها كما يفعل قيصر . وبينت
تقيم منى إذ يصلى فلا كس الأعداء ناراً حامية ، فلا تفكر في أمرا حرب
فقد انتهت

(القواد يجتمعون في جانب الخيمة ويتكلمون ناحية برهة)
يجب علينا أن توجه كل عنايتنا إلى رومة ، وأن ندود عنها بكل ما فيها من

قوة . هذه هي الثورة السابعة للعامة منذ صاى . سبع ثورات عامة يراد بها الانقلاب ؟ ألا يعلمكم ذلك شيئا ؟ لقد قدمت إلى قبصر إيطالية مفككة الأوصال . وأسبايا مملوءة بالاضطراب عديمة النفع . فقبلهما . ورميت اليه نصف الكرة الأرضية فأحذه . وساقه طمعه إلى الشرك الذى نصبته له . إن الخيرات كثيرة عندنا . ولدينا أساطيلنا تحمى البحار . وتسيطر على الأمواج . أما قيصر فإن خناده مملوءة بالوحل . وجنوده تأكل من جذور النبات . هل تسمى ذلك حصارا ؟ إنه احتفر خندقا طوله ثلاثون ميلا . ومع هذا رجله لا يستطيعون الذود عن ثلثه . فقد استولى عليهم التعب . ونال منهم الجوع . فهو وجنده طوع أمرى ورهن أشارتى . فليس يقدر على مجازتنا . ولا الغارة علينا . ولا على أن يرتد إلى رومة . وإن طعنه صغيرة فى قلب جيشه تسوقه إلى الهزيمة والفناء العاجل .

(يدخل البريد يحمل رسالة ثم يقدمها إلى بومي)

البريد : من تنس بلشيو

بومي : حسن

البريد : أهناك أوامر يامولاي ؟

بومي : لا ، ووصلت

(يخرج البريد حيا)

ثيوفانيس : أمهمة هذه الرسالة ؟

بومي : اقرأها .

ثيوفانيس : (يقرأ) من بلشيو ضابط الكتيبة الخامسة . الى مركز القيادة العام . إن الغارة التى دبرها فلاكس لم تنجح . فقد ردنا العدو على أعقابنا . بعد أن خسرنا خسارة فادحة فى الأنفس والأموال . وتقهقرت البقية الباقية إلى الخطوط القديمة فى جنوب النهر . ولا يزال القتال دائرا بين الطرفين .

أنا زاحف بمن معي من الجند . لأن العدو في غاية القوة والمنعة ، ومركبا
يدعو الى اليأس

دوميتيس : هؤلاء الشبان الأغرار يتحدثون الى درس . كيف تبرز الآن عملك
يا پومي ؟

پومي : انتظر

دوميتيس : كيف ذلك وجناحنا الايمن يطوى طياً ؟

پومي : ان فيصر ليحتاج الى يومين ليحضر فيهما عددا من الجند يسحق بهم
الجناح الايمن

دوميتيس : حقا يجب عليك ان تكسر العدو

پومي : ستأكل هذه القوة نفسها ، اذ ليس في استطاعة فيصر أن يزيد فيها ، لا
أن يعوصها : إن احارب ورومة ملء فلي . ولن أرجع اليها فوق حبل

الموق وأصلا بهم كما فعل سلا

دوميتيس : انك ستسير على جثث هؤلاء الأسرى الذين أخذتهم ليلة أمس : -
قتلتهم

پومي : كيف قتلت هؤلاء الأسرى ؟

دوميتيس : إياهم خرجوا علينا ، فهم عصاة خونة فروا من جندنا

پومي : لا بد أن يحاكم الخائنون وتثبت خيانتهم

دوميتيس : لقد فروا من فرقتي وليس لهم جزاء غير القتل .

پومي : لا تتكلم . إنك تجر علينا العار ، وتجلب لنا الفضيحة (سكوت . مير
في الصوت)

قد يكون لنا النصر أو سبة الأبد ، وسواء أكتب لنا الفوز أم لم يكتب

إن جنودنا ستحارب بشرف ونفوس أسيّة ، لأنهم يجاهدون في سبيل

الوطن ويذودون عن الحق .

(يدخل ضابط كبير اسمه كوتا أعياه السفر وبانت عليه أمارات الحرب)

كوتا : أنعى إليك يا مولاي القائد ، فلا كس ،

يومى : هل قتل ؟

كوتا : نعم يا مولاي .

دوسيس : هذا ما يحصل فى المعارك الصغيرة ، يقتل فيها العظيم من الرجال ، ومع هذا لا نتيجة لها .

ك : : لقد ردنا الأعداء على أعقابنا ولم يفلح هجومنا .

يومى : كيف كان ذلك ؟

ك : : تسورن الجدران ، وأخذنا معاقهم ، وأضرمنا النيران فى بعض قلاعهم . ولكنهم أحاطوا بنا من كل مكان ، وطلعت علينا كتيبتان حتى طنا أن لا ملجأ من الموت ولا مفر منه .

يومى : وماذا جرى لقائكم ؟

كوتا : : قتل فى حومة الوعى يا مولاي . لأنهم ساقونا سوق الأنعام . وردونا إلى المعادل ، وكانت نيرانها تاجج ، وطمسها يستعر ، فعمت المصيبة . واشتد الأمر ، وأبلى القائد بلا حسنا . فلقد رأيت مع بعض رجاله وقد انقضت عليهم كتبة من الفرسان ، فقالوا منهم بالظعن والضرب .

قربت منه وحاولت نجاته . ولم يمنعنى سوى انفجار النيران ، وتراكم الدخان ، وكثرة العدد . أقبل العدو بخيله ورجله ، ورأيت رجالى يقتلون ويصلبون ، وتعى جماعة من حملة الرماح ، فمذفوا إلى خلف السور : وعند ذاك رأيت جسم القائد ملتبها بهوى فى الفضاء إلى مكان النيران : ولم يبق فىنا من قوة نكرها على الأعداء . لأنهم مزقونا شرمزق ، تشنت الجنود فى السهول كالوعول ، وقتلوا منا ثمانمائة محارب .

ليتولس : هذه هزيمة شنيعة .

دوسيس : واصيغته ! أرواح بريته أزهقت ، ودماء طاهرة أريقت .

يومى : ماذا حصل بعد ؟

ساقونا إلى الخنادق القديمة بجانب النهر ، ثم إلى حفرة خلف السور

الخارجي (سكوت) هناك اشتد الزحام، وضائق بنا المكان، فكنا كمنعطف
الغنم سيقت إلى المذامح، ثم اجتمعوا علينا من كل ناحية، وتسلفوا السور
زرافات زرافات، وقذفونا بالأحجار، ورشقونا بالنبال، وأحاط بنا الموت
من كل جانب، وتراكت جثث القتلى، وتفرقت أصلاهم، وتشتد
الفرع، وكاد الجزع يستولى على قلوب رجالنا، ولقد زعمت منهم
سيفرون من وجه العدو ويولون الأدبار.

وجدت ثلة في الحائط فتسلقتها، ونظرت فرأيت كتية من مرس
قيصر ملأت السهل والوعر. تستحث الخنود وتردد صيحات دوما
زئير الأسود، وقد برقت أسنهم، ولعلت المعاول، أعملوها في حائط
أمامهم فتناثرت، وعلا العار، وأظلم الجو، وقصد فريق الباب ثم لوا
تخطيطه، واستحضروا شجرة كبيرة، وما زالوا يضربونها حتى صار
منه بعض قطع، ولكن كان وراءه ضابط يحميه ويزيد في تحصنه،
ولما استعصى على الغالبين كسره، تسوروا الحائط وهم يتعوبون بأشياء حار،
ورشقوا ذلك الضابط بالسهم، ولكنها لم تصبه، ووقعت حوله حتى
تطايرت الحجارة في وجهه، ولم يكن مع ذلك الضابط سوى جندي واحد
يؤازره ويعاونه على عمله، وكلما ضرب الأعداء الباب بالشجرة، تخمس
هذان وصاحا صيحة سرور؛ أيوهما أنهما في عدد كثير، ومازالا كذلك
حتى كتب لهما الفوز.

فان جنودنا لما لم يكن لهم إلا الموت أو التسليم للعدو، تسلموا بحرفهم
عار الأند، استسلوا في القتال، واستماتوا في الدفاع عن مر، كرم
وبلادهم ودمائهم، وملأت الشجاعة قلوبهم، وآثروا الموت مع الكرامة،
وحلوا على الأعداء حملة رجل واحد، ففعلوا الحرب قدما مكائهم،
فدارت رحاها، وحى وطيسها، واستعراظاها؛ وفي تلك الساعة عصيه
سمعنا المزامير والغناء، وأنت لنصرتنا الفرقة الخامسة على أكن نظام،
وأتم تعبئة، فكنت ترى جيشا كأنه بنيان مرصوص، يموج بهرحب

الفصاء ، فزاد حماسنا ، وانتقدت الحمية في قلوبنا . وصدقنا الحملة على رجال
قيصر ، فسقناهم سوق الأنعام . وضر بناهم ضرب غرائب الابل ، وأحطنا
بهم في خندق هناك ، وأعملنا فيهم الرماح ، وأشرعنا نحوهم الأسنة ،
ورويانا السيوف من دماهم

فراحوا : فريق في الإيسار . ومثله قتيل ، ومثل لاذ بالسهل هاربه
وكتب النصر لنا ، ورفرفت أعلامه على جيوشنا ، ولقد خسر
قيصر ألف قتيل ، واستولى الفرع على بقية جنده . وخلعت قلوبهم من
صدورهم ، وتفرقوا في السهول ، وذهبت قوتهم فلا يقدرّون على لقائنا
أو لقاء غيرنا مرة ثانية .

يومي : حسن جدا (تنفخ الأبواق)

كوتا : إنهم يرسلون الآن جسم القائد مع الاحتفال العسكري يامولاي .

يومي : نعم ، اجمع أسماء القتلى والجرحى من جندك وابعث إلى بها . أرح فرقك
ومر لهم بشراب ، وأخبرهم أني سأحدث إليهم بعد قليل

كوتا : شكراً لك يامولاي .

(يخرج محيياً)

دومينس كوتا ، انتظر لحظة

(يخرج وراءه)

نيو ديس : إني أسمع بوق قيصر فهل يريد منا السلام ؟

لبنواس : لم يطلب الينا الصلح بعد معركة صغيرة كهذه .

يومي : لقد أصابت قلب جيشه ، ولذا تراه يتقدم الينا بطلب الصلح ، فإن أجبه

كان ذلك مدعاة للحرب مرة ثانية . وإن رفضت استمر الخراب والتدمير

وضاع كثير من الأنفس والأموال

نيوفانيس : هل تأذن لمبعوث قيصر بالدخول عليك ؟

(يدخل دومينس)

دوميتيس: لقد تقهر قيصر وتفرق جنوده في كل ناحية. وهروا من الخوف.

وتركوا الأسوار الجنوبية

يومي: ذلك خير درس له. يجب عليه أن يدفع إليهم ثمن النفوس التي ضحوا بها في سبيله، ولكن أنى له ذلك وكل ما في جهده أن يحصدهم مصيبة أوقعهم فيها جنونه؟

تيوفانيس: في وسعه أن يتقهر

يومي: كيف ذلك. وإلى أي مكان يذهب وأساطيل تحمي البحار. وفي قبائل متوحشة، وفي الجنوب حصون تموج بالجند، وأبناها في الحرب مع جيش، وإلى الشرق متيلس مع جيش آخر، فليس هناك من وسيلة لنجاته، فهو مضطر إلى طلب الصلح.

دوميتيس: هل تقابل مبعوث قيصر؟

يومي: نعم. يجب أن يرزف علم السلام على روما إذا سلم قيصر وجهه...

دوميتيس: لا فائدة في تسليمه.

تيوفانيس: يجب القضاء عليه.

ليبتولس: وكيف تدبر شؤون روما وقيصر على قيد الحياة؟

يومي: استمرت الحرب زمنا طويلا حتى سئمتها النفوس، ولم ينجح من كبار القواد في وضع حد لها، ولذا لا أرى من مرر لاتباعهم، ان روما يجب أن تمتع بسلام دائم

دوميتيس: إذا لم تضرب قيصر ضربة قاضية، وتكمل به أشد تنكيل، وتذبح أروانا - فانك خائن لوطنك.

يومي: لقد وصعت لنفسى خطة حرية، ووطئت العزم على اتساعهم الترحيح عنها قيد شعرة، فاذهب إلى مكائك ولا تسمعني سكاتك مرة ثانية

(صوت في الخارج ونفخ أبواق)

الصوت: استعداد سلاح! سلام!

يومى : لبس للحياة قيمة فى ذاتها واما قيمتها بالاعمال
كوتا : (يدخل) الجنة يا مولاي ، وهذا مبعوث قيصر

(هايدخل حاملو الجنة . وتنفخ الأواق احتفاء . هاويحبها الخاضرون .
يدخل ماركس اسيليس مع ضناطين . معصوب العينين يخرج كوتا
والضابطان وحملة الجنة ثم تراح العصابة)

اسيليس : يومى قد أحضرت جثة قائدك

يومى : ماذا تحمل إلينا من الأخبار ؟

سليس : إلى موفد من قبل قيصر

يومى : وماذا يطلب ؟

سليس : يطلب منك أن تضع حداً لهذه الفتن الشعواء . فإن مآل الحرب

الخراب والدمار . إن الآلهة قد أعطتك نصرامتكافئاً . فلكل منكما

الآن نصف المملكة ونصف العالم . وهذه أحسن فرصة لطلب صلح

عادل ، أما إذا ساعد الحظ أحديكما غداً فستأخذ نشوة النصر ويشتط

فى الطالب . ويطمع فى امتلاك العالم كله . حتى لا يبقى للصلح مجال عنده

(سكوت) لهذا يتقدم إليك قيصر بطاب الصالح . ان كان لك فيه رغبة .

وانه لياخذ عهداً أكيدا على نفسه على ملأ من الناس . أن يجرد جيشه

من السلاح ويسرحه . فى مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام . هذا هو اقتراحه

يومى : منذ نحو سنة أصدر السناتو أمره إلى قيصر بأن يجرد جنده ، ولكنه

لم ينفذ ذلك القرار إلى الآن . فهو خارج على الحكومة . ولهذا أرى أنه

لا بد أن يخضع للسناتو وينفذ أمره ويكون تحت رحمته .

سليس : هذه حرب شخصية بينك وبين قيصر .

يومى : كلا فإننى أمثل السناتو .

سليس : إن حزبنا لا يعترف بحزبك . ولا يرى للسناتو عليه أى سلطة شرعية .

يومى : أضغ إلى . لقد حارب قيصر الحكم الجمهورى فلم يفلح . وسأجعل من

شروط المعاهدة أن يعترف بتلك السلطة الجمهورية .

اسيليس : إن قيصر لم ينكر هذه السلطة ، ولا يريد القضاء عليها ، وإن وجودي في هذا المحل ، ومشولي بين يديك لأطلب الصلح إليك ، لاعتراف صريح منه بها ، ولكنه يحارب أولئك الذين أساءوا استعمالها ، وشبهوا وجهها ، وحطوا من كرامتها ، وأزلوها منزلة لا تليق بها .

أستودعك الله . (عند الباب) ستقبل الصلح إذا خضع قيصر .
وركع لك وسجد ، وأتى إليك صاغرا ، هذا حسن - إنه سيفعل ذلك على ملاء من الرومان ، وبمراى منهم ومسمع . وسيكون لهم حق الحكم عليه أولا . إن حقوق رومة - حقوق الوطن المقدس - أولى بالمرعاة من الشرف الشخصي . ألا يكفي ذلك ؟

يومي : أرى أن لا دخل للشعب في هذا الأمر ، وسأعلمهم الخضوع لحكامهم ، وطاعة أولى الأمر منهم . وإن قيصر ليس ينجيه من أسوأ خضوعه للسانه .

اسيليس : أما وقد أبيت الا حربا ، فأنت المسئول بين يدي الأمة عن الأرواح الطاهرة ، والدماء البريئة التي تراق في هذا السيل . (يذهب)

يومي : يكفي أن يأتي قيصر إلى صاغرا أمام الجيش ، وأن يرى شعب منه عملا يدل على الخضوع والاستكانة ، حتى لا يزعموا أنه أرعس على قبول شروطه ، بعد أن أخذ إيطاليا منا عتوة .

اسيليس : هل أخبره أنك ترفض الصلح ، (بصوت متخفص) خوفا من ض العالم بك ، وسوء رأى الناس فيك ؟

يومي : أتستبين بذلك وتعدده قليلا ؟ إنما نحارب لتكون لنا السيادة على الأفكار لتمتلك قلوب الناس وعقولهم . إنى لا أود السيادة ، ولولا أنى أعرف ما يتطوع إليه فيصر لما ناجزته العداوة . إنه يرغب في أن يكون ملكا واسع السلطان ، وأن يحل رأسه بالتاج . حتى لقد انتهى العامة ، واستمال قلوبهم بما نثر عليهم من الدراهم والدنانير

على قدر عقل المرء وبعد نظره ، يكون فوزه ؛ فيحب حينئذ نحسب حساب المستقبل ، حتى لا يقع في الشر . إنى أرى رومة

مطوحة بالدماء . تن تحت مظالم القياصرة بعده . وهى تمد إلى يدا للأخذ
بناصرها . أنا شيخ كبير مارست الحرب وجرتها طول حياى . ففى
متفة للعباد . ذهابة بالطارف والتلاد . وسأقضى عليها قضاء . لا تنفس
بعده أبدا . لقد سمعت الشروط (يضرب الجرس)
(سكوت — يدخل ضابط)

هل تقبلها أو ترفضها ؟ لا تعجل فى العجلة الندامة .

أسس : أرفضها !

يومى : (لضابط) حذ فرقة من الجيش وأغربها على طلائع قيصر . وأضرم
النار فى معاقله .

(يخرج الضابط)

أسس : ليس هناك إذن مجال للصالح ، ولا بد من قطع المفاوضة . فان لنا نفوسا
تأنى الدل . وتفضل الموت مع الكرامة ، فلا تقبل تلك الشروط
المهينة . لقد أديت الواجب ، فهلك أن تصغى إلى نصيحة اختصك بها ؟
يومى : نعم . (للقواد) اتركونا برهة

(يخرج القواد)

احتصر . نغير الكلام ما قل ودل (يحاطب هذه العارة أسيس)

أسس : لقد تروجت والدق منذ زمن بعيد . على الرعم من والدى . لأنك
أردت أن تكون عوناً لك على الانتخاب ، ولكنها ماتت كسيرة القلب
حسرة وندامة . وهى فى فراشك وتحت رعايتك . وأراك الآن تلجأ إلى
شر الوسائل وهم الأشراف ، لاسهم يريدون القضاء على الديموقراطية
باسمك . ليتوسلوا بذلك الى التحكم فى رقاب الناس ودمائهم وأموالهم
زمننا . وحينما يتم لهم ما يريدون وتنتهى الحرب ...

يومى : لا طاقة لى بسماع مثل هذا الكلام (يحاول دق الجرس)

أسس : لا يسعك إلا أن تدخل الإصلاح الذى يحارب قيصر فى سبيله .
إنك تريد أن تشل سلطة الأشراف ولكنك ستجد منهم أشد معارضة .

دوميتيس يكرهك . ميتلس يحذوك . لينولس قدملى ، قلبه غير مأك .
وهم يدبرون طريقة للخلاص منك الآن (سكوت)

تخلص منهم أنت . وباعد بينك وبينهم ، واتخذ قصر حارسا
لك ، وضع حدا لهذه الحرب الضروس .

يومي : وبعد ذلك ؟

أسيليس : تكون رومه أطوع لك من بنائك ،

(يومى يذق الجرس - يدخل القواد)

يومي : ثم ماذا ؟ (سكوت) يخضع حزنك الحربى . (يكتب بعض شئ -)

بلغ هذه لقيصر (يعطيه ما كتب) اسحقوا لهذا الرجن بالمرور .

أسيليس : إني ذاهب الآن وأظن أنى لا أراك مرة ثانية .

(يخرج تيفانيس)

يومي : (يحول وجهه) ماذا تريد ؟

أسيليس : دع الكبير جاببا ألا تعتبر بما ترى حولك من آثار الموت أث

اليوم عظيم . يؤدى إليك الجزية ويحمل لك الإتاوة عدد من موت ،

وربما صرت غدا جسدا هامدا . كهذه الجثة (يشير إلى جثة هامدا)

تلقى عليك الحشرات ، ويأكلك الدود .

يومي : لقد ذكرت الموت وقربه . وقلة أشياعى عليه . ولكى أتمنع الآن . حنة .

ومع هذا ، مرحبا بالمنون . (يدخل كونا والضابط ويوسف وسامون)

لست أعبأ بما يثول إليه أمرى بعد . فربما صرت جيفة . كلها

الطير ، وتناول منها السباع ، ولكن ما دمت حيا أحمل بين حو : مباد

طهرا . فلا بد من الدفاع عنه بكل ما أوتيت من قوة وسلاح .

اصحبوا هذا الرجل حتى يمر آمنا على نفسه .

(كونا والضابط يخرجان الرسول مع صوب العينين - أواق . صرصر .)

(مة ف .)

(يصير القواد إلى يومى وهو يمشى نحو الجثة ليراها) بعد . مباد

مسكين أنت ! فارقت هذه الحياة ، ورحلت إلى عالم آخر . إنك حينما ولدت انتف حولك الساء وقبلك . ورافك في مهدك . وقد ملأ النوم أجفانك ، وسألن الله لك السلامة وطول النعم . حريا على عاداتهن ، ولما تعلمت الكلام مدحك . وابتسمن في وضحك ، وامتلات قلوبهن شفقة ورحمة عليك . وتظاهرن بالسرور حتى لو كان الألم ملأ أفئدتهم . أما الليلة فإني أراك وحيدا لا أيس لك ، ولا سبيل إلى محبتك : لا تسمع صوته . ولا تجيب داعيا . ولا تشعر بهم من هموم هذا العالم . وأسفا لوحدة الموتي ووحشة القبر !

دونيثيس : (يمشي إلى الأمام ثم ينظر إلى الخلف) إن الحزن لا يجدي ، وقد جرى ذلك في علم الله .

يومي : أريد أن أصارحك القول . إني أعترف لك ببعض المفضل فيما فعلت ، لو اتبعت مشورتي لكان خيرا . حقا نقيحة الحرب الخراب . وهذه آثاره بادية ولكن لا راد لما كان . ففكر في رومه . وكيف ترجع إليها ولم تنل النصر المبين ؟

ليتلوس : إنهم يقولون جهارا في رومة : إن قيصر هزمنا شر هزيمة تيوفانيس : وغلبنا في كل موقعة

يومي : ماهذه الضوضاء . (صياح : « النصر » تصفيق . أبواق . نداء : « استعداد » قعقة الرماح .) (يدخل لوسيوس في ملابس مدية)

ليتلوس : لوسيوس !
تيوفانيس : لوسيوس !

(لوسيوس ينظر إليهما ساكنا يحكي الجئة ويتقدم ببطء)

لوسيوس : أحبيك يابومي ، لقد أتيت من رومه

يومي : ما وراءك من الأخبار ؟

لوسيوس : أخبار انتصارك . فإن جيش قيصر تحت قيادة كيوريوس قد هزم هزيمة شنعاء وقتل قائده وردت إلينا أفريقية بعد احتلالها (يأخذ قوس النصر

ويقدمه له بكل احترام) لقد بعثني اليك الرومانيون بهذا الشعار .

يومي : (يتناول قوس النصر ويضعه على رأس القائد فلا كس) منذ زمن بعيد
لعبت معك مرة في كايو بجانب بحيرات السمك الذهبي ، وكانت
أبصارنا غارقة فيه ، برفه في حركاته وسكناته ؛ وفي ذلك اليوم احببت
سألتني أن أمنحك عباة (بضع العباة على الجنة) في ذمة الله ايا
الراحل ، ثم هادئا فلك جميع ما تمنى الآن : إن الكلمة ربما كانت كنهم
لامع في السماء ، أو سيف شديد المضاء ، يظهر لي أن هذا يوم العمر
والنصر على الأعداء ، (ويسمع صوت الأبواق من بعيد مرة ثانية)
تيوفانيس : إن الأبواق تنفخ الآن .

يومي : إنها بنعمة محزنة كأنها نعمة الموت .

دوميتيس : هذا نداء روماني في معسكر قيصر (يزحزح يده حزما من الحزمة)
هذا هو ضرب الاستعداد للرحيل ، إن قيصر يتقهقر بخنوده ،
وقد اشتعلت النيران في خيامه ، وإني أرى جيشه الآن يعبر المضيق
ويكفي لإبادته عدد من الرجال لا يتجاوز الألفين .

يومي : لست أود إبادةهم ، ومع هذا سيهلكون أنفسهم ؛ فإنهم يقيمون في أرض
موحشة ، لا نبات بها ولا ماء بعد أن ذهبت آمالهم ، واستولى عليهم
الفرع ، وخلعت قلوبهم من صدورهم - وارحمته الجيش تردد أم فه
نعات الموت الذي ملأ قلوب الرجال وتمثل فيها استنبتهم ، دع
لنا رؤساء الضباط

(تيوفانيس يذهب إلى الحارس في الخارج ليلغنه الأمر)

لنا النصر (يذهب إلى الجنة) سنعاذر الليلة هذه الأرض بدمه
مقتفين أثر قيصر . ومليين نداء الأبواق تحت سماء زيتتها بحجوم .
تتغنى في أثناء المسير وقد تزودنا لسفرنا . فليت شعري ما زادك بعد
طريقك ؟ . سأضع حدا لهذه الحرب الطاحنة ، بالقضاء على ثورة
وأسبابها ، لا يقتل هؤلاء الرمانيين .

(يدخل كبار الضباط)

انفخوا الأبواق ، واطووا الخيام ، واستعدوا للسير ، (يخرج ضابط فينادى : احلوا هذه الجنة)

الضابط الأول :

عليك سلام من أمير ، وباركت
فمن يجر أو يركب جناحي نعمة
يد الله في ذاك الأديم الممزق
ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

الضابط الثاني :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تفض
كأن لم يمت حتى سواك ولم تقم
فخسبك مني ما تكن الجوانح
على أحد إلا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المرائي وذكرها
فأنا من رزه « وإن جل » جازع
ولا بسرور بعد موتك فارح

الضابط الثالث :

حرام على الأجفان أن ترد الكرى
هو الدهر يرمينا بأسهم صرفه
أجل ، ما لها إلا التسهد مورد
فيصمى الرمايا حين يرمى ويقصد
فلا جمع إلا والزمان مفرق
ولاشمل إلا بالخطوب مبدد
جرت عادة الدنيا بكل الذي ترى
وليس لها ترك لما تتعود
فصبرا ، وتسليما لكل مله
إذا لم يكن يوما على الدهر منجد

الضابط الرابع :

أحسن بالواجد من وجده
ومن أبى في الرزه غير الأسى
صبر يعيد النار في زنده
كان بكاه منتهى جهده
سلم إلى الله فكل الذي
سأك أو سرك من عنده

(يحملون الجنة ثم يخرجون ، ووراءهم يومى ولا يبقى سوى دو ميتيس وتيوفانيس ولينتولس ولوسيس) .

تنفخ الأبواق ويرن صداها ويذهب بعيداً . وتردد النغاث في جهات متعددة ؛ حتى يمتلئ الهواء بصداها ورنينها .

تنزل الستارة

المنظر الثاني

في خيمة يومي وقد انفجر الفجر ، وحلس يومي يكتب بعض
المذكرات

(يدخل لوسيس)

لوسيس : أأنت نائما ؟

يومي : لقد تواردت على الأحلام : أحلام الشر . هل كنت تطوف بين
على المعسكر وتفقد حاله ؟

لوسيس : نعم لقد رأيت في أثناء طوافي « اقرب من معسكر قيصر ، نورا بسعت
في كل الجهات ، ويظهر أنهم يحرقون جثث موتاهم ، وقد أخذت كتب
اثنين من فرسان العدو وهما يقولان إن رجال قيصر يموتون جوعا
وإن الحى منتشرة بينهم .

يومي : إذن يجب عليه أن يخضع في بضعة أيام . أنظفهم يضرمون النار .
موتاهم ؟ أماننا الآن رومة فيجب علينا أن نفكر في شأنها و
مصيرها ونطمئن أفكار الناس فيها . (سكوت) اعتبرني الأرق وأفسد
على المضجع وسح الفكر في ملكوت السموات والأرض ما شاء .
أناشدك الله ما هو الإنسان ؟ وهل تعرف له من غاية ؟

لوسيس : خلق الإنسان من تراب وغايته الموت .

يومي : كلا . إن له روحا لا تقنى وقد استأثر الله بعلمها . لقد رأيت رجلا
بجنوبا أيام كنت في مصر . يصوب عينيه نحو الشمس ، حتى
وهجها من بصره ، ولما دنوت منه سمعته يقول : إن الأفكار تخرج
من الشرق كالخراد . فتبسط في عمرها على بعض الأمم ، وتنفذ بها
روح الحياة ، فإذا أخذت اللاد زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم
قادرون عليها ، إذن الله يذهب تلك الأفكار ، فتدبر مستقرهم وهدم
في الصحارى والقفار : حتى تأتيها أجلاها ، وتموت وتدفن في كهف كـ

دأوى إليه الانسان المتوحش. وطلما خطر ببال أن هذا رجل ألهمه الله الحكمة وأطلعته على بعض أسرارهِ في خلقه فتظاهر بالحنون. إني أرى طائفة من الافكار الحديثة قد هبطت رومة فتمحضت عن حياة جديدة وعصر جديد. لقد زعمت منذ سنة أن رومة كانت تتطلب رجوع الملوك وعودة الحكم الشخصي، ولكني أرى الآن أنها ترفع الصوت بدوى في الفضاء وتنس جبارا طاعية يقضى على الحياة القديمة؛ حتى لا يتوارى منها شيء.

لقد تغيرت رومة فصارت في الحقيقة مثلاً للقوة (الديموقراطية) تحاول القضاء على كل القوانين القديمة التي أكل الدهر عليها وشرب، واتسعت مساحة الخلف بينها وبين الحياة. أما في الطاهر فلا تزال كما كانت قبلاً. مدينة لا تكفى سوى نفر قليل من العظماء. وسوقا يبيع العامة فيها أرواحهم، رغبة الحصول على قوت يومهم، واحسامهم طمعاً فيما قد يصيرون من السلب والنهب والمغامم الكثيرة. لا بد أن يمنح الشعب سلطة كبيرة.

لويس: (دهشة) لقد سلحت أربعين عاماً من عمرك في القضاء على الديمقراطية. فلا معنى إذن لمنح الشعب ما يريد من القوة والسيطرة.

بومي: نجحت في قمع الثورات ولا بد من إزالة أسبابها الآن وحدوث تغيير عظيم وإصلاح كبير.

(يدخل هيتلس ودوميتيس ولتولس)

لويس: (بقدم ورقة) هذا هو تقريرى (يحي ثم يذهب ويقف عند الباب قليلاً نظراً إلى الخارج) إنهم يموتون كالذباب، والجثث لا تزال تحترق (يخفى)

(يجلس القواد أمام بومي وجها لوجه)

مهندس: اختصنى قيصر برسالة يرجونى فيها أن أسألك عن شروط الصلح، فرددتها إليه من غير تعليق عليها، انتهت الحرب غير أننا لسنا آمنين

على أنفسنا إلى الآن ؛ لهذا يجب علينا أن نملأ الحصون والشكوك
في كل الجهات برجال نوليهم ثقنا ونعتمد عليهم في الدفاع عما . وعند
اتفقا فيما بيننا على من يتولى أمر أسبانيا وبلاد العال ، ولكن
الوظائف الثانوية لم تتفق فيها على شئ . الى الآن انتظارا لمشورتك .
ولعلك تعنى بأمر تيوديتانس الذى فكرت في إرساله نائبا عني في آسيا
: أذلك هو الرجل الجسدى الذى أبلى بلاء حسناً تحت قيادتك .
يومى (يخاطب دوميتيس)

دوميتيس : لا . هو ابن أخيه
ميتلس : هو ضابط حدث في أركان الحرب .
يومى : أأراه كفتنا لهذا المنصب ؟ وهل تسمح له تربيته وتؤهله لأن
يكون رئيس القضاة ؟

ميتلس : لا ، إذا تكلمنا من الجهة الفنية ، ولكنه كل من أنفع الناس في
آسيا ، وهو ذو مقدرة عملية
يومى : كيف نفعلك ؟ وبأى وسيلة ؟

ميتلس : في جباية الخراج ، حينما أراد العامة أن يماطلوا ، وأن يخرجوا من تحت
أيدينا ، حتى يأتى اليهم قيصر ، ولولا ما أظهر من حسن التصرف
والحزم ، لحلت خزانتنا من المال ،

يومى : هذا حسن ، ولكن رئيس القضاة يمثل روما ، ويحمل تبعه كدى
ويحكم بين الخصمين ، ويسوى بينهما في مجلسه ، ويحافظ على الهدوء
ويقوم العدل بين الناس ويجب أن يتعلم مهام وظيفته ، ولكن هل ن
ماذا فعل فضلا عن جميع الضرائب حتى نضرب بالقانون عرص
الحائط ، ونعينه رئيس القضاة ؟

ميتلس : إن والده قد ضحى بكثير في سبيلنا ، وهو شاب ذكى الفؤاد . نعو
بالإخلاص ، ويجب علينا أن نساعد في أمره . وإني أوصيك به خيراً
يومى : إن حسن رأيك فيه سيكون خير مساعد له . هل أظهر كفاية في

الإدارة ، ودهاء فى القيادة ، وصبراً جميلاً فى ميادين القتال ؟

دوميتيس : كان فى فرقة الفرسان مدة من الزمن .

يومى : ولكن أنى لك أن تثق به وتحسن رأيك فيه ؟

ميتس : لاتبحت فى هذا : لأنى أسير على مقتضى القاعدة ، وهى أن أصدقاءنا يجب أن يكافؤوا .

يومى : رئيس القصة العظيم الساطان ، ولابد أن يتعلم واجبه قبل استحقاق مركزه .

ليسولس : هل لك فى أن تراه قبل أن ترده خائباً . ان ميتس ودوميتيس لا يمدحانه إلا لسبب خطير .

يومى : لابد من سبب معقول ، وإلا كان عملنا محاماة لا تتفق مع القانون وربما كان من نتائجها حصول حرب وثورة على الحدود . لا يسعنى أن أعينه رئيس القضاة .

ميتس : يومى ، ينبغى أن تذكر أنه أحد الأفراد الذين يحق لهم أن ينتظروا منا الوظائف

يومى : إن السلم سيظهر مقدرتهم وكفايتهم ، وهناك آخرون مع قيصر : يحق لهم كذلك أن يتقلدوا بعض المناصب (ينظر القواد بعضهم إلى بعض ويتنفسون الصعداء)

دوميتيس : هناك شئ آخر ، إننا ذاهبون إلى روما وهى فى حالة اضطراب وثورة ويجب أن نأمن على أنفسنا من خطر الأعداء ، ولذلك أسألك محاماة كل رجل له بين الناس منزلة فى روما ولو بقى على الحياد ، لأن الثائرين إن أذنوا بالخروج عن السلطة ، فإن المحايدين قد أهملوها ولم يعشوا بها . وكلا الفريقين يجب أن يناله منا العقاب . حتى نستأصل جذور الثورة (يعطيه قائمة)

فى هذه أسماء أربعائة رجل ممن ساعدوا على إشعال نار الثورة ، وليس هناك مجال لمحاكمتهم . ومناقشتهم الحساب . بل يجب أن يقتلوا

يومي : كلا . إن الحرب تنهى حينها يخضع قيصر . ولا أسمع لأحد ما بالإيد .
إن روما يجب أن تكون ساكنة هادئة مطمئنة

لينتولس : هل لك في أن تدين لنا الخطة التي سنسير عليها في حكم روما حينما نرجع ؟
ميتلس : (يهدو) سيكون هناك عفو عام عن جميع الجرائم التي ارتكبت ؛
يومي : نعم

دوميتيس : أتعفو عن هؤلاء الثائرين ؟

يومي : إذا خضعوا

لينتولس : هل تسمح لهم بمساعدتنا في الإصلاح ؟

يومي : إن السلطة محصورة في عدد قليل من الأيدي . ويجب أن يحدث .
في روما وطرائق حكمها . وإلى أوش أن يكون هؤلاء الأربعة .
الذين تسميهم عصاة ثائرين - من أعضاء السنانو حتى يساعدوا في
إدخال الإصلاح مع الحزم والحكمة .

دوميتيس : هناك طريق واحد لا غير في جعل روما هادئة مطمئنة ، ذلك بأن نضع
الإنسان عليها بيد من حديد .

لينتولس : إن العفو عن هؤلاء العصاة سيحل محل الأول الذي كنا فيه من
الحرب . وسيعضنا العامة ويسخرون منا . ونكون في خطر هب .
وعرصة لضياع أملاكنا . وفقد امتيازاتنا تسريحا . وإلى أنفسنا
أن تفكر في هذه الاقتراحات . ونظر فيها بعين الحكمة والحزم .
وترى أثرها وتناجحها في حزب الأشراف ومستقبل البلاد

يومي : أي مستقبل تنتظر بعد مذبحه كذبه . ثورة عامة في جميع الحب
سأرجع إلى روما وعلمه السلام بيدي . يرفرف على كل رجل من أسنة
وأصدقائنا على السواء .

لينتولس : قبل أن ترجع بسلام يجب أن تضع حدا للحرب . وقد وصل إلى
رسائل من روما وصوت الشعب هناك ينادي جبهة بأن الحرب قد
طالت مدتها . وإنا نخاف قيصر وجنوده ، ونخشى العلب ؛ غلنا

بالموقعة. وهذه روح خطيرة في مدينة تتولى حكمها بعد قليل . هذه الروح لا يذهبها إلا محاربتنا نوحاً باهراً في هذه الحرب، يجب أن نرحع مصورين . ولهذا أتقدم إليك بأمر بموقعة يكون فيها لنا النصر .

عيسى : لقد سألتنا ذلك من قبل فلم نلق منك آذانا صاغية . ولكننا نكرر السؤال ونعيده عليك الآن . إن جميع ما في خزانتنا من المال قد قرب أن يفد ، وإيس هناك من طريق للحصول على الذهب والفضة ، ولإلاد في فقر مدقع ، وحالة الناس تستدعي الأسى . وطريقتك السلبية - طريقة الانتظار والتأجيل - أنزلت من قيمتنا لدى العامة . إيس في استطاعتنا البقاء في الميدان شهراً آخر ، فيجب أن ننادي في الجند : « الغارة الغارة » .

يومي : قيصراً لا يستطيع البقاء في الميدان أسبوعاً .

دومس : سببتم قيصراً يوماً بعد يوم . حتى ينضج القمح الذي بدأ صلاحه وسيجصد بعد أيام فلال ، وعدئذ يجمع رجاله الذخيرة والزراد ، ويتمكنون من المقاومة والبقاء في ميادين الوغى زمناً طويلاً . مع أن في استطاعتنا الآن القضاء على جيوش هذا الخارج بطائفة من الفرسان :

يومي : يمكنني أن أحطم قوته من غير مخاطرة برجل واحد ، ولا إلقاء بنفس إلى تهلكة . أنا لا أبتدىء الحرب ، وينبغي أن تشكروا الله على أن هياً لنا أسباب القضاء على هذه الفتنة الشعواء من غير سفك للدماء .

(يقف القواد)

دومس : أنت أكبرنا سناً ياليتولس

لبنوس : ولكنك محبوب لدى العامة . فلم لا تصارحه القول ؟

ميس : سأفعل ذلك . وأكفيكما مئونة الكلام . ولي من حسبي وصلتي به خير شفيح .

يومي : فيم تريدون الكلام ؟

ميتلس : إنك مغرم بالسيطرة ، مولع بحب الرياسة ، وليس أدل على ذلك من إهمالك في الحرب ، وعدم وضع حد لها . وها هي ذى قد انتهت وانقضت معها قيادتك ، إنك تحاول الآن أن تكون لك القياده دائماً . وأن تحمل السناتو على الزول عند إرادتك . والخضوع لإشراكك ، ولا شك أن ذلك خطر كبير يهدد الجمهورية . ولهذا اضطرت لدعوة السناتو للاجتماع حتى يتناقش الأعضاء فيما يدعى اتباعه في الظروف الحاضرة ، ولقد وافق على تعيين تيوديتاس وعلى هذا الكشف وأصدر أمره لك بمحاربة قيصر ومماجزته الغارة (بعطيهورف) بمومي قليلاً ثم يقف بجانب منضد ويواجه القواد)

پومپي

ماذا تنتظرون مني أيها الآباء المجندون ؟ أنتظرون أن أرفض هذه الأوامر ؟ إن في استطاعتي ذلك . ولو كنت قيصر أو واحد منكم لفعلت . ولجأت إلى القوة . وحملت الجند على الانتقام من السناتو ، الذي أهانتني ، ونال من شرفي . وخط من كرامتي عند الشعب . منكم العهود العسكرية التي أخذتها على نفسي تمنع پومپي الكبير من ذلك . إن الموت مع الكرامة أهون لدى من فقدان الذمة . على أو لموت . فإن روما ستقع فريسة لطائفة من الرجال الذين لا عهد لهم . ولا يتقيدون بقانون ، ولا يثبتون على مبدأ . لم يبق لروما من أمل في ذلك المستقبل الذي كانت تنشده وتتطلع إليه . لقد انتهت غاشمتها ، وستوالى عليها المصائب .

وما منعكم عن أن تنزلوا منزل الذلة والخضوع والاستكانة . قيصر إلا پومپي هذا ، الذي خرجتم عليه ، وكدتم له في الحروب . بعد أن خلص روما ، وبجأها من قيصر وجنوده ، وها هي ذى تب إليكم يداً للأخذ بناصرها . وانتشالها من مخالب الخراب العاجز . الذي دفعتم بها إليه . وجعلتموني وسيلة له ، وما أولاكم بأن تنزلوا في

سبيلها أولا ، وتحاطروا بحياتكم عسى أن تحتفى ذنوبكم وتلبسوا ثوبا
من الكرامة لدى العامة (يدق الجرس)

(يدخل ، ياورده ، الخاص)

أعط الأمر بالتحفر للبوقة

(يخرج)

الآن تم لكم ماتريدون . وعما قليل تنتهى الحرب . ولكن هل دار
بجلدكم أنكم بعملكم هذا تخربون روما ، مع ما اشتمت عليه من آثار
الآباء والأجداد . روما مهبط الحضارة ، ومستقر العدل .

إن روما لا تزن عندكم جناح بعوضة : فقد عميت قلوبكم . وعلت
العشاوة أبصاركم . واستسلمتم لما اشتملت عليه نفوسكم من العداوة
والبغضاء والطمع والكبرياء .

كانت روما منذ زمن قليل سوقا تجارية ، يحكمها نفر من الزارعين
ولكن أوروبا الآن تدين لها وتخضع لحكمها .

استمرت الحرب الأهلية أربعين عاما ، وعم القلق ، وساد
الاضطراب ، وجاهد الشعب فى سبيل الحرية

(ضوضاء فى الخارج وأصوات الضباط يلقون الأوامر على فرقهم

بالاستعداد للسير ، ومناجزة قصر الحرب . تنفخ الأبواق)

منذ خمس دقائق كان مستقبل روما فى يدي . أصوره كيف شئت

وكنت عقدت العزيمة على خلاصها من يد كل جبار عنيد .

هذا هو وقت خلاصها . غاربوا فى سبيلها وفكوا أعلاها ،

وحلوا قيودها ، واجعلوها بين السما كين منزلة ، حتى ينسى الناس

ذكر أثينا ، وما شاهده اليونان قبلكم .

أنكم تضنون عليها بذلك ، وستتبعون شهواتكم ومطامعكم ،

وترجعون بها القهقري ، وتؤخرونها ثلاثمائة سنة

استمروا فى أعمالكم وخربوها أو تموتوا . وسواء عليكم أغلبتم أم

نال منكم عدوكم ، إن روما قد انتهت « سكوت »

« أوامر عسكرية تلقى في الخارج . وقع أقدام الجند في سيرهم »

دوميتيس : هل عندك أوامر أخرى ؟

يومي : طالما تمنيتهم لو حاربتم هذه الموقعة ، وهاهي ذى الحرب قد حلت كم

جندوا ، وأحرقوا بناها هذه الحيوانات الضارية . لقد كان في

استطاعتي أن أقتلهم جوعاً كما تموت الوحوش .

(يخرج القواد هدوءاً ما يومي فيقف بجانب المضدة ويدخل ويب

فلا ينظر إليه . تسمع نغمت المزامير أمام الجند تشجعهم على السير)

فيلب : هل من حاجة يا مولاي ؟

يومي : (يلتفت) هل تغني يا فيلب ؟

فيلب : أغني يا مولاي ؟

يومي : نعم . ألا تذكر تلك الأغنية التي غنيتها ذات ليلة في الحروب لآسيو

حينما تم لنا النصر ؟ لقد كانت تدور حول الفناء ، ونهاية جميع النشيد

فيلب : (شاكاً) لست أدري إن كنت أستطيع ذلك يا مولاي ؟

يومي : غن يا فيلب

فيلب : سمعاً وطاعة يا مولاي

ينشد

يا ليل قد نام الشجى ولم ينم جنح الدجنة بحمها المسار

إن كانت الخضراء روضاً ناضراً فلعل زهر نجومها أرهاق

والناس مثل النبت يظهره الحيا ويكون أول هلكة الأصم

والجهل أغلب غير علم أننا نقف ويبق الواحد عتيد

« تنزل الستارة » « يتبع »

شكبير وقس بن ساعدة اليايى

بقلم طه عبد الفتاح

الدرس الأول للغة العربية بينها الثانوية

كنت أجيل النظر في كتاب « الكنز الذهبى » Golden Treasury ، وهو كتاب إنجليزى ، جامع لطائفة كبيرة من المختارات الشعرية الإنجليزية . التى يجد من كلام فطاحل الشعراء فى عصور الأدب المختلفة ؛ فعثرت على جملة من قصائد شكبير . وقف عندها النظر ، لا وقفة الاستحسان والإعجاب . بل ذلك الاستحسان كان موجوداً . ولكن لم يكن هو الذى أوقف نظرى . بل لى أوقف نظرى أنى شعرت كأنى فى سوق عكاظ أصغى إلى قس بن ساعدة اليايى وهو على بعيره الأورق يشد القوم أليانه المشهورة . التى تنهى فى ختام خطبته المعروفة . تلك الخطبة التى نظر فيها إلى مشاهد الكون غرة اختار وموعظة . أذكر تنى قصيدة شكبير أليات اليايى . لأنه نهج ميق أسلوبه . وإن اختلف اللسانان . فأحببت أن أترجم للسادة الكرام القارئىن قصيدة شكبير . وأن أنظم الترجمة شعراً ؛ وآتت أن أصوغها فى البحر والقافية . لين ترهما اليايى ؛ لأزيد التشابه بين الشعرين قوة وجلال .

وسأعرض قصيدة شكبير مترجمة . بعد عرض أليات قس ؛ ثم أتبع ذلك بنس من الموازنة بين الكلامين والشاعرين .

قطعة قس بن ساعدة

فى الذاهين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى : الأكابر والأصغر

لا يرجع الماضي إلـى ولا من الباقيـن غابر^(١)
أيقنت أنى لا مَحَا لَه حيث صار القوم صائر^(٢)
قصيدة شكسبير
الدهر والحب^(٣)

— ١ —

لما رأيت الدهر طاح بما بنى العُصُرُ العَوَايرُ
بيد مُدْمَرَةٍ لما قد شيدته من المفاخرِ
دكَّ البروج الشاخنا ت فأصبحت دمناً دوائرُ
وأهاب بالعادي من شبه قلبي وهو صاغر^(٤)

ورأيت جيش اللج يفتك بالجدالة وهو ثائر^(٥)
يتز من جنباتها غنماً وييسطُ حكمَ ظاهرِ
والأرض دائبة لها في صولها جهدُ المثارِ
تسطو على اللجى محرزة لربح منه وإفرِ
إن يفتنم تغرم ، وإن تصب المكاسب فهو خامر^(٦)

(١) بمعنى باق ، وقد تأق بمعنى ماض

(٢) العنوان بالإنجليزية : Zime Ans Love وكلمة love تطلق على الحب
الحاء وهو المحبة والعشق ، وعلى الحب بكسر الحاء وهو المحبوب ، وسبق القصيدة
صالح لإرادة أى معنى منهما .

(٣) الشبه والشبهان : النحاس الأصفر ، والظاهر أن التمثيل به دون مدح المعادن
لأن بعض الغابر ين استعماله فيما خلف من آثار ، لطول تحمله وبقائه .

(٤) الجدالة الأرض

ورأيت زهرة دولة ترنو لبهجتها النواظر
لست تداوُل بين ذى حظّ وذى نحس مقادر
ولربما وهنت فدا رت باليلى فيها الدوائر

ألقى الدمارُ عليّ در ساء أن أفكر في المصاير
وعلمت أن سيمدُّ جا رحة تروع من تبادر^(١)
فتبرقني حبي وذا ماصرت من دهرى أحاذر
وعلمت أن يد البلى كالموت يخطف من يساور
لا يبتقى أحداً فيحتاج الأكار والأصاغر

- ٢ -

دانت له صم الصفا وعنا له ييس وزاخر^(٢)
وأطاعه الشبتان لئيس على توقيه بقادر
أنى يقاومه الجمّا ل إذا فتعدوه المخاطر
والحسن ليس بفاضل فى بأسه غص الأزاهر؟

أنى لمعسول النسيم وقد سرى حلو المناشر
أن يبتغى سئل السلا مة والزمان له محاصر
حفته بالهلكات أيّ ام مدمرة قواسر
أعيت جليد الصخر وهو كعهده صلب المكاسر
وسمت على القولاذ فهو إزامها فى البأس خائر؟

(١) الجارحة اليد

(٢) صم الصفا: الحجارة الصلبة . عنا: خضع . زاخر: بحر

وَيَلِي ١ فَلَكَ هَوَاجِسُ تَسْرَى فِترَتَا الخَوَاطِرُ
 آه ١ فَأَيْنَ عَنِ الزَّمَانِ وَكَنْزُهُ بِالْذَرِّ عَامِرُ
 تَنَكَّنْ لَوْلُوهُ يَرَا مَا عِنْدَهُ أَسْنَى الذِّخَائِرُ؟
 بَلْ مَنْ لَدَى النَّاسِ كَفَّ فَتَبَاسُهَا فِي الْقَبْضِ قَاهِرُ
 تَغْتَابُ رَجُلَ الدَّهْرِ وَهْ وَبِهَا إِلَى التَّدْمِيرِ بَاكِرُ؟
 بَلْ مَنْ يَصُونُ الْحَسَنَ عَنْ فَتَكَاتِ أَيْدِيهِ الْجَوَائِرُ؟

يَا حَسْرَتَا ١ مَا فِي الْوَرَى أَحَدٌ لَصَرَفِ الدَّهْرِ حَاطِرُ
 لَوْ كَانَ فِي الْمَعْقُولِ أَوْ فِي مُكْنَةِ الْأَمْرِ الْمَيَاسِرُ
 أَنْ يَسْتَمِرَّ الْحُبُّ يَشْ رَقٌ وَهُوَ بِالْأَنْوَارِ زَاهِرُ
 فِي حِينَ يَغْمُرُهُ مِنَ النَّفْسِ الْيَلَنَجُوجِي غَامِرُ (١)
 لَعَدَدَتْ فِي إِمكَانِنَا أَنْ تَقَى شَرَّ الْأَدَاهِرُ

أليس ذلك عجبا؟ وكيف لا يعجب من يرى الضدين يجتمعان فيأتلفس؟
 رجلان امتزج شعورهما ، وعقاهما ، ومنطقهما : حتى كأنهما نفس واحد ،
 ذات شعور واحد ، وعقل واحد ، وتفكير واحد ؛ على الرغم من سعة الوجود ،
 وتشعب وجوه الاختلاف بينهما . أما قس فهو سأم الجنس . عرفى الشعب ،
 من القاطنين بالأصقاع الحارة الصحراوية . ذات الجو اللاصق ، والشمس
 المشرقة المحرقة ، والسما الصافية ، كان يعيش في القرن السادس الميلادي ؛ في بلاد
 بدوية ، يسيطر عليها نظام القبيلة . ولا أثر فيها للحضارة والمدنية . ولالذسة
 العلوم وبث الثقافة ، فلم تكن له مدرسة يلقي فيها عليه إلا حوادث الدهر ممل
 قلبه ، ومشاهد الكون تبهر له ، بما زانها به الباري المصور . من جمال وق
 ونظام رائع ، وحكمة مبصرة .

(١) النفس اليلنجوجي : الخبر الأسود .

وأما شكسبير فهو آرى انجازى من القاطنين بالجهات التى يغلب عليها البرد
البارس . وتعلوها السماء الكدرة المكسوة بالغمام . كان يعيش فى القرنين
السادس عشر والسابع عشر وقد تمتع بما لم يتمتع بمثله قس من الحياة فى ظل
حضارة نامية ، وثقافة واسعة ، ودولة قوية منتظمة .

ولكن ذلك ليس بعجيب ، إذا نظرنا إلى أن الطبيعة البشرية لا يختلف الناس فى
جوهرها . وإن اختلفوا فيما يصطبغ به ذلك الجوهر من ألوان تصطنعها المؤثرات
الحرارية المتباينة . فللنفوس الإنسانية صفات تشترك فيها . كما تشترك الأجسام
فى كثير من صفاتها الجسمية . فالشعور المطلق مشترك ، والمنطق العقلى مشترك
وسلوب التعبير عن ذلك المنطق مشترك . فإذا سلكت النفوس من العلل التى
تؤثر فى تلك الصفات رأيت مظاهرها متشابهة متشابهة .

فاتفق هذين الشاعرين فى شعورهما وتفكيرهما وأسلوبهما إن هو إلا مظهر
من مظاهر تلك الفطرة الإنسانية الجوهرية المشتركة التى صار بها الإنسان إنسانا
مميزا عما عداه .

أحب قس أن يعرف مصير حياته التى يحرص عليها ، ويشغف بها . وأحب
شكسبير أن يعرف مصير محبوبه ، ومآل ما أولع به فؤاده ، وما ملك لبه من الحياة
والجمال ، فكان ذلك مظهر التشابه فى الأحساس .

وكما اتفق الشاعران فى الإحساس اتفقا فى التفكير وطريقته : فقد سار
كل منهما من المحس المشاهد إلى النتيجة التى استنبطها ؛ سالكا فى ذلك سبيل
التبع والاستقراء .

واتفقا فى تلك النتيجة . وحكم كل منهما بأن مصير من تعلق به وحرص
عليه الفناء .

واتفقا فى أسلوب التعبير عند ما أرادا أن يبرزوا ماعرفا من الحكم ومقدماته
فى صورة من الكلام . فإذا أغفلت البيت الأول من كلمة قس رأيت هذه القطعة
لا تبدأ على جملة شرطية بدأها الشاعر بأداة الشرط (لما) . وعطف على فعل الشرط
ما أريد إلى أن انتهى دور الاستقراء فأنهى العطف بذكر الجواب . وكذلك

سار شكسبير في النبد الأول من قصيدته . كأنما كان ينظر إلى مارسم قس ويحاكيه في الأسلوب محاكاة دقيقة .

ويمتاز قس بالسبق إلى الفكرة وإلباسها هذا اللباس المنطقي . في صورة شعرية رائعة ، تلتصق بشعور كل إنسان . وتتصل بمواطن التفكير فيه . وهنا تعرض للعقل فكرة لا يمكنه مقاومتها سواء أ كانت صائبة أم طائشة . فن ذا الذي يحول بين العقل وبين أن يقول : إن شكسبير متأخر في الزمن عن اليايى ، وربما وصل إليه شيء من الأدب العربى مترجما إلى الانجليزية : إما عن العربية بوساطة من أخذ العلم والأدب عن عرب الأندلس من الانجليز ، وإما عن لغات أخرى كالإيطالية وغيرها من اللغات الأوربية التى رحل أنافوها إلى الأندلس أم ازدهار دولة العرب بها . قد يكون ذلك الحاضر صادقا فيضاف بذلك إلى قس فضل جديد : وهو فضل استاذيته لشكسبير . وقد يكون وهما محضا ، فيحس قس بفضل سبق . وتكون مشاركة شكسبير له في الفكرة وتصويرها صريه عجبية من صور توارى الخواطر .

ويحمل أن نشير إلى مبدع تأثير البيئات المختلفة في كلام الشعارين ، متوحيين في ذلك سبيل الإيجاز والاختصار ، والاكتفاء بالمثل القليلة .

حين نقرأ فى قطعة اليايى : المصادر ، الموارد . قومى . يسرع إلى أدبنا كثير من صفات الخصائص البدوية الصحراوية . كورود الابل الى الآبار . وصدورها عنها بعد الشرب ، وكمظام القبيلة الذى يقسم الأمة الواحدة الى قوام تنسب الأفراد صلتهم العامة بأمتهم . وتقوى فى نفوسهم ذكر الصلة الخاصة . ثم ، حتى إن قس لم يكدر يتجاوز استقراؤه أبناء قومه .

أما شكسبير فترى فى دقة معانيه ، وفى ترتيب فكره . وتنسيق خياله ، صورة ناطقة للحصافة العقلية التى كانت من جهة مظهر العبقرية الخاصة ، ومن جهة أخرى ثمرة الثقافة القويمة المنتجة .

وترى فى ذكر البروج وعفاها ، وسبائك الشبه ودثورها ، آية التأثير بماى للبلاد المدنية التى تحوى من وسائل القوة والذكرى ما لا يراه اليايى فى بلادة البدوية .

وتشاهد في ذلك وفي حديثه عن العصر الخوالى ما يدل على تأثره بدراسة التاريخ. كما ترى في تصوير التنازع بين البحر والبر أثر ما تعلم من علم الجغرافية الطبيعية. أما تأثره بالحياة السياسية فيبدو جليا واضحا عند ما عرض لذكر الدولة وتناقب الحاكمين عليها، وأنها قد سطو عليها الضعف فيسرع إليها الانحلال والفتناء. ثم انظر إليه لا يقف عند ما وقف عنده الیادی من معرفة المصير الذي يصير إليه، بل يتجاوز ذلك إلى الحكم بأن هذا المصير هو العاية الختمية لكل مخلوق. وبعد أن رسخ ذلك الحكم في نفسه رسوخا لا مرية فيه أخذ يتحدث عن مسع تأثر المخلوقات المختلفة بعنث الدهر: جاعلا نواة ذلك البحث محبوبه الذي أعزم به غراما شديدا، ولعل محبوب شكسیر في القصيدة لم يكن سوى الجمال؛ فان شكسیر لم يعين محبوبه في القصيدة تعيينا واضحا، بل جعل الكلام صالحا للانطباق على كل ما يسمى محبوبا. وذلك شأن العبقریین من الحكماء الذين تنزع عقولهم إلى الكليات العامة. ذكر شكسیر الجمال، وأن مقاومته للدهر الذي يتغلب عن الأحجار والمعادن والبر والبحر لا بد أن تكون ضعيفة لا تزيد على مقاومة هرة الناضرة، وذكر النسيم العليل، وأن مقاومته لما تحاصره به الأيام من عظیم وتدمير لا تسكاد تذكر إذا كانت الصخور على قوتها والفولاذ على متانته تخضع لسطوة الأيام فتدمرها تدميرا.

ثم يشكو شكسیر نزوع نفسه إلى ذلك التفكير المؤلم، ثم يسأل عن القوى التي تستطيع مدافعة الدهر ورد صولته، ثم يجيب عما سأل فيقول: إن ذلك ليس في وسع مخلوق، وإن اتقاء فتكات الزمان لا يمكن ولا يصح في حكم العقول إلا إذا صح أن يظل حبه وهو في المداد الأسحم الخالك مضيئا مشرقا كما كان مشرقا مضيئا من قبل.

إن جل ذلك ما كان لير بخاطر قس الیادی، لأن ظروف حياته البدوية لم تكن لتعينه على ذلك. ولو كان قد قسم له أن يحيا مثل حياة شكسیر لربما جراه في المضمار، وربما حاز قصب السبق.

عن الأدب العربي

الشاعر المحتضر

للإمارتين شاعر الحب والجمال

تقدمة :

الفونس لامارتين شاعر فرنسي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وقد عرف في حياته بالرأى الجمهوري فكتب كثيرا في نقد النظم الاجتماعية وأساليب الحكم مما أدى الى الأخذ برأيه فقامت في فرنسا الحكومة المؤقتة عقب انهيار امبراطورية نابليون الثالث وكان هو عضوا فيها فأدى لفرنسا أجل الخدمات .

ويعدّه الفرنسيون سياسيا محنكا ، وشاعرا عظيما عرف بالتحليل النفسي العميق الذي ضمنه مؤلفاته العدة شعرا ونثرا ، وكان مشغوها بتتبع التاريخ في انجلترا حتى اعتقد أنه مدرسة لا يعداد كبار الساسة في العالم . كما كان متصلا بتاريخ الأدب فيها فقد الطريقة الكلاسيكية التي عنيت بالطبقة الطاهرة من الأسرار ولم تتعد هيئته الشكائية ، وأوجد الطريقة الرومانتيكية التي بحثت في الانس وحللت غرائزه وميوله ، وصورت نزعاته النفسية ، ودرست مواهبه في ضوء فلسفية دقيقة .

وفي قصيدته الشاعر المحتضر ، التي نشر طرفا منها في هذا العدد ، يرى القارى فيها تجمع الشاعر على نفسه وتصوير حساسيته نحو مظاهر الكون في لحظاته الأخيرة ، وللاستاذ الجليل أحمد حسن الزيات الفضل في ترجمتها . هذا الفضل ساعد الشاعر على الانتفاع بها كقصيدة شعرية جديدة بالدراسة والتأمل !

الشاعر المختضر (١)

للأمارتين شاعر الحب والجمال

بقلم فايز العمروسي

حَضَمَ الدهرُ كأسَ عمري سريعا وهي ملأى بأمنيات الشباب
حُبَّاقٍ تصرمتْ زفرات بين يأسٍ وحسرةٍ واكْتِتاب
دَقَّ ناقوسُ ساعتِي في بكاء بجَنَاحِ الفَناءِ يبغي طُلُوفَ
لست شعري، أَصْطَلَى في نَوَاحِي أَمْ أَغْنَى، وَلستُ أَدْرِي مَا بِي

سَاعَتِي إِذَا الْأَنَامِلُ ظَلَّتْ بِخَنَايَا القِيْشَارِ تَشْدُوْ
رَبِّ الْمُنُونِ يَلْهَمْ نَفْسِي أَغْنِيَاتٍ وَهَبْتُهَا سِرِّي قَتْنِي ؟
أَغْنِيَتْ هِيَ التَّوَالِي الْبَوَاقِ فِي حَيَاتِي ، وَهِيَ آخِرُ لَحْنِي
أَغْنِيَتْ ، كَبَجْجَعَةٍ ، الْجَوَّ تُرْمِي فَتَوَالِي أَيْنَهَا فِي تَائِنِ
وَإِذَا النَّفْسُ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ حُبِّ وَعَذَابٍ تَنَالُ يُمْنَاهُ مَتْنِي
جَدِيرٌ بِهَا كَرِيمٌ وَدَاعٍ قُدْسِي يَزِفُ لَحْنُ التَّغْنِي

حِينَ يَعْرِوُ القِيْشَارُ أَصْدَاءَهُ كَسِرٍ يَبْعَثُ اللَّحْنَ فِي جَمِيلِ الْغَنَاءِ
أَوْ خَبَا فِي الصَّبَاحِ لَمَعُ شَعَاعٍ يَرْسِلُ النُّورَ فِي بَهِيِّ الضِّيَاءِ
وَإِذَا الطَّيْرِ شَيْخُ الرُّوحِ قَسْرًا أَرْسَلَ الطَّرْفَ فِي فضاءِ السَّمَاءِ
غَيْرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ حِينَ يُوْفَى نَزْهَةً الْعَمْرِ فِي ظِلَالِ الرِّخَاءِ
يَرْجِعُ الطَّرْفَ بِأَكْيَا مَا تَقْضَى مِنْ نَعِيمٍ ، وَمَا مَضَى مِنْ رَجَاءِ

أى شيء نرومه من حياة
تشرق الشمس ساعة ثم يطوى
لحظة تنقضى وأخرى توافى
صور تجتلى . فذاك جهاد
بينما نحن فى عذاب أليم
ذاك يوم الحياة يطهر حيناً
ثم يطويه ليله فى الظلام

يا حياة يبيك من كان يهفو
ثم ضاعت آماله وتوتى
لست أبكى على الحياة إذا ما
إننى أترك الحياة رضاء
إن جذرى فى التراب منها ضعيف
كلما هبّ نحوها ريح ليل
لك حرصاً وللحطام حيناً
لم يصادف من الأمان نصيباً
راعنى الموت فاحتوى عرساً
وسروراً ، منعماً وطروء
كجذور النبات رخوا رطياً
قلعتها وصيرتها هبوباً

يشبه الشاعر الطيور الهوافى
أو ترود البحار حول ضفاف
حظها فى الوجود ان تهادى
تنشد اللحن من بعيد فيسرى
ليس يدرى الأنام ما تحتويه

لم تدرب يدي فى عزف الحنى
إن هذى الألحان من فيض ربى
فجارى الحياة تجرى سراعاً
وطيور الفضاء لم تتعلم
وكذا النحل لم يعلمه علم

ورنينُ الناقوس في يومٍ بُشِّرَ
فتراه ينوح آناً ، وآناً
أما ذك الناقوس شدوا ولحناً
ظهرتني الآلام حتى كأني
وتهيجُ الأوتارُ أوتارَ قلبي
كل حسٍ له غناءٌ بنفسِي
كرنينِ الناقوس في يومٍ حزنٍ
يرسلُ الشدو في غناءٍ ولحنٍ
أنا منه في لحنه وهو مني
كُنْتُ إذ براه لفحُ الشَّئِ
فأغنِّي بلحنها ، وأغنِّي
آهة الحزن عيرُ لحنِ التجني

قِنارةٌ تبيتُ تنفسي
تزعج اللحن بالحرير فيسري
شداً ما يدهش السميعُ فيرنو
معجاً في تمايلٍ وانتشاء
نفس يدرى ، أذلك الصوتُ لحن
أم نواح من الفؤاد الكلم
في دُجى الليل تحت عزف النسيم
ذلك اللحنُ في حنانٍ رخيمٍ
واقفاً في تحييرٍ ووجوم
كانتشاء النهى بينت الكروم
أفنى

دك لحنى قد أخضلته دموعي
الدموع الجفون للرب صعب
كدموع السحاب للأرض خصب
حيث ماء العيون قفر وجذبُ
أندهى الكأس من صدى الكسر عطب
وعراه من الكآبة خطب
قدم السارى في الثرى وهيبُ
وسداه يفوح أن وطئتهُ
ما رأينا القلوب تحنوقسمو
معصير الكروم في الكأس يسرى
وسات الريحان أن جفَّ وجها
وسداه يفوح أن وطئتهُ

خلت نفسي نغمة من لبيب
من يرمها ليتقى في حاماها
أنا أحببت مسرفاً في غرامى
ولذا مت من غرامى طروباً
عجبا للآقدار تأتي عجبا
أحرقته وصيرته طيباً

لها بقية

فأبداً العمروسى

نشيد قومي

مصرنا مصرنا

مهد المعارف والحكم
شعبنا شعبنا
شعب السمحة والكرم
مجدنا مجدنا
مجد قديم في الامم
جيشنا جيشنا
نصر الغزاة الفاتحين

أرضنا أرضنا
أرض الثقات والذهب
وكنوزها فيها العجب
من صنع خوفو والعرب
أوحى لنا السحر المين

هذا تراث جدودنا
يبقى لنا بجهودنا
ومن انتصار جنودنا
بين الجنود الغالين

مصرنا مصرنا

فهمنا السامي

في الجزيرة

قف بالجزيرة ساعة بين المزارع والحقول
والشمس تسدو للعيون كأنها ذهب صقيل
والروض زاه ضاحك والماء عذب سلسيل
كم منظر مستعذب يشقى من المرض العليل
ولكم شهدت ملاعباً ورأيت ثمة من فصول
لله ما أزهى بنصر روضة خفت بنيل

المرآة

كشافة العيوب للنّاظر اللبيب
لكم جلت نفسي في نورها المشبوب
وكم رأيت منها نصح الأخ الأريب
وكم لها من فضل في حسنى المجلوب
وكم نضحت وجهي أمامها بالطيب
وكم فرحت فيها بشربي القشيب

عياى تبصرانى من جسمى المكذوب
فأهتدى لميى وأبتغى تهذيبى
حيت يامرأتى يا حبة القلوب

حمامُ الزاجِل

أنا حمامُ الزاجِل وبهجة المنازل
وطائر رحالة أبلغ الرسالة
ولا أخاف بأسا ولو قتلت النفسا
فعلت في الحروب فعل الفتى اللبيب
وباختراع الطائرة دارت على الدائرة
لكن لى في المجد والرشد أقصى حد

العلم

حى العلم ، حى العلم وابغ الحياة ولا تنم
فى كل مصر راية عنوان مجد للأمم
وإذا العدو تقدما وبغى الجلاذ وصمما
ورفعت رايات الحى لم تلق إلا ضيغما
أعلامنا بك نحتفى مثل المقام وزمزم
وفرود غايات العلا ونفل عزم الأنجم
قم يا قى أذكِ الهمم واصعد بمصر إلى القمم
قل إن رأيت بنودها فوق السها : عاش العلم

محمد عبد المنعم سالم

مدرسة سعيد الأول الابتدائية بالاسكندرية

النهر

أرأيت النهر يجرى وسط الوادى الخصب
 ورأيت الفلك فيه فى شمال وجنوب
 تحمل الأثقال فيها من متاع وجوب
 نزهة فى النهر عصرا حينما يدنو الغروب
 ويهب الريح^(١) رخوا ويفنى العتليب
 تكسب الجسم نشاطا وتنجى من كروب
 أنت يا نهر جميل وغذاء للقلوب

أحمد أبو النجا

المدرس بالمطبع بالاسكندرية

(١) الريح مؤنثة، وقد تذكر على معنى الهواء

كتاب الفن الإسلامى فى مصر

للدكتور زكى محمد حسن

ظهر فى عالم المطبوعات الجزء الأول من كتاب الفن الإسلامى فى مصر للدكتور زكى حسن، الأمين العلى بدار الآثار العربية والمشتدب لتدريس الآداب بالجامعة المصرية . ويعتبر هذا الكتاب باكورة الكتب العربية فى نوعه من كتب عن الآثار العربية لم يعد تعدادها وتاريخ إنشائها ومساحتها ودأ منشئها والدافع لهم إلى إنشائها ، إلى غير ذلك من الأشياء التى لا نسب بينها وبين الفن فى ذاته . ولكن هذا الكتاب تناول مناحى الفن الإسلامى فبحث فى أصوله وما طرأ عليها من تغيير أو ابتكار ، وتكلم عن حظ مصر من هذا الفن ، وبحث ما بها بما فى سواها من الأقطار الإسلامية ، وبين أثر أدوار كل قطر فيما سرى له من فنون وما ابتكر أو حسنت أو ضاعه .

وإذا ذكر أثرأ بعينه جعل ذلك كتطبيق للأصول الفنية السائدة فى عصره ، بل لانبالغ إن قلنا إن الدرس العام الذى يحويه عن الفنون الإسلامية يساعد إذا رأيت أثرأ أو نقشأ على جدار أو خزف أو آنية على أن ترجعه إلى عصره . والدكتور زكى مثل فذ للشباب النابه علما وعقلا ، فما كاد يتم دراسته فى نواحى أوربا حتى عكف على الدرس المستقل والانتاج المتواصل ، فقد أحج من قبل كتابا عن الفنون باللغة الفرنسية ، وكتابه هذا الذى يتحدث عنه ، وسيطعا منه قريبا إن شاء الله سفر طريف عن التصوير لدى الفرس ، بآركانه فى همته وفى صحته ، فهى مطية الجهاد العلى ، ووفق شبابنا المتعلم إلى الاقتداء فى الدرس والنفع .

المففى حمزة

بنيابة الاستشف

سلسلة

القصص المدرسية

بقلم

سعيد العربي أمين دويدار محمود زهران

خريجي دار العلوم

أنا نريد التليذ على القراءة إرادة ، وزغمة إرغاماً . وندفعه إليها دفعاً ، لأن
الزغمة عنده منقطعة . والرضى غير متصل ، لأن موضوع ما يقرؤه جاف ليس فيه
ما يعلق به القلب وتهفو إليه النفس .

مساكين أبناؤنا وتلاميذنا ، ينصرفون من مدارسهم ولن تحدث
وحداً منهم نفسه بأن يمد يده إلى كتاب ، أو يحاول أن يفهم موضوعاً من
المصوغات تبعاً لهواه وطواعية أرغبته . لأن اغتناء على غناها فقيرة من هذا
النوع القصصى الشائق الذى يفتن فى الحوادث الخيالية أو الحقيقية فيصورها
تصويراً دقيقاً ويخاع عليها ثوباً من الرواء يتنقل بين الحوادث المختلفة وكل حادثة
تصل بالأخرى اتصالاً وثيقاً عن قرب أو بعد فتفرغ النفس لها وتتشوف إلى
عدها ، فيمعن القارىء فى القراءة ويستمر فيها ويسترسل استرسالاً لا يصرف
عنه عنها حديث . ولا رغبة فى لعب ، ولا ميل إلى طعام . ولقد حز فى نفسى
أن شهدت بعض تلاميذ مصرين بـ مدرسة فرنسية فى يوم راحتهم ، مكبين على
"قائمة انكباب" ، ذاهبين فى الاسترسال فيها إلى حد بعيد ، فوقع هذا الميل منهم
غير موقعا قد يكون غريباً إلى حد ما ، فأنا أعلم انصراف تلاميذنا عن القراءة
وإعراضهم عنها ، ولقد تبينت من محادثتهم أن مدرستهم تعيرهم يوم الراحة قصصاً
بشرية وراغبين لاراهبين ، راضين لا مرغمين ، قمنيت - وكنت أظن بعدما
تميت - أن اتاح لتلاميذنا - وبخاصة صغارهم - قصص باللغة العربية السهلة

لا بالمبتذلة السافطة ، ولا بالجيدة العالية ، تبل أو امهم وتقع غلثهم ، وتجبر نقصا طالما
تحدثنا فيه وروينا في القضاء عليه ، حتى طلعت علينا القصص المدرسية فكانت الآمان .
ظهر من هذه السلسلة إلى الآن خمس قصص عرض منشئوها في كل قصة إلى
ناحية من نواحي حياتنا المصرية بنهج حللها تحليلا دقيقا ، وتابع استقصاءها ، وتأثر
عللها وأسبابها ، وجلى في الكشف عن أدوائها ، ينث في ثناياها الحكمة العالمة
ويدث في تضاعيفها الرجولة الحقة ، والوطنية الصادقة ، والمثل الصالحة الكرم
الأخلاق ، وجميل الخصال ، كل ذلك بعارة سهلة رقيقة وأسلوب قصصى منع ،
قد روعى فيه مقتضى الحال كما يقول البلاغيون ، فهم يكتبون للطفل ، وللطفل
المصرى الذى أخذ أخلاقه ولغته من بيئته المصرية فتعمدوا ألا يعربوا وألا
يختاروا الألفاظ الجزلة التى يتهاك الكتاب فى استعمالها والتى يغترف من بحرها
أيضا منشئو هذه القصص فى حينها .

وإنما تعمدوا أن تكون قصصهم للأطفال ، وأن تكون بنغة الأطفال ،
ولغة الأطفال العامة . ولا سبيل إليها فى تأليف يخرج للناس وتداوله الألسن
وإنه لمن الصعب على الكاتب البليغ الذى شئ فى دار العلوم أن يتدلى بـ
عقلية الطفل فى تأليفه ، ويتدلى إليه فى لغته وأسلوبه ، ولكن الطبيعة الحسنة ،
لمؤلفى القصص ، والسجية اللينة ، والنخيزة السهلة ، قد جعلت منهم على الرعة من
تنشئهم فى بيئات عربية حاضرة عميقة ، قصاص أطفال فأتوا بالعجب العاجب بـ
تقف عنده نية كل راغب . فكتبوا للأطفال بلغتهم ولكنهم ما نزلوا إلى
العامة ؛ ولا ارتفعوا إلى صفوفه الفصحى ، بل أخذوا ما صح لفظه ، حف
جرسه . أخذوا ما يتناولوه الطفل فى حديثه ، فى لعبه ، فى بيته . فى حواره ، فك
ما استعملوه حتى تبينوا صحته ، وتعرفوا عريته . ولقد استقصيت كثيرا من
الألفاظ فى المعاحم فما وجدت كلمة واحدة غير صحيحة ، ومع ذلك لم أع
الطفل من متخير الألفاظ ومنتخل الأساليب وإنه ليتناول القصة فيقرؤه من
غير مثونة ولا كد ذهن ، ولا جهد فكر ولا إعانت روية ولا إرهاق حطر
فأشكر الله لهم على هذا التوفيق .

ولقد حاول كثير من غير أبناء دار العلوم أن يحاكوا الغرب في القصة
وهم حرموا وألفوا ولكن ما بلغت قصصهم من نفس الطفل ما بلغت قصصنا ولولا
الخروج عن الموضوع لمايلتها بمائلة وعقدت بينهما موازنة .

وهنا يصح أن أعلن في ثقة أنه عمل إلى الآن منقطع النظير . وليتأ كذلك أيها
المدري . أنى لا أقول ذلك مجاملة لزميل أو محابة لصديق فاسمع ما أقصه عليك :

١ - هذا نادى دار العلوم مفتوح الأبواب : مضاء الثريات وبعض أعضائه
في دهة جلوس وإذا قادم يستأذن للدخول وإذا به يقدم نفسه بأنه أحد الدليلي
لسبح وإذا به يطلب الأذن لسأخ مستشرق لزيارة النادى . فنهضنا واستوينا
وقوم . واستقبلنا وأحسننا الاستقبال . ورحبنا وأحسننا الترحيب . وجاملنا اللطف
مودة وكنا على عادة المصريين كرماء لضيوفنا فإذا بالسأخ يبتدر السؤال عن
مؤيد القصص المدرسية ويعلن في إعجاب وتقدير أنها الأولى من نوعها الجديد
في لغة العربية ، كان حديث مع أحد المؤلفين انتهى بأن قدمها له هدية ووعدته
بمتابعة إرسالها إليه فشكره وانصرف .

٢ - وهذا تلميذ في السنة الأولى الابتدائية يدخل على والده غاضبا حانقا
مكهم الوجه مقطب الجبين يعلن في شدة وعنف شكواه المرة من تعدى التاجر
(كمریان) على عاطف (الزعيم الصغير) في القصة الخامسة ويستعدى والده على
(كمریان) انتصارا لعاطف . وأخذ بعد ذلك يرى في كل أجبي (كمریان) ،
وأصبح يشتري حلواه ولعبه من المصريين .

٣ - وتلك فتة تقرأ وتعجب وتستطيب القصص فتنى المؤلفين بإعجابها
وتعجبها إلا أنها تعتب عليهم إغفال الفتيات فشكروا لها مدحها كما شكروا لها
عجبها وكانت عروس البغاء القصة الثالثة

٤ - ثم هؤلاء مدرسون مصريون اللغة الانجليزية في مدرسه ابتدائية يبدون
إعجابهم ويراسلون المؤلفين طالبين السماح لهم بترجمتها إلى اللغة الانجليزية
ليتبر لهم الاتفاح بها في مادتهم .

مس بعد ما قدمت زيادة لمستزيد فقد حمل بها الفتى والفتاة ، والطفل
والشيخ ، والأجنبي والمصري .

القصة الأولى

دار فيها الحديث على تلميذين صديقين أحدهما ابن موظف والثاني ابن حر وقصداً في تصرف الحياة بهما إلى تمكين الميلى إلى الأعمال الحرة . و قطع لربهما في الوظائف ، فقد صور ابن الموظف وقد تنكرت له الأيام بفقد أبيه الذى كان لا يدخر من مرتبه شيئاً . فانقطع عن المدرسة وأصبح خلق الثياب . إلى الهيئة مغضن الوجه . يلح في طالب عمل . ويعين في طرق الأبواب : سلب بعد ما يقوم بأوده ومعونة إخوته فيلقى شر ما يلقاه طالب . ويتعرض لأشد مآس من إليه محروم ، وبعد لآى يجد العمل فيفرغ له نفسه وجهده . ويتمتع بحسنه واستقامته فيقطع عليه الدس الطريق فيشعر بالضيق والحرع فيحدث عن نفسه في القصة . وشعرت أن الوظيفة ذل . وأن الموظف عبد ذليل . عليه أن يضع كل أمر فإذا خالف طرد من وظيفته : وأدركت أنى كنت مخطئاً حين فرحت . وبمعة وأتى بعث حريقى بهذه الجنيات التى أقبضها في كل شهر : فاستقلت من وظيفتى من غير أن أفكر في مستقبلى ، (ص ٤١) وفى لبة هيات له القصة عملاً حرماً .

هذا إلى الحكم المشورة فى ثماياها وإليك منها (ص ٣٠) . وكان سعد مسافراً إلى الفول من زمان . لكنه كان يعرف القواعد الصحية فلم يملأ بطنه . وأصبح يقول (ص ٣١) . فرد سعد : وإن ذلك يسرنى أكثر . فهل تسمح أن يقدروم الأحد ؟ فأجاب الشاب : بل يوم الجمعة - إن سمحت - فهو اليوم الذى احترته . حتى ولقد ساروا فى جميعها على هذا الدرب فعرضوا فى الثانية للصحرى . ودل والآثار مما تنقطع معرفته عند كبارنا بله صغارنا .

وأما الثالثة (عروس البيغاء) فقد ضربوا فيها مثلاً درساً قاسياً لقصد مصر الحاضر المغرورة . فلاهى بربة منزل نافعة ، ولاهى بمتعلة ناهضة . وقد صبروا الأب حاذقاً والزوج حازماً فأتيا بأطيب الثمرات .

أما القصة الرابعة (النهر الذهبى) فقد صورت أثر اقتصاد التلميذ فى حياته المستقبلية فاتتهى تلميذ التبذير إلى أشنع ما ينتهى إليه مبذر . وانتهى تلميذ الاقتصاد

إلى أحسن ما ينتهي إليه مقصد. أما الخامسة (الرعي الصغير) فقد تحدثت عن مركز الأجانب بيننا واتزازهم لأموالنا في غير هواده ولا رحمة: حتى أصبحنا كما يقولون (غرباء في بلادنا) ثم جردت من عطف زعيماً قوياً، وخطيباً وطنياً وكان على يديه أن دالت دولة (كبريان)

هذا وقد لحظت أن القوال استأذن من ربان الباخرة أياها للاستراحة في دن فأذن له، فكان عليه حين وفق إلى عمل آخر أن يخطر ويستاذن في إخلائه سرا، وفاقاعلي ما قدم له من معونة ومساعدة، حتى يظهر طفل قصتنا بمظهر اللباقة والكياسة.

وفي (الصيد التائه) رسمت صورة الوحش وليس برجليه الخمازة التي تحدثت عنها القصة بأنها علفت برجليه حين هوى إلى الحضيض.

وإن لي رغبة في أن يكون في ثناياها نكات وحوادث مضحكة متداخل بعضها في بعض: ترويحاً للنفوس وأن تشمل حوادث تحتاج إلى فتق الفكر وإعمال الروية في استسقاط حيل للتخلص من بعض مآزق حرجة، فتكون بعض الحوادث بعدة الغور، وتظهر فيها قوة الحيلة ولباقة التصرف وحدة الذهن؛ وبعد فإني أتمنى المؤلفين، راجياً من الله لهم اطراد التوفيق وحسن المستقبل.

محمد الطنبجي

المدرس بمدرسة الأميرة فوزية الثانوية

استدراك

في حفلة تكريم الأستاذ صالح هاشم عطية

وتنا في العدد السابق ونحن نصف حفلة تكريم الأستاذ صالح هاشم عطية مناسبة اختياره مرياً لحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد وسفره في حاسيته أن نذكر أن من بين البرقيات التي وصلت إلى لجنة الاحتفال وتليت فيه رقيقة من حضرة الأستاذ مصطفى حسن فهمي مفتش منطقة الاسكندرية شارك فيها هو وحضرات المفتشين الذين في منطقته اللجنة في تكريم الزميل الفاضل.

صحيفة دار العلوم

فهرس الجزء الثالث من السنة الثانية

المكاتب

الموضوع

صفحة

٥ من مكتب التحرير

في الأدب واللغة

- ٧ اتجاهات الأدب وأهم حواضره
في العصر العباسي (٣)
٢١ حول إعجاز القرآن (٣)
دقة الألفاظ وانسجامها
٣٠ أثر الجوارى في الأدب (٢)
٣٧ في النقد الأدبي: الأدب، ماهو؟ (١)
٤٨ المتنبي عند سيف الدولة
٦٠ تحت رواق الليل (قصيدة)
٦٣ صفحات مطوية عبدالرحمن زغلول
٦٩ الشيخ عبد المطلب: وصلة حسنة
بين الجديد والتقديم (٢)
٨١ طرائف لغوية (٢)
٨٦ فوائد لغوية (٣)
٨٩ درة الشعر: في افتتاح الدورة
الثالثة لمجمع اللغة العربية الملكي
٩٤ عشرات الأقلام (٢)
١٠٣ وفيت (قصيدة)
١٠٥ ابن ميادة (٢) مدائح وغزله وفنه
- محمود البشيشي المدرس بدار العلوم
السباعي يومي
عبد اللطيف المغربي بمعهد الترية للبنات
أحمد الشايب
علي النجدي ناصف مفتش المعارف بعلون
شاعر الريف محمود حسن اسماعيل
عيسى محمود ناصر المدرس بمدرسة الفيوم
الابتدائية
مهدى خايل المفتش بوزارة المعارف
سابقا
محمد شفيق معروف المدرس بالمدرسة
السعيدية
علي الجارم المفتش بوزارة المعارف
وعضو مجمع اللغة العربية الملكي
المتولى قاسم المدرس بمدرسة محمد علي
الملكية للبنات
محمد يوسف المحجوب المدرس بمدرسة
محمد علي الملكية للبنات
حسن علوان المدرس بالمدرسة الحديوية

الكاتب	الموضوع	صفحة
عبد الحق شرف الدين المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية	(قصيدة)	١١٧ ابتي
عبد العزيز سيد الأهل المدرس بمدرسة محمد علي الابتدائية	(قصيدة)	١١٩ وأذن في الناس بالحج
عبد الرحمن الكيالي الطالب بدار العلوم	(قصيدة)	١٢١ المتنبى بعد ألف عام
فرحات عبد الخالق المدرس بمدرسة كوم حمادة	(قصيدة)	١٢٤ الكرامة
علي شرف الدين المدرس بمدرسة دمياط الابتدائية للبنين	(قصيدة)	١٢٦ المدياع
عبد الستار سلام المدرس بمدرسة الأميرة فوزية	(قصيدة)	١٢٧ المعلم
في الفلسفة		
محمد مهدي علام المفتش بوزارة المعارف وعضو المكتب الفني بها	نظرية الوسط في الفضيلة : بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين	١٣٠
الدكتور علي العناني الأستاذ بدار العلوم	فلسفة ديكرات	١٥٢
محمد علي مصطفى المفتش بوزارة المعارف	يومى العظيم (٢)	١٦١
طه عبدالفتاح المدرس الأول للغة العربية بمدرسة بنها الثانوية	شكسبيرو قس بن ساعدة الإيادى	١٨٧
فايد العمروسى	الشاعر المحتضر للامرتين (قصيدة)	١٩٤
ديوانه الروحانيات		
خالد الشامى ناظر مدرسة المعلمين بأسسوط	نشيد قومى	١٩٨
محمد عبد المنعم سالم المدرس بمدرسة سعيد الأول الابتدائية بالاسكندرية	في الجزيرة	١٩٩
احمد ابو النجا المدرس بمدرسة المعلمين	حام الزاجل	٢٠٠
	النهر	٢٠١
المكتبة العربية		
لطفي حمزة بناية الاستئناف بالقاهرة	كتاب الفن الإسلامى في مصر	٢٠٢
محمود الطنيجي المدرس بمدرسة الأميرة	القصص المدرسية	٢٠٣

الشاعر المطبوع

أبو عبادة البحرى

تفصيل حياته ، دراسة شاعريته ، تحليل أقواله

للسنة الرابعة الثانوية وفق المنهج الجديد

تأليف الاستاذ محمود مصطفى

أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية

ترجمة مصورة دقيقة ، فى أسلوب أدبى رائع ، تكشف عن عبقرية
الشاعر الفذ على طريقة من العلم تغنى الباحث المدقق ، و طراز من البيان يروق
المنشى والأديب ؛ إلى ما فيها من مختارات بديعة ، وتحقيقات دقيقة ، ولفات
تشوق وتروق ، وفيها غناء للتليذ ، وعون للدرس .

الثنى خمسة وعشرون مليما

يطلب من

المطبعة الرحمانية بالخرنفش رقم ٢٥

القصص المدرسية

يصدرها

سمي العريان أمين دويار محمدرهان
خير مجودا العلوم

فن طريف في أدب الطفولة ،
واتجاه جديد في تعليم العربية ،
وتسلية لذينة تشوق الأطفال ،
ورجولة عالية تساق إلى التليذ
في أسلوب التليذ ...

مدى اكسفورد ، الصياد التائه ، عروس البيضا ،
النهر الذهبي ، الزعيم الصغير ، وغيرها ...

عن القصة في الجملة خمسة ملهات

العنوان

طنطا : أمين دويار ، بمدرسة القاصد الابتدائية
مصر : نادي دار المعلمين ١١٤ شارع عماد الدين

أول كتاب أخرجته
جماعة دار العلوم

عجم الأعلام

تأليف
محمود مصطفى،
أستاذ الأدب العربي
بكلية اللغة العربية

تمن مخفض لأعضاء جماعة دار العلوم